مؤتمر النهضة الاغترابيّة الثانية
لإبداع من أجل الحضارة والإنسان

مشروع "أفكار اغترابيّة" للأدب الراقي . منتدى لقاء. وبستان الإبداع

مؤتمر "النهضة الاغترابيّة الثانية - لإبداع من أجل الحضارة والإنسان" كانون الثاني - شباط ٢٠٢١

مشروع الأديب د. جميل الدويهي "أفكار اغترابيّة" للأدب الراقي

منتدى "لقاء" - لبنان

بستان الإبداع - سيدني

المحتوى:

١- **تجارب شخصيّة:** إدمون طوق- سيدني ١٥ - مجلّة العالميّة - لبنان ١٤٧- المؤسّسة الاجتماعيّة لحوار الحضارات-سيدني ١٨٠- المركز العربيّ الأميركيّ للثقافة والفون - ديربورن أميركا ١٨٥ - نادي الشرق لحوار الحضارات - لبنان ٢٠١
٢- **الهجرة عموماً:** د. روني خليل - لبنان: الهجرة المارونيّة أواسط القرن التاسع عشر من الناحية الروحيّة (قبرس، السلطنة العثمانيّة، مصر وإيطاليا) ٨٠
٣- **الأدب المهجريّ عموماً**: د. جودت ابراهيم- سوريا: الشاعرة خوانا ديب - الأرجنتين ٣٨- د. جودت ابراهيم - سوريا: الشاعر المهجريّ عادل ناصيف ٤٣- د. سمر جورج الديّوب- سوريا: مرداد نعيمه ١٣٣- يوسف جورج الحدّاد - سوريا: البناء الأسطوري عند أدباء الرابطة القلمية ٢١٤.
٤- **الهجرة، الأدب المهجريّ وأفكار اغترابيّة**: ابراهيم مشارة - الجزائر ٥ - جورج الكايد - سيدني ٥٢- حسن ابراهيم سمعون - سوريا ٧١- رانية مرعي - لبنان ٧٥- د. زياد علّوش - لبنان ٩٨- د. سحر نبيه حيدر - لبنان ١٠٨- د. عماد يونس فغالي - لبنان ١٥٣- مريم رعيدي الدويهي- سيدني ١٩٢.
٥- **تجربة شخصيّة وأفكار اغترابيّة:** أحمد الحسيني - سيدني ١٢- أمال معوّض فرنجيه - لبنان ٢٧- أوجيني عبّود الحايك - أميركا ٣١- سليمان يوسف ابراهيم - لبنان ١٢٦- كلود ناصيف حرب - سيدني ١٧٣- مريم شاهين رزق الله - ملبورن ١٩٨- وسام زيدان -ملبورن ٢٠٩.
٦- **جميل الدويهي وأفكار اغترابيّة**: إلهام سلطان - سوريا ٣٣- د. جان توما - لبنان ٣٥- د. جوازاف ياغي الجميّل- لبنان ٤٤- د. رياض عثمان - لبنان ٩٥- سامي مظلوم - ملبورن ١٠٥- عائدة قزحيا حرفوش - لبنان ١٥٠- فوزي عساكر- لبنان ١٧٠- د. كلوفيس كرم- أميركا ١٧٨- نجاة الشالوحي - لبنان ٢٠٦.

الورقة ١: الناقد ابراهيم مشارة - الجزائر:
الأدب المهجري ودوره في إغناء الثقافة العربية

في أواخر القرن التاسع عشر كانت البلاد العربية ترزح تحت وطأة التخلف ويخضع بعضها لنير الاستعمار والعبودية، ولا عجب فالاستبداد العثماني سيؤول إلى رجل مريض تقتسم الإمبريالية الصاعدة تركته، وفي الشمال نهضة صناعية وعلمية ورخاء وتناغم سياسي واجتماعي فقد كان الغرب يجني ثمار ثورته الصناعية ويسعى إلى توسيع مناطق نفوذه جلباً لليد العاملة واستيلاء على الثروات الطبيعية.
هكذا تجلت خارطة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ينضاف إلى ذلك جدلية الالتقاء بين الشرق والغرب والصدام الحضاري بين غرب قوي تضخمت أناه واعتبر نفسه متناً وغيره (الآخر المختلف) هامشاً وذيلاً ، وشرق ضعيف، ما انفك يكتشف حجم الهوة الفاصلة بينه وبين الغرب منذ الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ولكنه مع شعوره بالضعف إلى حد العجز والإحساس بالضآلة والهامشية سعى بكل ما أوتي من قوة إلى تدارك النقص والأخذ بأسباب الرقي بالاستفادة من منجزات الغرب العلمية والصناعية والعسكرية والفكرية عبر البعثات العلمية والترجمة وإنشاء دور العلم والجامعات ومباشرة الإصلاح السياسي والاجتماعي بإشراك المرأة في النهضة والقضاء أو تقليل الفوارق الطبقية ما أمكن. هكذا إذاً كانت السيرورة التاريخية والجدلية الحضارية بين الشرق والغرب قوة وهيمنة من قبله وهبة وإفاقة من السبات لاستدراك النقص وردم الهوة الفاصلة بينه وبين الغرب من قبل الشرق.

يمكن تمثل هذا الهاجس الحضاري في نهضة الأدب العربي الحديث بشعره ونثره، فمنذ نهاية القرن التاسع عشر بدأت في مصر ولبنان خاصة بشائر نهضة أدبية لها سياقاتها التاريخية، فمن جهة هناك الحملة الفرنسية على مصر ثم إرادة محمد علي باشا والي مصر في تمدين البلد والنهوض به علميا وعسكريا وصناعيا مما حدا به إلى إنشاء "الوقائع المصرية" لمواكبة عمل الحكومة وإرساله لبعثة علمية إلى فرنسا بمعية رفاعة رافع الطهطاوي للدرس والترجمة، وهناك تجربة الشوام في النزوح إلى مصر بعد ظهور الصحافة للمساهمة في نهضة الأدب الحديث.

تخلص النثر نسبياً من أسجاع وحذلقات العصر الوسيط واندغم في الهم السياسي والاجتماعي والحضاري بل والواقعي، وكانت المقالة باصطلاحها الفني ثم القصة والرواية والمسرحية ثمرة هذا التطور في النثر، وتخلص الشعر رويدا رويدا من شعراء التكلف والتقليد وشعر المناسبات، فقد كانت هذه هي الثورة الثانية على عمود الشعر بعد ثورة أبي تمام والمتنبي الأولى.

ها قد حل القرن العشرون والثورة العربية مشتعلة ضد الأتراك والمشانق تنصب للأحرار وجمال باشا ينكل بهم، وها إن الواقع السياسي يرزح تحت وطأة الاستعمار أو الاستبداد، وها إن الواقع الثقافي اجترار وتقليد - لكن النواة التجديدية في طور التكوين- وها هو الواقع الديني واقعه جمود وباب الاجتهاد مغلق بمرسوم فقهي، وهذا كله انعكس على الواقع الاجتماعي فوسمه بميسم التخلف وسعة الفوراق الطبقية، وإهمال دور المرأة والطفولة والآفات الاجتماعية وأخصها الفقر والإملاق والتشرد والبطالة وغياب الحريات، طابور من المشاكل الاجتماعية يتزاحم على باب كل وطن عربي وألوان من مشاعر اليأس ومشاعر العجز والإحباط تصطلح على عقل المرء وروحه.

تحت وطأة هذه الظروف بدأت طلائع الهجرة من قبل الشوام أولاً إلى العالم الجديد بقسميه الشمالي والجنوبي، وقد كانت هجرة اضطرار ذات بعد نفعي

يهدف إلى ترقية المهاجر لحياته ولظروف عيشه بعد أن استعصى العمل في الوطن، ولم لا تكوين ثروة والعودة إلى حضن الوطن في الغد البعيد بعد أن يتحرر هذا الوطن من نير الاستعمار أو الاستبداد وترتقي حياته عمرانيا وعلميا وصناعيا واجتماعيا، فلا شيء يعوض شمس الوطن وحضن الأم ومهاد الصبا ومراتع الطفولة!

وقد كان أولئك المهاجرون الأولون من خيرة أبناء لبنان وسورية من حيث الذكاء والألمعية والحس المرهف والحاسة الجمالية، لولا أن تربة الوطن لا تساعدها على النمو والازدهار بفعل التاريخ والسياسة معا.

بل إن مصطلح (الهجرة) ذاته يحيل على معان عديدة لعل أهمها الاكتشاف، النقد الذاتي فصلاح عبد الصبور يقول لأهل بلده : أباعدكم لأعرفكم، فبتغيير المكان يقترب المرء من حكم موضوعي على نفسه وعلى وطنه وناسه بخلاف النظرة من الداخل التي تعتريها الشكوك والهواجس والنزوع إلى تفخيم الـ(نحن) برغم الواقع المتردي، إن المرء من الداخل ومن موقعه لا يستطيع أن يعرف ويميز تضاريس الجبل ووهاده وشعابه ومجاريه المائية ومناطقه المعتمة والمتصحرة وغاباته وأحراشه ومكامن الجمال والخطر فيه، لكن النظر إلى الجبل من مكان مختلف وزاوية أخرى يتيح النظرة البانورامية، هكذا يقدم ميخائيل نعميه المثال وهو يتحدث عن الحكم الموضوعي والحكم الذاتي والنظر من مختلف الزوايا.

إن هجرة يسوع من الناصرة إلى مصر ثم الجليل وهجرة محمد من مكة إلى المدينة مثلاً، أحدثتا نقلة كبرى في تاريخ الديانتين المسيحية والإسلامية، ولمَ لا يتمثل أدباء المهجر بهما ويستلهمون تجربتيهما في الهجرة ويقتدون بهما، فهما رمزا التسامح والعالمية والعمل على سعادة الإنسان في كل مكان وزمان.

يظل الوطن ساكنا في المرء متشعبا في تلافيف مخه وحنايا روحه وسراديب ذاكرته، فالمرء يتنفس الوطن مع قهوة الصباح، ويشهق ذرات ذكرياته عند

الخلود إلى النوم ويتمثله أينما حل وارتحل، في سعيه إلى عمله وفي علاقاته الجديدة وعلاقاته الأسرية تتمثل له الذكريات الغائرة في بئر العمر، تنز تحنانا ووفاء، رواء الطفولة وجمال الأهلة في الشهور القمرية في ليلة تتراقص فيها النجوم فرحا ببهاء الكون وهدير الساقية وإغفاءة تحت العريشة، ثم هذا الحب الطفولي في سريته وغضاضته ولذاذاته المقموعة والمكبوتة، ولكنه في ذات الوقت وقد اندغم في وطنه الجديد مع ناسه ومشاكله الجديدة والطارئة واكتسب علاقات جديدة وخبرة مستحدثة، ورأى بأم عينيه النهضة العمرانية والصناعية والرخاء الاجتماعي، والمساواة الاجتماعية، وفاعلية دور المرأة في ترقية المجتمع والمساهمة في نشاطاته المختلفة لا يستطيع غض الطرف عن هذه الثورة الكوبرنيكية في الحياة الغربية الجديدة والطفرات العلمية والصناعية والأدبية التي أحدثتها، فهو حينئذ يجنح إلى تثمين أحسن ما في الوطن الأم تاريخا وإنسانا، وكذا أنفع ما في الغرب الحديث المتطور ويسعى للمزج بينهما عبر تركيب عقلي للوصول إلى المبتغى وهو إحداث نهضة عربية هي المنشودة.

من المفيد الإشارة إلى أن كل المهجريين والمستوطنين للعالم الجديد قد نجحوا في حياتهم المادية بعد مقاساة وكدح ومعاناة، وهذه حال كل مهاجر في كل زمان ومكان، فليس الطريق مفروشا بالورد، وليست المهاد طنافس ونمارق وحشايا مخملية بل أشد وطأة من شوق القتاد وكأن الشاعر القديم يعنيهم حين قال:

فبت كأن العائدات فرشن لـي هراساً به يعلى فراشي ويقشب

ولكن رسالتهم الحضارية هي التي نذروا أنفسهم لها، فالوطن هو القريب البعيد الحاضر والغائب في كل حين.

هكذا نشأت "الرابطة القلمية" في نيويورك عام ١٩٢٠ وضمت لفيفا من نوابغ لبنان وأدبائه مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ووليم كاتسفليس وعبد المسيح حداد وأمين الريحاني وأمين مشرق ونسيب

عريضة وغيرهم. وأنشأ إيليا أبو ماضي جريدة السمير في نيويورك لتكون سميرا ثقافيا وأدبيا للمهاجر في سماء العالم الجديد، وهذا كله بهدف احتضان الإبداع الجديد ونشره والأخذ بيد من يبتغي مساعدة أدبية في التعريف بأدبه ومواكبة للنهضة الأدبية القائمة في الشرق والتفاعل الإيجابي معها قراءة ونقدا وتمثلا في الاتجاهين. وبالموازاة مع المهجر الشمالي نشأت "العصبة الأندلسية" لجمع شتات الأدباء شعراء وكتاب في البرازيل والأرجنتين وضمت إلياس فرحات ورشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) وجورج صيدح وغيرهم وكان حصيلة هذا التلاقي بين الأدباء في الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية هذا الزخم الإبداعي بإخراج عشرات الدواوين الشعرية الجيدة والجادة والمجددة والروايات والقصص والكتب الفكرية والنقدية التي كانت زوابع وتوابع في المشرق مثل "الغربال" لميخائيل نعمية ، و"زاد المعاد" و"همس الجفون" و"العواصف "و"الأجنحة المتكسرة" و"النبي" و"الجداول" و"الخمائل" و"تذكار الماضي" وغيرها.
لقد أضافت الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية لبنة جديدة في صرح الأدب التجديدي بل حجر الزاوية منه نثرا وشعرا وامتلكت بفعل الاطلاع الجاد على الثقافتين العربية والغربية الرؤية والأدوات الفنية والمعمار الفكري والجمالي مثلها مثل جماعة الديوان وأبولو في مصر.
ومن المفيد أن نعرض هنا إلى وجه التمايز والتباين بين الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، فجماعة العصبة أمتن لغة وأجزل عبارة وأفخم لفظا وأحرص على تمثل البلاغة العربية في عصورها الزاهرة. وجماعة الرابطة القلمية أغزر معنى وأجرأ على الثورة والتمرد والخروج عن المألوف والنمطي وأكثر تساهلا مع اللغة دون الخروج على قواعدها مع الحرص على المعنى مع البساطة والسلاسة والانسيابية في التعبير (السهل الممتنع).
وفي الأخير كيف أغنى الأدب المهجري الأدب العربي ؟
إن الإجابة على هذا السؤال تفضي بنا إلى التعريج على ثنائية الشكل

والمضمون والمعنى والمبنى والموسيقى الداخلية والخارجية ولن نعتمد المماحكات البلاغية الجديدة التي ترى أن الشكل هو المضمون وأن الأسلوب هو المعنى ذاته بل ننظر في الشكل والمضمون مرتئين ثنائية الشكل والمضمون وهما المشكلان لمعمار النص وحمولته الفكرية والأيديولوجية وبعده الجمالي والفني.

لقد أرسى أدباء المهجر بتأسيس الرابطة القلمية وبظهور كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة مدونة نقدية جديدة في تجديد الأدب شعرا ونثرا وجعله ألصق بالحياة والراهن وجدت لها أتباعا كثرا في المشرق ولا تختلف هذه المدونة النقدية الهامة عن مدونة جماعة الديوان وكانت بهذه الآراء نقطة ارتكاز في صوغ دينامكية الشعر والنثر معا كقضايا الصدق الفني والتجربة الشعورية والذاتية والاختيارات اللغوية والبيانية، وفي عملية الخلق الفني والإبداع الأدبي تخلصت اللغة من التكلف والتقليد والفخامة على حساب المعنى والسلاسة وروح العصر المتميز بالتقنية والسرعة والفاعلية والمضمون، كما انفسح الخيال على آفاق رحبة من استعارات خلاقة وتشبيهات بديعة تظهر أثر التأمل والطبيعة والكون برمته في عقل ووجدان المهجري. وفي الشعر ركز المهجريون على الموسيقى الداخلية وانحازوا إلى البحور القصيرة والخفيفة كالمديد والرمل والمجزوء، ويعزى إلى محمد مندور تسمية الشعر المهجري بالأدب المهموس نظرا لخفوت الصوت وبعده عن الخطابية والجماهيرية ومنزعه التأملي.

وفي المضمون ركزوا على مبدأ الأدب للحياة فمنها استلهموا إنتاجهم الأدبي وإلى الحياة يتوجه به ممثلة في الناس والوطن والراهن ولهذا انشغلوا بهواجس فكرية كالحرية الفردية، والتثاقف، والعدالة الاجتماعية ودور المرأة في النهضة، والطفولة وضرورة التسامح الديني بين أبناء الوطن بوجود الاختلافات الإثنية والدينية والطائفية حتى لا يفني أبناء الأمة أنفسهم في الاحتراب الداخلي والتدمير الذاتي، وعرجوا على المشاكل

السياسية من تنديد بالاستعمار والاستبداد وانفتحوا بذلك على عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة دون أن نغض الطرف عن ترجماتهم لعيون الأدب الغربي شعرا ونثرا، وحرصهم على التواصل مع أدباء المشرق وصحافته، ولا أدل على تأثيرهم في الأدب العربي فكرا ومضمونا من تجدد طبع ونشر مؤلفات كثير منهم إلى اليوم ووجود قراء معجبين بهم على تباعد العهد بهم وتنائي الديار، وخاصة مؤلفات جبران خليل جبران وأمين الريحاني وميخائيل نعيمة والقروي وجورج صيدح وغيرهم. وهذا راجع لبعدها الفكري ومنزعها الجمالي وراهنيتها مما يؤدي إلى تحقيق متعة النص كما يقول رولان بارت.

يأبى لفيف من أدباء لبنان اليوم الذين اتخذوا من أقصى الأرض موطنا جديدا لهم ومستقرا إلى حين إلا مواصلة الطريق الذي اختطه الرواد الأوائل، وهكذا نشأت فكرة الأدب المهجري "من أجل نهضة ثانية" يرعاها الشاعر المبدع والأديب المتألق الدكتور جميل ميلاد الدويهي مع عصبة مبدعة مقيمة هناك، تتواصل مع لفيف من مبدعي لبنان، من شعراء وكتاب أمثال جورج طرابلسي منشئ مجلة "ألف لام" في لبنان والكاتبة المتألقة كلود أبو شقرا صاحبة مؤلفات جدية وشاعرية وصاحبة صفحة ثقافية بهذا الاسم، وشعراء كثر من الشباب ونقاد وكتاب. وهذه الرابطة الجديدة التي يتعهدها ويرأسها الدويهي ما تنفك تنشر المؤلفات الشعرية والنثرية للأدباء الشباب كما تعقد المؤتمرات الأدبية في سيدني وبيروت، وتكرم المبدعين وتنشئ الجوائز الأدبية بحسب السعة والطاقة والإمكانيات، وهي خليقة فعلا بأن تطمح إلى نهضة أدبية ثانية بعد نهضة الرواد الأوائل وثورتهم التي كانت فتحاً جديداً في عالم الإبداع والأدب.

الورقة ٢: الشاعر أحمد الحسيني- سيدني:
تجربتي في المهجر ومع "أفكار اغترابية"

كان ذلك في ربيع ألف وتسعمئة وسبعين، كنت وقتها أسامر الليل والأفكار تتراكم على رأسي، بين ماض تعيس ومستقبل مجهول لا يحلّ رموزه إلاّ الله.
وحيد فكرتي، ونزيل وحدتي في وطنٍ ترعاه الذئاب الجائعة، فقد شوّهُوا جماله، وبعثروا خيراته بين غريب حاسد ومقيم فاسد، فالعصابات لم تراعِ صورة لبنان ومعالمه الجميلة، من جباله الشاهقة، وأرزه الخالد، حيث ترتسم آيات الجمال، ولوحات كأنها من نسج الخيال صنعتها يد الخالق لتزيده رونقاً وبهاء...
أمام هذا الواقع الأليم، نهضت من تأملاتي وساعة تفكيري التي أرجحتني بين هموم الأمس، وغد مبهم لا أستطيع أن أقرأ عناوينه الخفيّة، وقررتُ أن أترك وطني لبنان الجميل إلى بلاد الغربة، وفي القلب غصّة، وفي العين حسرة...
كانت وجهة سفري إلى أستراليا، وفيها وجدت وطناً آخر، ومنزلاً يؤويني.
وكنت في وطني أهتم بالشعر ونظمه، واتقنته على يد والدي الذي كان شاعراً ألمعيّاً، صاحب صولات وجولات في الشعر والثقافة العامة، الى جانب كونه سيداً وعالماً في الدين واللغة، وذا فضل بالمعارف المختلفة.
كانت دمعة الفراق تظهر على ملامح وجهي الحزين، بعد الوداع المؤلم للوطن والأهل والأقارب.
ركبت الطائرة تاركاً ورائي كمّاً هائلاً من الذكريات الجميلة، أيّام الصبا

والمراهقة والشباب. وعندما حطت رحالنا في أستراليا، البلد المضياف الرائع، لم أستسلم لليأس ولا التعب والملل، فمنذ وصولي واظبت على نظم الشعر وكتبت كثيراً من القصائد، ونشرت دواوين، حتى جمعتني الأقدار بالشاعر والأديب الكبير جميل ميلاد الدويهي، وكان لي شرف اللقاء ومعرفتي عن كثب لكينونة هذا الشاعر العملاق، وهو ما جعلني أتنفس الصعداء، وأزدادُ إيماناً بأنني لست وحيداً في غربتي.

تواصلت مع الدويهي في الإنسانيّة، كصديق رفيع ومحترم، وفي الشعر والثقافة، وهو الشاعر والإعلامي والكاتب والمحرر اللامع في صحيفة "المستقبل" الأسترالية، وقبلها في عدة صحف، وفي الإذاعة العربية والتلفزيون العربي في سيدني.

وجميل ميلاد الدويهي مؤسس موقع "أفكار اغترابية" للأدب الراقي، ومجلّة "أفكار اغترابية - أدب وثقافة" الإلكترونية، وقد ذاع صيتهما في القارة الأسترالية والبلاد العربية والعالم، وكان جميل الدويهي يغدق على جلَّ الشعراء العرب واللبنانيين ويمدُ لهم يد المساعدة والعون، حتى غدا المنقذ للثقافة والأدب والشعر في بلاد الاغتراب، وامتدت يده المساعدة والكريمة إلى خارج أستراليا أيضاً.

والأدب المهجري لم يصعد إلى ذروة مجده، لكثرة الشعراء الذين يتسابقون لنيل الشهرة، عن طريق كتابة النثر فقط، وأغلبهم لا يعرفون فنون الشعر وقامته الرخامية، عدا قلة قليلة حافظت على النظم العمودي وتفاعيله، وقيمِه التعبيرية والجمالية، ولم تتهرب من المواجهة مع الواقع الأدبي الأصيل.

كانت "أفكار غترابية" ومؤسسها الدكتور والشاعر الكبير جميل ميلاد الدويهي يحتضنان الشعراء المخضرمين، ومن ثبتوا في مقامات الشعر بألوانه المختلفة. ولقد كنت واحداً ممّن ساروا في هذا المضمار، متنقّلاً بين الشعر العمودي، والشعر الحر، والزجل، والنثر... والدويهي نفسه يتربع في

مملكة الشعر بجميع أنواعه، كيف لا، وهو باعث الأدب المهجري ومؤسس "أفكار أغترابية" التي تضم خيرة الشعراء والأدباء في المهاجر والوطن على حد سواء؟

وكان لي شرف الانضمام إلى مجموعة الأدباء الذين اختارهم الشاعر جميل الدويهي للسفر إلى لبنان في صيف ٢٠١٩، تحت مظلة التوأمة بين مشروعه الرائد ونادي الشرق لحوار الحضارات. ولقد ضم الوفد سبعة عشر مبدعاً، أحيوا المناسبات في جميع الأراضي والمناطق اللبنانية. وشاركتُ في الوفد، فألقيت قصيدة عن لبنان، وكنت في عداد المكرمين في أكثر من مناسبة... وفي الاحتفال الكبير الذي أقامته بلدية سن الفيل، وخلال تكريم نخبة من الأدباء والمثقفين والأكاديميين، حصلت على جائزة الأديب د. جميل الدويهي "أفكار اغترابية" للأدب الراقي، تقديراً لمسيرتي الشعرية، وقد بلغتُ العقد الثامن من عمري، ولا أزال أكتب وأطمح إلى طباعة دواوين...

ولا يزال جميل يشجّعني ويشدّ من أزري، ويبدي كل استعداد لمواكبة أعمالي.

وللدكتور جميل الدويهي نشاطات أدبية في أستراليا لا تتوقّف، وكنت معه في عداد الوفد الذي توجّه إلى العاصمة الفيدرالية - كانبرا، من ضمن نخبة من الشعراء الملهمين الذين أجادوا في أشعارهم، وقدّموا صورة الحياة الأدبيّة المشرقة في مدينة سيدني.

لا يسعني أخيراً إلاّ أن أبارك أعمال الشاعر الكبير جميل الدويهي، وأثني على اهتمامه العظيم بالأدب المهجري، والنهضة الاغترابية التي نحن من أبنائها وأهلها الأوفياء.

رافع لواء الثقافة العربية في المغتربات، هو الجميل الدويهي، ويليق به أن يُذكر في الزمان، وسيُذكر مهما طالت الأيام.

الورقة ٣: الإعلامي إدمون طوق - أستراليا
نبذة عن سيرة ومسيرة لا تُنسى
في الإعلام المهجري في إستراليا - خدمة الإنسان والثقافة

حين نتحدث عن اعلامي في دنيا الاغتراب ولم يغادر وطنه. حين نتحدث عن إعلامي، جعل من توأمة الميكروفون والكاميرا وسيلة إعلامية تُذكر المغتربين بكم موطن في الانتشار يألفه المغترب، لكن حنينه دوما لأول موطن. وحين نتحدث عن الاعلام الاغترابي في استرالي، لا بد من وقفة تأمل مع أبرز مُؤسسي الاعلام الاغترابي، وأعتبر نفسي بكل تواضع واحداً من المؤسسين، الذين عملوا بصدق وإخلاص، وجعلوا من الإعلام منصة لتنوير الإنسان وثقافته، وحملوا همومه.

كنت أحلم في بناء مستقبلي في وطني لبنان الذي نشأت وعشت فترة من طفولتي وشبابي فيه، وأنا ابن مدينة بشرّي التي أنجبت المقدمين والعظماء والعباقرة، وهي مسقط رأس المفكر العالمي جبران خليل جبران الذي حمل اسم لبنان إلى العالم وأضاء به الأكوان.

بشرّي جارة الأرز الخالد في شمال لبنان حيث بدأت خطواتي في الحياة تلميذا في مدارسها، لأنتقل بعدها الى بيروت، حيث تابعت دراستي لأتخرج مهندسا في علوم الكومبيوتر، عملت بعدها في شركة طيران الشرق الأوسط. إلا أنني كنت على موعد مع وطن آخر لم أكن أعلم أنني سأستقر فيه وأقوم ببناء مشروعي الاعلامي.

في العام ١٩٨٣ وصلت الى استراليا، وكنت أعتقد أنها رحلة لن تطول. لكنها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها. واستقرت بنا

الأحوال في استراليا وليصبح هذا الاستقرار يسيرا في وطن الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية، الوطن الذي فتح الأبواب لكل مغترب ليحقق أحلامه. عملت في إختصاصي في عدة شركات تأمين لمدة عشر سنوات. وفي سنة ٢٠٠٦ أسست شركته الخاصة IMMEDIATE FINANCE PTY LTD وعملت بها حتى رجوعي مع عائلتي إلى لبنان سنة ٢٠١٣.

رحلتي مع الإعلام

بداية حلولي في أستراليا، أسست مدرسة صغيرة لتعليم اللغة العربية، حملت اسم جبران خليل جبران، وكانت كبيرة آنذاك، بالنسبة إلى حجم الجالية والدور الذي لعبته في توفير اللغة الأم لعدد كبير من الأبناء الراغبين في تعلم لغتهم الأم. وأعتقد أن تلك الخطوة المبكرة كانت دلالة على اهتمامي الثقافي والتنويري، كيف لا، وأنا ابن الدوحة البشراوية، واسم جبران يكفي وحده ليكون مدينة مشرعة الأبواب لكل أورفليسي، وكلّ مؤمن بالقيم الإنسانية الأصيلة؟

أسست بعد ذلك بفترة قصيرة أوّل إذاعة للشبيبة اللبنانية CBR، سنة ١٩٨٤، ثمّ أول تلفزيون للجاليات الإثنية - قناة ٣١ — سنة ١٩٩٤ وقد شغلت مجلس إدارتهما، وأسست أول دليل تجاري للجالية اللبنانية والعربية ABD سنة ١٩٩٤.

وفي سنة ٢٠١١. خُضت الإنتخابات البرلمانية في ولاية نيو ساوث ويلز كمرشح مستقل عن مقعد بانكستاون، وكان مفاجئاً تبوئي المركز الثالث بين سبعة مرشحين لأحزاب أسترالية، من أول مرة.

في سنة ٢٠١٢. قررت العودة نهائياً إلى الوطن الأُم لبنان مع عائلتي، زوجتي كلير، وأولادي جاستن، أمجاد، كلارمون، رائع، جوليان، وماري-كلار، مختتماً مسيرتي باحتفال وداعي رسمي وشعبي وُزِعَ خلاله على الحضور كتاب وثائقي وشريط فيلم وثائقي يختصران ٢٨ سنة من العطاءَات والتضحيات والإنجازات، مع التنويه بأن الكتاب قد أشرف عليه الدكتور

الأديب جميل الدويهي، الصديق الدائم الذي عمل آنذاك في التلفزيون العربيّ كمدير ومذيع للأخبار ومعد لبرامج سياسية.
وفي سنة ٢٠١٨. خُضت الإنتخابات البرلمانية اللبنانية، بطلب من المجتمع المدني الذي كان يؤسس لمرحلة جديدة للبنان قبل بدء ثورته الحضارية المدنية في ١٧ تشرين الأول، ضمن لائحة "كلنا وطني" عن المقعد الماروني في قضاء بشري للدائرة الثالثة التي ضمت أقضية بشري والكورة والبترون وزغرتا.
مرحلة إذاعة الشبيبة اللبنانية CBR
كما أشرت سابقاً، فإنّني بدأت خطواتي الأولى في مجال الاعلام من خلال تأسيس اذاعة الشبيبة اللبنانية سنة ١٩٨٤، التي تحولت في فترة زمنية قصيرة من مرحلة الهواية الى مرحلة الاحتراف.
من خلال عملي الاذاعي، حاولت جاهداً أن أكون صوت الشعب اللبناني والمدافع عن قضاياه، والأفكار التي آمنت بها، وتذكرني تلك الفترة بالذات، بقدموس الفينيقي الذي نقل الحرف إلى أصقاع الأرض، وحارب التنانين التي اعترضته في البحار. وتلك كانت الصعوبات التي واجهتني، فتجاوزتها بصبر الجبال وعزم لا ينكسر. وحققت نجاحا كبيرا ومميزا على الساحة الاعلامية الاغترابية تميزت بنكهة اذاعية مميزة مليئة بالذكريات التي لا تنسى والتي استقطبت المستمعين من أبناء الجالية، وقد خاطبتهم بلهجتهم، وتحسست أفراحهم وأحزانهم وحنينهم وشوقهم الى وطنهم الأم، وذلك من خلال البرامج الاذاعية المحلية المنوعة، الاجتماعية و الثقافية والتعليمية والوطنية والترفيهية التي عكست وجودهم في هذه البلاد ولبت حاجاتهم ومتطلباتهم وتفاعلت معها.
الاذاعة كانت دائمة الحضور مع الجالية، تغطي معظم النشاطات والاحتفالات والمناسبات، وتستقبل الضيوف القادمين من لبنان والعالم العربي من السياسيين والمثقفين والفنانين والاجتماعيين والرياضيين، كما

شجعت والتقت الاذاعة من خلال برامجها بالعديد من الشخصيات المحلية المتميزة بانجازاتها وتفوقها.
وكانت الإذاعة وأسرتها تقيم مناسبات يحضرها أبناء الجالية، وتقدم فيها فقرات ثقافية وفنية واسكتشات معدّة بإتقان، هذا بالإضافة إلى اللقاءات السياسية والوطنية والتاريخية مع عدد من رؤساء الجمهورية اللبنانية السابقين ورؤساء الحكومات ووزراء ونواب وشخصيات تمثل كافة أطياف الجالية، كما العديد من الشخصيات الأسترالية التي لعبت أدواراً بارزة في السياسة والقضايا الوطنية. وهذا موضوع آخر يضيق المجال بذكره والإضاءة عليه.
وأذكر من برامج الإذاعة: يا مرسال المراسيل، احكيلي عن بلدي، سهّرنا يا بو الأحباب، حكي غير شكل، ملف الحقيقة، لقاء الغنّية، ألو CBR، خبريّة وغنّية، جريدة الاسبوع، اللقاء الاذاعي، هدية وغنّية، أيامنا الحلوة للزجل اللبناني، مع الناس، ساعة وبتمرق، قصة ومثل، باقة أفكار ومعاني، خالدون، رجعوا هَلي، نادي الأفراح، سباق الأغاني، من هنا وهناك... وتدل هذه العناوين كلها على اهتمام بالغ بالثقافة والتراث، في زمن كانت الجالية في تعطش لاستذكار تاريخها ومتابعة أخبار الوطن والعيش في رحابه. وأرشيف الذكريات مليء بلقاءات الفنانين اللبنانيين والعرب الذين قدموا الى استراليا لاقامة حفلات فنية، وانفردت الاذاعة باجراء مقابلات معهم. من هؤلاء الفنانين والفنانات ماجدة الرومي، ملحم بركات، نجوى كرم، وردة الجزائرية، سميرة توفيق، صباح، وديع الصافي، غسان صليبا، دريد لحام، جوليا بطرس، بسكال صقر، راغب علامة، وليد توفيق، مايز البياع، إحسان المنذر، أحمد دوغان، محمد اسكندر، ربيع الخولي، هويدا الهاشم، وسام الأمير، ناريمان عبود، منى مرعشلي، ميشلين خليفة، ناديا مصطفى، أركان فؤاد، يوسف رحمة، بسكال مشعلاني، مادونا، عايدة أبو جودة، جورج وسوف، عاصي الحلاني،

أنطوان كرباج، أبو سليم وفرقته، ابراهيم مرعشلي، يوسف فخري، نوال الزغبي، كاظم الساهر، لحود الحدشيتي...
أما قمة الانجازات في عهد الاذاعة فقد كانت مبادرة السلام التي أعدّتها وتبنتها الاذاعة وذلك بإرسال وفود شبابية اغترابية الى لبنان لنصب خيم للسلام بيضاء على خطوط التماس التي رسمت بين أبناء القضية الواحدة، وكانت محاولة إشراك الشبيبة اللبنانية من أستراليا في تلك المبادرة علامة فارقة، حيث ربطت بين الشبيبة اللبنانية المقيمة في الخارج والوطن لبنان، وأشعرتهم بأن لهم دوراً في إحلال السلام والوئام، في لحظات حرجة من تاريخه. وقمت حينها بزيارة إلى كل من العماد ميشال عون في القصر الجمهوري في بعبدا والدكتور سمير جعجع في غدراس لتسليمهما المبادرة والموافقة عليها، لكن وللأسف لم تمض ايام قليلة على المبادرة حتى خرجت الأمور عن السيطرة وحدث ما حدث من مواجهة مأساوية ومؤلمة.
بالرغم من ان الاذاعة وعلى مدى أربعة عشر عاما من مشوارها قد طوت صفحتها، الا انها تفخر بأنها كانت دائما في خدمة الجالية وتوعيتها وتغطية شؤونها وشجونها وربطها بالوطن اثناء الحقبة التاريخية التي مر فيها لبنان والانتشار اللبناني في اقسى المراحل. هذه الاذاعة ما كانت لتستمر في إداء رسالتها الاعلامية بدون الجهود والعمل المتواصل التي بذلها العديد من الزملاء الاعلاميين، لذا وجب علينا أن نتوجه اليهم بالشكر الجزيل على عطائهم.
التلفزيون العربي ABC- TV
بعد النجاح الذي حققته الاذاعة رأيت أن يكتمل المشهد الاعلامي للجالية اللبنانية والعربية في استراليا بانشاء قناة تلفزيونية عربية، فقمت مع مجموعة تضم ممثلين إعلاميين عن باقي الجاليات الاثنية ومؤسسات الانتاج التلفزيوني في استراليا ذات الاهتمام المشترك بدراسة استغرقت مدة

عامين بغية الحصول على رخصة للبث التلفزيوني المجاني للقناة ٣١ لكي تنضم الى القنوات التلفزيونية الرئيسية وهي SBS ، ABC والقنوات السابعة والتاسعة والعاشرة.
وقمت بنفسي بتشكيل مجلس إدارة للاشراف على بث القناة بكاملها لمدة اربع وعشرين ساعة متواصلة، كما تم تشكيل مجلس إدارة آخر للاشراف على البرامج العربية التي أُطلق عليها المؤسسة العربية للارسال -ABC TV .
في العام ١٩٩٤ بدأت القناة ٣١ بثها التلفزيوني بشكل متواضع تقنيا وإداريا وفنيا، وبعد أكثر من سنتين تمت تقوية محطة ارسال القناة، ما ساعد على تطوير تقنيات وحرفية البرامج التي يتم بثها للمشاهدين.
خلال هذه الفترة كثفتُ من نشاطي وعملي الدؤوب في اتجاهين، وهما تنظيم الإدارة وتجهيز الاستوديوهات وتحضير البرامج وتدريب اعلاميي الجاليات المختلفة لتقديم برامجها، وايضاً تنظيم وتحضير البرامج وتدريب المذيعين والمذيعات للانطلاق بالبرامج العربية اليومية للمؤسسة العربية للارسال، من أجل الوصول الى شاشة ترضي مشاهديها، تبث برامج محلية تعكس حضور الجالية العربية ونشاطاتها .
في البداية تم التنسيق والتعاون مع تلفزيون لبنان، ومع وزارتي الثقافة والسياحة اللبنانيتين، ومع بعض شركات الانتاج التلفزيوني حيث تم بث بعض الأفلام الوثائقية وتشكيلة من البرامج الفنية والاستعراضية والمسلسلات، كما تمت الاستعانة بمكتبة استوديو الفن في استراليا.
وحظي التلفزيون الإثني الجديد بحضور لائق أخذ بالتطور التدريجي حتى أصبح منافسا، وتخطى كل العقبات في عالم الفضائيات والامكانيات التقنية الضخمة، وتمكن من اثبات وجوده، وحاز على اعجاب وتقدير الجاليات التي تفاعلت بالمشاهدة والمتابعة للبرامج المحلية التي انتجتها القناة والتي اكتسبت شعبية مميزة. من بين تلك البرامج العربية نذكر: ميزان الكلام،

مرآة الجالية، وجوه من بلادي، سهرتنا الليلة، أطفالنا، أغاني أغاني، لقاء الأسبوع، أغاني أيام زمان، زيارة لضيعتنا، ملف الحقيقة...
وكانت إدارة القناة تقيم احتفالات سنوية كبيرة بمناسبة تأسيسها بحضور حشد من السياسيين وسفراء الدول العربية ورؤساء وأعضاء مجالس البلديات والأحزاب السياسية والجمعيات والمؤسسات الخيرية، اضافة الى الحضور الدائم للاعلاميين من وسائل الاعلام المختلفة وحشد من المشاهدين والمشجعين. وخلال تلك الاحتفالات كانت تقدم الجوائز التقديرية لنخبة من رجال الأعمال اصحاب المؤسسات التجارية الداعمة والراعية لمسيرة تلفزيون المؤسسة العربية للارسال.
وتميز تلفزيون المؤسسة العربية للارسال بتغطية معظم النشاطات والاحتفالات والمباريات والانجازات التي حققتها الجالية، كما استضافت القناة عدداً كبيراً من الوفود من الوطن الأم التي زارت استراليا من السياسيين والفنانين والقياديين والمهتمين بالشأن العام، اضافة الى لقاءات العديد من الناشطين في مختلف المجالات من ابناء الجالية.
وبعد النجاح الكبير للتلفزيون، وبعد ضغوط من المؤسسات الإعلامية والإعلانية الكبرى توقف ارسال القناة ٣١ وسُحب الترخيص الممنوح لها، في نيسان ٢٠٠٤، حيث انتهى الحلم التلفزيوني بينما كنا في قمة النجاح والاحتراف.

الدليل التجاري ABD

بعد النجاح الذي تحدثت عنه، في مجال الاذاعة والتلفزيون، قررت خوض مجال الترويج الاعلاني والتسويق من خلال اصدار الدليل التجاري والذي تأسس عام ١٩٩٣، واستمر لسنوات عديدة، و أصبح مرجعاً يلبي احيتاجات أبناء الجالية من المعلومات الخاصة والعامة عن المؤسسات التجارية والعلمية والدينية والمهنية والجمعيات الخيرية والأندية الرياضية والأحزاب السياسية والمراكز الاجتماعية والثقافية في استراليا.

كانت شركة الدليل التجاري تحرص على اقامة حفلها السنوي لتكريم معلنيها من رجال الأعمال والعاملين فيها برعاية مسؤولين كبار من الحكومات الاسترالية وقادة المجتمع. ورؤساء غرف التجارة الاسترالية والعربية واللبنانية، حيث كان يتم توزيع جوائز شركة الدليل التجاري على مستحقيها من رجال الأعمال وبعض المبدعين من العاملين في الشركة.
كان الدليل التجاري يوزَّع على المحال التجارية والمكاتب وفي دور العبادة، وكذلك في المناسبات الدينية الكبرى، وعلى تلاميذ المدارس اللبنانية الثانوية وفي الاحتفالات العامة. ثم تطور وتوسع توزيع الدليل ليشمل وضعه أمام المنازل وعند المحال والمتاجر ووكالات بيع الصحف والمجلات الاسترالية.
لقد حاولت إدارة شركة الدليل بكل جهد وجدّية أن تخصص صفحات للمؤسسات السياحية والمصرفية والعقارية والخدماتية في لبنان لتكون بين أيدي المغتربين، وذلك خدمة للوطن الأم واقتصاده وللمغتربين في تحقيق طموحاتهم عند عودتهم للسياحة أو الاستثمار في وطنهم الأم. ولكن عدم الاستقرار الأمني والسياسي في لبنان آنذاك أعاق كل تلك الجهود.
خلاصة
عرضتُ في قليل من الصفحات مسيرة إعلامية حافلة، وورشة عمل ضخمة لبناء صروح اعلامية في بلاد الانتشار. وكنت، مع أبناء الجالية والإعلاميين، شهوداً على عصر انطلاقة الصوت والصورة العربية في استراليا، يواكبه أضخم ارشيف للبرامج والمقابلات الاذاعية والتلفزيونية العربية في استراليا، وهو مرجع لطلاب العلم الذين يطمحون الى دراسة الاعلام في الجامعات الاسترالية. ويكفيني أنني كنت أحد الاعلاميين الاوائل الذين وضعوا الاسس المتينة لوسائل إعلام عربية أصبحت تعمل اليوم في أنحاء استراليا.

الورقة ٤- الإعلامية إلهام سلطان - سوريا:
الجميل... مرايا النور - بحثه عن الخلود وحكايته مع بناء الانسان

بينما نحن في زمن الطوفان الأسود، والعواصف العشواء التي تدمر حياتنا فكرياً، وتشوه ثقافتنا وأخلاقنا وهويتنا ومبادئنا، والخمار الذي يرخي بسدوله على مساحات الضياء والأمل والحرّية في وجودنا... يطل علينا د . جميل ميلاد الدويهي بقلمة الأبيض الذي يحمل مساحات من الصفاء، والنقاء، ومن مزنات العطر، وروابي الضياء... يطل علينا بأحرف ذهبيه وكلمات قرمزية وعبارات وضاءة بزرقة الحلم، ليحملنا إلى أرض الانسانية، أرض البهاء، أرض الحق، وأرض المحبة... حاملا مشعل الحرّية، والفرح، والفكر، والثقافة والفن، والجمال وكلّ معاني الانسانية التواقة إلى الفجر وإلى حضور الشمس...

د جميل الدويهي مكتبة متنقلة، شلال هادر من الأفكار، صحائف من القيم والمبادئ. هناك من بلاد ما وراء البحار، من سدني ما زال إنتاجه يزهر، حيث أصدر ١٨ كتاباً سنة ٢٠٢١، أي بمعدل كتاب ونصف شهرياً ، إيماناً منه بأن الكلمة هي الأقوى في معركة الحضارة.

المحور الاساسي لكل كتاباته هو الانسان وبناء إنسانيته، وتحرير فكرة من القيم الزائفة، وانطلاقه إلى عالم النور، عالم المعرفة، عالم الحق، عالم الحرّية وعالم البصيرة...

ولكي نعرف جميل الدويهي الناطق بالحقّ، فلنقرأ كتبه الفكرية، وآخرها كتاب "أفكار خارج العزلة" الذي سيصدر عام ٢٠٢٢.

الدويهي يدخلنا إلى مدن تصقلنا، ويعرّفنا بأناس يوسعون آفاقنا، ويسرد لنا

حكايات تنعش أيامنا، ويضعنا أمام قصص تغني تجربتنا، فلنقرأ مثلاً قصة "الناطق بالحقّ شيطان" التي يبدأها بهذا الكلمات: "أخبروني عن رجل ترك الحضارة وذهب إلى مغارة ليقيم فيها، ويعيش على الكفاف، لاعناً البشر، وجنونهم، وشهواتهم، وقيَمهم المزيّفة"...

وبعد حوار دار بينه وبين هذا الرجل الذي يئس من البشر، يقول: "واجهتُه بنبرة العارف المتيقّن: إنّ ما تذهب إليه صحيح، لكنّ من الخطأ أن تتخلّى عن قول الحقّ لتعيش في صمت. إنّ الماء الذي يحزّ في الصخر يقطعه يوماً بعد يوم، وإذا كان البصر لا يقاوم المخرز، فالبصيرة تقاوم السيف والبندقيّة.

هزّ برأسه رافضاً أن يتزحزح من مكانه، فيئست من محاولة إقناعه برؤيتي..."

هنا تكمن القيمة الحقيقيّة لفكر الدكتور الدويهي ورسالته، في إيمانه بقوة الكلمة وإيمانه بالانسان الجريء، وقدرته على تغيير العالم: "ودّعته قائلاً: نحن مختلفان أيّها الرجل الذي لا أعرفه، فأنت شيطان أخرس، وأنا شيطان يصرخ بالصواب. وسأظلّ أكتب وأقرأ وأعظ في المدن، مؤمناً بفكرتي، وإذا كان هناك من يكرهون الكلمة، فعندي أبراجٌ لها، لا يطالها رمح قائد ولا ملك عظيم. وإذا كان في المجتمع مَن يعتقدون أنّ أظافرهم يجب أن تكون في كلّ جهة، ولا تسير مركبة أو قافلة إلاّ طوع أمرهم، فلديّ مبرد جائعٌ يلتهم الأظافر الطويلة، ومنطقي هو الأمر على الذين يأمرون بالباطل ويعجبون بأنفسهم في مرايا تظهرهم أكبر من أحجامهم أو أعظم مقاماً... صدّقني أيّها الرجل التعيس: إنّ الشجاعة تغلب الكثرة، ولا ينتصر تحت الشمس إلاّ الجريء الذي يعتبر أنّ كلامه للخلود، وأنّ سكوته أبشع من جنازته."

هنا يذكرني الدويهي بجلجامش، وسعيه للخلود بعد ان حصل على نبتة الخلود... جلجامش وايمانه بأهل أوروك كانا حقيقة واقعية، وبعد أن تأكد

من عشبة الخلود، كانت أولى الكلمات التي قالها إثر خروجه من الماء: سأحملها معي ألي أوروك المنيعة وأعطيها للشيوخ يقسمونها، ولسوف آكل منها أيضا فأعود إلى شبابي"...

لقد كان جلجامش فعلا حامياً لأوروك ولأهلها، ولهذا حينما حصل على العشبة لم يفكر بنفسه، بل بأهل أوروك أولاً، وهذا ما جعله يحتفظ بالعشبة ولا يأكل منها. ومثل هذه المواقف لا تكون ألا عند من يضحون بأنفسهم في سبيل نشر القيَم وبناء الانسان.

إن جلجامش الإنسان الذي ولد على هذه الأرض، قام ببناء مدينة حديثة ووضع فيها الأنظمة الديمقراطية، ما جعلها رائدة عصرها في تكوين الحضارة والثقافة الإنسانية، وأيضا الدكتور الدويهي الذي أشرق في عالمنا، قام ببناء مدينة المعرفة والثقافة، وجعل العالم قرية صغيرة تحمل كل القيم السامية، وأرادها مدينة فاضلة، ومدّ جسور المحبة والمعرفة بين الشرق والغرب، فهو حامل لرسالة جلجامش في سعيه للخلود، من خلال ضفائر المعرفة والنور التي ينشرها في أرجاء العالم.

وفي كتاب "افكار خارج العزلة" يتحدّث الأديب الدويهي عن زائرين، يأكلون عنده ويشربون، ولا يعرف وجوههم، وكانوا يرتدون أقنعة، ولعلّهم ظنّوا أنّه هو أيضاً يرتدي قناعاً ويظهر بغير وجهه الحقيقي.

فعلاً، نحن الغرباء في أوطاننا، نلبس أقنعة الحب ونبحث عنه... نتكلم بلسان الغير لأننا لا نتجرأ على البوح بما نرغب... زوارنا غرباء، لكل لغته، فاللغات هي للقلوب وليست للأقلام... فهلا تحدثت تلك القلوب وباحت بمكنوناتها؟

ونحن أيضاً زوار لهذا العالم الذي يدّعي المدنيه، ويحمل رواسب من ماض بائس، يقدّم إلينا عقليّته وديانته وآراءه دون انسجام. والكل مقتنع بأنه يفعل الصحيح وغيره يرتكب الخطأ.

نعم، أكل الضيوف، خرج الضيوف، دخل ضيوف... ونحن ضيوف إلى

مائدة، نرجو أن يكون عليها بعض الحُبّ، بعيداً عن الحقد والحسد والتطرف. ليت المدينة الفاضله تزورنا يوماً، تأكل عندنا وتطعمنا... ربّما يحل الوئام والمحبة النقية يوماً!

لقلمك جميل الدويهيى باقات من العطر، من الضوء، ومن المحبة الانسانية والسلام الداخلي...

إن القيمة الحقيقة للانسانية والهدف الاساسي من وجود الانسان على الأرض هو انجاز الرسالة الإلهية في بناء البشريّة وإعمار الأرض، ومباركة الأفكار والأقلام والسواعد التي تحمل هذه الرسالة. وإن بناء الانسان والاستثمار فيه هما السبيل إلى تقدّم المجتمعات والازدهار الحضاري، إذ إن الحضارات والدول لا تقاس بعمرانها وثرواتها، بل باهتمامها ببناء الانسان الذي يشكل الجزء الكبير في مسيرة الحياة، ونهوض الحضارة، ويساهم في التطوير والتوازن في هذا الكون.

نعم أيها الدويهي، الزمن والتاريخ والانسانية ستهبك الخلود وستنقشك وشماً في صفحاتتها الوضاءة، وستخلدك في ذاكرتها الابداعيه، وترسمك شمساً في سحر سمائها... وستبقى أنت أيقونة المحبة في ذاكرتنا!

الورقة ٥: الشاعرة أمال معوّض فرنجيّه
مع الأدب وأفكار اغترابيّة

هو ابن إهدن الذي أخذ من أبطالها وعباقرتها عظمة الروح التي بها يتألق...
هو ثروة فكرية ثقافية تنصاع له الحروف، ويدهشنا بشاعريته وإبداعاته.
تختمر روحه بنبيذ الخيال المعتق بالشوق.
إنه الدكتور جميل الدويهي الأمير الأهدني، كما تحلو لي تسميته. مدير تحرير جريدة "المستقبل" الأسترالية التي خصص لي فيها زاوية لنشر كتاباتي واعمالي.
صاحب مشروع "أفكار إغترابيّة" للأدب الراقي الذي أنشأه في عام ٢٠١٤، في مدينة سيدني، ومنها إلى العالم، لنشر الثقافة الراقية، فجمع القلوب قبل الثقافة بين الأدباء والشعراء والإعلاميّين حول العالم، وقرب المسافات بين القارات...
سنة ٢٠١٨، حصلتُ على جائزة الأديب د. جميل الدويهي "أفكار اغترابية" للأدب الراقي، وهي جائزة يمنحها سنويًا لمبدعين في العالم تقديراً لعطائهم الأدبي، من ضمن النهضة الفكرية الواسعة التي نشرها حول العالم.
والجائزة نفسها كانت تقديراً لأعمالي وجهودي في حقل الأدب، فأنا ابنة زغرتا إهدن، التي أنجبت كبار الأبطال والقادة والمفكرين، ومنذ الصغر عشقت الكتابة والقراءة، كتبت الشعر الحديث والقصيدة النثرية الوجدانية. وساهمت في إقامة النشاطات والأمسيات في زغرتا- إهدن، وفي الرابطة الثقافية - طرابلس. وشاركت في عدة أمسيات على معظم الأراضي اللبنانية، وكانت لي عدة لقاءات إذاعية وتلفزيونية محلية واغترابية.

وبمبادرة أخوية وتقديرية من الأديب جميل الدويهي، نشر لي زاوية خاصة أسبوعيا في جريدة" المستقبل" الأسترالية التي يعمل مديراً لتحريرها، ومشرفاً على صفحتها الثقافية، وفي موقع "أفكار إغترابيّة" وهو موقعه العالمي الذي ينشر فيه لكبار الشعراء والمبدعين من الوطن العربي وعالم الاغتراب.

كما يُنشَر لي في الحركة الإبداعية - كندا والعالم، وهي منتدى ثقافي للشاعرة الأديبة رندة رفعت شرارة، ينشر لشعراء وكتاب من كل أنحاء الوطن العربي والعالم، وأيضا يُنشَر لي في المجلة الإلكترونية "مقاربات" وهي مجلة ثقافية كان يديرها الأديب والشاعر الراحل بلال رفعت شرارة، وتضم نخبة من الشعراء العرب المقيمين وفي المهجر، وهي في توأمة مع الحركة الإبداعية - كندا والعالم.

وكذلك تُنشر بعض نصوصي في مجلة "البراعم" الاكترونية، للإعلامي اللبق الأستاذ سركيس الدويهي... وفي مجلّة "أفكار اغترابية- أدب وثقافة" التي أطلقها الأديب الدويهي منذ حوالي ٦ أشهر... وفي مواقع ومنتديات متعددة.

أصدرت ديوان "عذراء الروح" سنة ٢٠١٨، والآن أحضر لديوان آخر.

حصلت على العديد من شهادات التقدير، وكانت لي مشاركة في مجلة الآداب والفنون لمجموعة شعراء من لبنان، في ديوان مشترك عام ٢٠١٨ بعنوان "شوق على ضفاف الغروب".

وفي ٢٣ آب ٢٠١٩، وخلال زيارته إلى لبنان مع وفد من أدباء المهجر، دعوتُ إلى مهرجان تكريمي للدكتور جميل الدويهي في بلدتنا إهدن، برعاية البيت الزغرتاوي، ممثلاً برئيسه الأستاذ أنطونيو يمين في الصرح المقدس لدير مار سركيس وباخوس. قدم حفل التكريم الأديب والشاعر والمدقق والخطاط أنطونيوس أبو ملحم، وتعاقب على الكلام كل من الأستاذ محسن يمين، والإعلامي الأستاذ روبير فرنجية، مشيدَين بأعمال وثقافة الأديب المكرم الدويهي. كما ألقى رئيس البيت الزغرتاوي الأستاذ أنطونيو يمّين كلمة

باسم البيت المضيف. وكانت كلمتي مسك الختام شكرت فيها كل من تعاون معي في إنجاح هذا اللقاء التكريمي، وطيّب المناسبة الشاعر الدويهي بباقة من قصائده، وكلمة عبّر فيها عن سعادته بالعودة إلى مسقط رأسه وأهله. وكانت تلك المناسبة من أنجح النشاطات التي أقيمت للوفد الإغترابي وللدكتور جميل شخصياً في لبنان.

وفي نهاية الاحتفال قدم الدكتور جميل الدويهي جائزة "أفكار إغترابيّة" للعام ٢٠١٩ للأستاذين محسن إدمون يمين وأنطونيو إميل يمين... وبدوري رشحت اسم الإعلامي روبير فرنجية لنيل جائزة الدويهي للعام ٢٠٢١، عربون شكر مني، وتقدير لقامته الإعلامية والفكرية.

كان يوم ٢٣ آب ٢٠١٩ لقاء تاريخياً بيننا، وكانت فرحتي عظيمة بعودة الأديب الدويهي إلى اهدن مع زوجته الحبيبة الأديبة مريم الدويهي، من ضمن زيارة الوفد الإغترابي، الذي جاء إلى لبنان تحت مظلة التوأمة بين نادي الشرق لحوار الحضارات ومشروع الأديب د. جميل الدويهي "أفكار اغترابية" للأدب الراقي. وقد واكبت شخصياً زيارة الوفد، وحضرت عدة مناسبات أقيمت له، أذكر منها تكريم الوفد الثقافي الاغترابي في بلدة بشري، بقداس احتفالي في الأرز، ثم غداء، وجولة في متحف جبران، وتكريم في حديقة ماري هاسكل، حيث ألقى الشاعر الدويهي قصيدة من عيون شعره عن بشري وأهلها الطيبين الميامين، وجبران الخالد. وكذلك مهرجان حديقة الشعراء في جران - البترون للأديب والمؤرخ عبدالله أبي عبدالله، وكنت في عداد الوفد الذي ترأسه الدويهي، وكرم صاحب الحديقة بدرع تقديرية، أحضرها الدويهي معه خصيصاً من أستراليا. كما أذكر القصيدة العصماء التي ألقاها الشاعر الدويهي في المناسبة، إلى جانب شعراء كبار.

كيف بدأت معرفتي بالدويهي ؟

عبر الهاتف... بدأت مشواري معه فكريا وثقافيا. وكنت أستعد لطبع ديواني

الأول "عذراء الروح" الذي تم توقيعه في ٢٣ نيسان ٢٠١٨. وقد شرفني الدويهي بكتابة مقدمته... كما وفي السنة نفسها تقلدت جائزته التي تحمل اسمه.

هو الدكتور جميل الدويهي الإهدنيّ، ابن البلدة التي تجاور السماء... هو الشاعر الذي يكتب بحروف من ذهب وبإحساس راق، فلسفيّ النكهة. هو القلب الكبير والمحب... هو الوجه الإعلامي المتمكن في جريدة "المستقبل" الأسترالية.

مسيرتنا معاً أيها النسر ماضية ومحلقة إلى أبعد الحدود، رغم الظروف التي نعيشها في لبناننا الحبيب، وسنثبت للعالم أننا محصنون بالإيمان والأمل، ومحبتنا لوطننا مهما اشتدت المحن... فالأوطان تستمر بمحبة أبنائها، وصمودهم وأفكارهم... ومعهم تتخطى العوائق وتنهض من تحت الركام بإذن الله.

دكتور جميل لك في قلبي محبّة الأخ، ومكانة الصديق، وكل التقدير والاحترام لشخصك ولعائلتك، ولكل السادة المشاركين في هذه النهضة الأدبية، وهذا المؤتمر الثقافي. لكم التوفيق والنجاح.

الورقة ٦: الأديبة أوجيني عبود الحايك - أميركا
أفكار اغترابيّة حاضنة اللغة الأم، نهضة راقية غير مسبوقة تتميّز بالتنوع

عندما يضيق بنا أفق الوطن، نفتّش عن أفق جديد يشبه أحلامنا وتطلّعاتنا... يحرّرنا من براثن الأسر، نوضّب حقائبنا، ننظر نظرة أخيرة شاملة، كأننا نصورّ اللحظة لتكون جرعة دواء كلّما ضاقت بنا سبل الحياة أو غلبنا الشوق، كلّما اشتدّت العاصفة وعمّ الظلام... لكن مهما ابتعدنا يبقى وطن الجذور يرافقنا، نحلم بزواياه، بأرزه، بسنديانه، بدفء شاطئه، نحلم بالجلوس على مصطبة منزل قديم يعانق السكون، ونعانق في هدوئه الذكريات التي ترقد في حنايانا، تتوق إلى غمرة اللقاء بعد طول غياب... سفينة الأحلام عندما ترسو على برّ الأمان تجعلنا نصطدم مع الواقع، تشعرنا بالمسؤوليّة، نكبر فجأة، نفكّر بموضوعيّة، نعيش خلالها فصول العمر الحلوة والمُرّة...

لم أكن أغفو بدون كتاب تحت وسادتي أتصفّحه قبل النوم، حتّى كتب أولادي المدرسيّة كنت أطالع فيها، وكم كان يسعدني الجلوس بجانبهم ومشاطرتهم قراءة الصفحات كيّ أحفّزهم على القراءة... لطالما كان اليراع رفيقي الدائم... كنت أخط الرسائل لأهلي في غربتي، لكنّها كانت تسيل دموعهم، فأخذت القرار بأن أتوقّف عن المراسلة، وبدأت أهاتفهم علّني أفرحهم بسماع صوتي، بدل حبر الشوق الحزين الذي تفيض به محبرتي... ابتعدت عن الكتابة، كرّست وقتي لعائلتي، لكنّها كانت تسكنني إلى درجة تزورني في الحلم... وكنت أتلهّف لزيارتها، كنت أركض مع الأوراق، أجلس في زاوية هادئة أتصفّحها حتى يبدأ الفجر يتسلّل كالسارق وتختفي أوراقي

فجأة وتعود إلى الصندوق المقفول... كَمّ وكَمّ تساءلت عن هويّة الروح، ومَن نحن في هذه الحياة؟ كيف ولماذا تستهوينا الفنون؟ لماذا نعشق رسم الحروف؟ لماذا يخطفنا المغيب؟ لماذا نختلف؟ لماذا نتقارب؟ ولماذا نعيش هذا الصراع؟ والإجابات تبقى مبهمة، تتركنا نتكهّن، نتوهّم معرفتها للحظات خاطفة...

مرّ العمر سريعًا كان نفس الحلم يراودني، كنت في لاوعي أتوق إلى العودة إلى عالمي الخرافي الذي كنت أدخله مع أبجدية لطالما افتخرت بها، وأضأت عليها في غربتي. كنت كلّما تواجدت في مجتمع أجنبّي، أخبرهم بأنّ الفينيقيين هم من ابتكرها على شاطىء مدينة جبيل الأثريّة العريقة، التي تجاور بلدتي... أرددها بفخر، وتحفر الوطنيّة حروفها على جبيني. قلة من الأصدقاء في غربتي كانوا يشاركونني شغفي الأدبيّ، كنت أغرّد خارج سربي، حتى شاء القدر أن يفتح لي بابه الرحب. بدأت حركة التواصل الاجتماعي تنشط بطريقة غير مسبوقة، قرّبت المسافات وشرّعت الأبواب... بدأت أمسك بيراعي من جديد، وكان الحبر قد تعتّق عبر السنين، وأخطّ على دفتر أهدتني إيّاه ابنتي، وأصبح الليل زورقي... وطفقت كلماتي تلقى حفنة من الصدى... وكان قلبي يخفق بقوة مع كل تعليق من أبناء بلدتي الذين غمروني باهتمامهم، ومتابعتهم وتقديرهم، فوقّعت كتابي الأوّل "أرجوحة الذكريات" في ذاكرة بلدتي الحبيبة عمشيت في الأول من أيلول عام ٢٠١٧ محاطة بأبنائها الكرام وبأهلي وروح أبي... شعرت ذلك اليوم وكأنّني نورسة عائده إلى شاطئ الحنين الدافئ. من أروع الصدف التي حظيت بها عبر شبكة التواصل الاجتماعي دخولي "أفكار اغترابيّة"، هذا الصرح الأدبيّ الكريم والمشاركة مع نخبة من الأساتذة الكبار، من الأكاديميين والأدباء والشعراء المتميّزين الشغوفين بالكلمة وأبعادها وبحورها... حيث الاغتراب أصبح قلب الحدث، وأصبح الوطن رسالتنا، نكتبه، نتغنّى به، نبكيه، نرفعه باتجاه الضوء، ندافع عنه، نضيء على الظلم والفساد والوجع،

أصبحنا رسل كلمة، رسالتنا الحفاظ على لغتنا والتعمّق بها والإضاءة عليها وعلى كل الذين يبذلون جهدًا كبيرًا من أجل كلمة حرّة، رائدة، مغمّسة بحبر التميّز، وبتبر الحنين... حظيت بجائزة الأديب د. جميل الدويهي "أفكار إغترابيّة" في حفل اقامه نادي الشرق لحوار الحضارات في صرح بلدية سن الفيل، تكريماً لوفد أفكار اغترابية القادم من وراء البحار، في الثاني والعشرين من آب عام ٢٠١٩ في لبنان، وشاركني الوفد في توقيع كتابي الثاني "ذاكرة الحنين" في الحادي والثلاثين من شهر آب عام ٢٠١٩ في حفل ترك أعمق الأثر لدى الوفد، وإن دلّ فعلى رقيّ بلدتي وكرمها، وتفانيها وذوقها الرفيع، وشغف أهلها بالثقافة والعلم.

"أفكار إغترابيّة" حاضنة اللغة الأم، مؤسّسها الدكتور جميل الدويهي في سيدني أستراليا، نهضة راقية غير مسبوقة تتميّز بالتنوع، لا تهمّها المنافسة بقدر ما تهمّهما النهضة الكبيرة، التي تكنز المكتبات وتستغل الوقت المهدور لتترك بصمة خالدة تحمل اسم وطننا... نستمرّ مع أفكار إغترابيّة، نتعاون معها، وقريبًا بإذن الله يبصر كتابي الثالث النور معها، وسأوقّعه تحت سماء بلدتي الغالية حيث يفوح الياسمين من عبق طفولتي، وحين يتوارى الضباب القاتم وتنقشع غيوم الهمّ والوجع التي تعبر في سماء الوطن، فتُقرع أجراس الفرح، وتعود المهرجانات إلى الساحات ويعزف في الذاكرة نشيد بلدتي البهي. أفكار إغترابيّة كريمة، حوّلت فصول الغربة الجرداء إلى واحات خصبة، نتنفّس معها هواء شواطئنا، تنهل من فلسفتها، تحفّزك، فتتعمّق بقراءة أدب رفيع متنوّع، يشبه حديقة غنّاء تدخلها، تدهشك روعتها وعبير أزهارها... ألوانها متعدّدة، دمغة، بصمة ستبقى على رفوف العمر، لا يفرّقها اللون أو العرق والدين. هذه النهضة الأدبيّة تتميّز بالانفتاح ورقي التعامل، تشع في سماء الغربة، تتواصل مع أدباء وشعراء الوطن الأم والعالم العربيّ، تنشر الثقافة، وتجتهد إلى حدّ الثمالة... يا لروعة هذا الشغف الأدبّي الذي يلوّن سطور الحياة حتى في أيام

القحط والعتمة!... فنحلّق مع اليراع في أثير خاشع، نختبر الروحانيّة، نتجرّد عن الماديّات، نرتدي عباءة بيضاء نورانيّة تدهش العتمة، فتتوارى... الكلمة هي النور، هي مرآة الروح ومفتاح الخيال، هي الأرض المعطاء، أرض الخير التي تثمر وتعطي بدون منّة، لأنها أرض الأصالة... مهما أقفلنا الصفحات فهناك دومًا صفحة بيضاء لا تُقفَل، لا تعرف الحقد والضغينة، شغوفة بالحبر... تنتظر خرطشاتنا، كما تنتظر الأرض تناثر الثلوج البيضاء لتحيك من نتفها ثوب عرسها الأسطوريّ... عرس الأبجديّة التي وإن ارتحلنا، باقية، تزهر مع الأجيال.

الورقة ٧ الدكتور جان توما- لبنان:
جميل الدويهي حامل "الكشّة" من ورق

عرفته زميلًا في التعليم الجامعيّ في جامعة سيدة اللويزة، فكان إذا جالسته ترى إلى يمينه المتنبي، وإلى يساره أبا فراس، وأمامه وخلفه رفّ من وجوه الشعر العربيّ، في مختلف عصوره، تتساير على إيقاع المعلّقات والقصائد، فلا تخرج معه إلى فضائه، إذ تخشى أن تتوه في ملاعبه، وهي فسيحات تحتاج معها إلى بوصلة كي لا تعثر عيناك بقصيدة، ولا تقع على سطوح أبيات الشعر لئلا تصير مثله، حسب وصف عمر بن أبي ربيعة:

أَخا سَفَرٍ جَوّابَ أَرضٍ تَقاذَفَت
بِهِ فَلَواتٌ فَهوَ أَشعَثُ أَغبَرُ

كان صعبا على جميل الدويهي أن ينسلخ بين قارتين، آسيا واستراليا، وأن يترك وهاد لبنان والضباب المتصاعد من وادي القديسين الذي عاش فيه إلى تلّة إهدن، كأنّك تطلب من التهجئة أن تغادر أيك حروفها، أو كأنّ تطلب من حروفيّة الخطّ العربيّ أن تتغاضى عن حفافي الجمال، أو كأنّ تخلع الليالي عباءات النور الذي يتسلّل إليها من كبكوب صوف الأمّهات المصلّيات عند الفجر لأحبّة غادروا وما عادوا.

حين حمل جميل الدويهي "الكشّة" وارتحل إلى استراليا، لم يخجل من نقطة تفتيش الجمارك حين لم يعثروا فيها على ألبسة وأطعمة من حواضر البيت اللبنانيّ العتيق التقليديّة، بل عثروا على سبحة من لغة تعلّق بها المغادر إليها في كل آن. حمل معه قاموسه الشعريّ، وطاف به في استراليا. حاول بلسان عربي مبين أن يقول كلمته، فقالها شعرًا وندوات وطباعة

ونشرًا، حتى صار للكتاب العربيّ مرقد عنزة هناك، وساد الألق الذي يستحقه في ديار الاغتراب. لكن جميل الدويهي لم يقل كلمته بعد، شأنه شأن العارفين بخوابي اللغة التي لا تنضب، بل تبقي الإنسان قائمًا في "المَلْهَم"، وهو المكان المعاصر الذي يستسيغه أهل القلم، فيما كان قديمًا هو "عبقر"، لكن الدويهي المعاصر للكلمة، وإن ساد في خزائن عقله وألباب قلبه شِعْرُ العصور العربيّة، لا يرى شياطين عبقر في المُلْهَمين، بل يرى بركات المولى ومداد الفكر المعبّر عن تلك المواهب المنحدرة من فوق، تسكن الحبر فيحيلها الكاتب إلى ما يخدم البشريّة في رقيّها، وفي سعيها إلى الأفضل والأجمل والأحلى.

لقد استطاع جميل الدويهي أن يؤسّس لجمهوريته الفاضلة، أو أورفليسه البحريّة، تلك التي يسعى إليها المثقفون العابرون حدود القارات ليستقروا كالأحرف في بادية الألف والياء، حيث واحات الكتابة متوافرة، وحيث قام الدويهي بما عجزت عنه مؤسسات في رعاية المواهب النابضة بلاغة وإبلاغًا، فإن قاربْتَ صفحته تجد عليها الأقلام المتنوّعة المشارب والألوان والانتماءات، في وحدة قول مكتوب أو منطوق ترافقه، تتقاسم معه كسرة الخبز، ولا يتنازل عن حبّة ملح منها، بل بقيت اللغة عنده كاملة السنّ، راشدة، تغرف من تجربته الأدبيّة، فيعبّر عنها بنصوص يطبعها يوزّعها، كما يطبع لكثيرين غيره، إيمانًا منه أنّ النصّ العربيّ مُعلّم ومُلهم، وأنّ النصّ متى صدر عن يراع الكاتب خرج ولم يعد، إذ يصير حقيبة سفر تائهة، أو "كشّة" بين مطارات العقل ومؤانى القلوب.

ما بال جميل الدويهي، كما تشير الكلمات فيه من متابعيه، ينصب خيامه في حواضر عواصم العالم، يرفع حرف ألف البداية في مواجهة التحدّيات؟ وما باله يرسم الجدول والتلّة وبيادر الزجل وسهول الشعر ووروابي النثر ناقلا أغاني فلاحيّ بلاده وصياديّ شاطىء لبنانه إلى أصقاع الدنيا؟ كأنّه يريد أن يقول: هذه بلادي وجمالها فجئني بمثلها. هو وطن الضلوع وأغاني

الربوع، سقاه، كما المغتربون، بالشوق والدموع في غربة طالت عند كثيرين لأنّ الوطن ما زال يعاني، كأنّ قدره أن يبقى متوجّعًا من عدم استقرار، فيما إنسانه يعاني في خضّم تقلّبات الأحداث المتواترة.
هي نهضة اغترابيّة شافية، ولكنها من قلب الوطن المجروح، فالكلام من الكلم، والكلم هو الجرح، وستبقى الكتابة، كما الأوطان، جرحًا مفتوحًا ينزف منه الكتّاب، فيعبّرون بدم القلوب عن معاناتهم وأوجاعهم وآلامهم فيما ينظرون إلى نور القيامة وإليها يجنحون.
جميل الدويهي يضيء فتيلًا في وجه الريح، من آخر الدنيا، ليدفأ العالم.

الورقة ٨- الدكتور جودت ابراهيم - سوريا:
قصيدة فلسطين للشاعرة خوانا ديب من الأرجنتين

خوانا "حنّه" ديب. شاعرة أرجنتينية من أصل عربي سوري. لغتُها الأسبانية، ولكنّ نفَسَها عربيٌ، وقلبَها عربي. أصدرت عدة دواوينَ شعرية منها:

١. EL MILAGRO DE UNA ROSA "أعجوبة وردة ".

وهذه مجموعة شعرية استقبلتها الأوساط الأدبية الأرجنتينية بالتقدير والإعجاب. وقفت الشاعرة ديوانها على تمجيد وطنِ آبائها، فغنتهُ أعذبَ ألحانها، وأحلى أناشيدها.

٢. LAS DORADAS POEMAS ديوان "المذهبات ".

وتعني به المعلّقات التي تكتبُ بماء الذهب وتُعلّقُ بستائر الكعبة. وقد انصرفت الشاعرة فيه إلى التغني –كلّياً- بتاريخ أجدادها وأدبهم، وأدبائِهم، وشِعرهم وشُعرائهم... والغريبُ أن الشاعرة على الرغم من عدم إلمامها باللغة العربية فإنّها لم تتركْ شخصيّة تاريخيّة أو أدبيّة عربية دون أن تتوقف عندها. ولا أدري كيف اهتدت إلى النفيس من آثارهم لكي تصنعهم وتتغنّى بهم بشعرها الثمانيِ التفعيلة. فقد تغنَّت بَطرَفة بن العبد، وامرئ القيس، والحارث بن حلزة اليشكري، وابن الفارض والمتنبي... وبشخصيّات تاريخية ودينيّة، كالخليفة عمر بن الخطاب وأمثاله. وقد أنشدت للأرز ووردة دمشق والناي، ولعذراء صيدنايا... ولسوريةَ ولبنانَ وفلسطين، والأردن والعراق ولتونس والمغرب وليبيا، وغيرها من البلدان العربية، والديوان كله عربي بعربي وقصيدتها فلسطين من هذا الديوان.

٣. ديوان LAS DOS VERTIENTES "الينبوعان".
والينبوعان إشارة إلى وطن أجداد الشاعرة: سورية، وإلى وطنها الأرجنتين، الينبوعين اللذين نهلت الشاعرة منهما وحيَها المرهفَ، وسكبتْه في هذا الديوان، تبدو خوانا ديب في هذا الديوان وكأنَّها ضربٌ من ضروب عشتار الإلهة السورية –البابلية.
خوانا تمثّل تحوّل المرأة العربية الأسطورية التي تلِدُ وتموتُ وتبعثُ. تلِدُ في أرض الآلهة سورية، وتموت في الباخرة التي ترسي في بوينس آيرس، وتُبعَثُ في "سالطا" الجميلة تُمَوْسِقُ الكلمةَ في سيمفونيّاتٍ تذكّرنا بقيثارات "أور" و"أوغاريت"، وتحيي خوانا بكَرَمِها الروحي، وجودِها الشعري أساطيرَ الرباب والعودِ، والتنّور، ووردة دمشق، والدُّرر الشرقية، وكلَّ سحرٍ حبلَت به سوريةُ- الوطن الأم. إنّها تخلَقُ أجنحةً لبيروت ودمشق، وفلسطين وغيرها وتنقلها إلى الأرجنتين إلى القارة الأميركية مازجة الينبوعين في ينبوعٍ واحدٍ، ويتدفق رقراقاً وشفافاً كندى الدموع. ومنه قولها:

عندما يكون لك وطنان
أحدهما سورية
فالوطن الآخر بلا شك
سيكون: الأرجنتين...

٤- قصيدة فلسطين Palestina، ترجمة د. ميشيل نعمان:

"كمْ هي جميلةً كانت بيروت،
ونحن نيامٌ لا نزال،
على وشوشة أشجارِ الأرز،
والبِحارِ الزرقاء!"
يا فلسطينُ... يا فلسطين...
أنتِ أرضُ الشهادة
أنتِ ممزّقة...

أنتِ زهرةٌ دامية...
وهذا منذ سنين!... ومنذ أجيال!...
قسّموكِ... قسمّوكِ...
وتكلّلتِ، على الدوامِ، بالأشواك...
وأوراقُ أزهاركِ تفوحُ عطراً
حتى وهي تُعْصَرُ ألماً...
كنتِ تسيرين... كنتِ تسيرين...
على دروبِ المسيح،
مع مسبحةٍ من الرملِ،
صَنَعَتْها أقدامُ الأطفال...
وكنتِ تُصلّين... كنتِ تُصلين
مع نَبيّكِ المختارِ،
عندما تُجْرَح الأمسياتُ،
في آفاقِك الضاربة إلى الاحمرارِ...
كمْ مِنْ القنابلِ!... كَمْ من القنابل!...
كم سمعْنا من قنابل!
فيا للأجواءِ الثائرة،
أجواءِ الغضبِ الهادر...
كم من دبّاباتٍ!... كم من دبّابات!...
تتالتْ على طرقِكِ!
فيا للنيرانِ الثائرة،
نيرانِ الغضبِ المجنون...
يا له من سكون!... يا له من سكون!...
سكون الأطفالِ الملائكةِ،
هذهِ البراعمُ المتكاثرةُ،

في زُرْقةِ السماءِ اللا متناهية...
كمْ مِنَ ظمأٍ!... كم من ظمأٍ!...
أرواه أبناؤكِ!
وكم من جوعٍ، سدّه أبناؤكِ
على مائدة الإله!
كمْ من سواعدَ!... كم من سواعد!...
كم من سواعدَ ممتّدةٍ!
كم من سواعدَ امتدّتْ من لبنانَ
فاتّحدتْ مع ذبيحتِكِ!
كم من شجون!... كم من شجون!...
في صفوفِ السوريينَ!...
وكم من مراثٍ!... كم من مراثٍ
في أرضِ الليبيّين!
كم من أصواتٍ!... كم من أصواتٍ
تعالتْ أمامَ قَدَرِكِ!
وكم ذُرَّتْ من أملاح
في الترابِ الحزين!...
يا فلسطينُ... يا فلسطين...
أنتِ أرضُ الشهادةِ...
فأمامَ حُكمِ العالم
أَتخذُّ اللهَ شاهداً...
"كم هي جميلةً كانت بيروت،
ونحن نيامٌ لا نزال،
على وشوشةِ أشجارِ الأرزِ،
والبحار الزرقاء!"

زارت الشاعرة سورية ولبنان في صيف/ ٢٠٠٠ م، وزرتها أنا وزوجتي د. ولادة نادر في قرية تومين التي تقع على سد الرستن وتعارفنا، ثم دعوتها بالتنسيق مع مجلس رابطة الخريجين الجامعيين بحمص لأمسية شعرية تُخصص لها، وأقيم الأمسية بحضور عدد كبير من الحضور الذين تفاعلوا مع شعرها الذي ألقته باللغة الاسبانية، وقرأت أنا (د. جودت إبراهيم) ترجمته باللغة العربية، وكنت قد بدأت الأمسية بالتعريف بالشاعرة وبدواوينها... كانت أمسية رائعة جداً لا يمحوها الزمن من ذاكرتنا... أليس هذا الشعر وهذه السيرة الذاتية للشاعرة خوانا ديب تندرج ضمن مشروع النهضة الاغترابية الذي يقوده ويدعمه المبدع الجميل الدكتور جميل الدويهي ؟!

الورقة ٩- الدكتور جودت ابراهيم - سوريا (٢):
عادل ناصيف شاعر فذّ من شعراء النهضة الاغترابية الثانية
شاعراً وإنساناً

كنت فتى في مقتبل العمر حين سمعت لأول مرّة باسم عادل ناصيف كاسمٍ مهمٍ في قرية الكيمة وغيرها لأسباب كثيرة لسنا بصدد ذكرها الان، اسم يردده الناس إيجاباً في وادي النضارة الواسع الجميل، ومن هنا ارتبط اسمه بذاكرتي التي لها وظيفتان: الحفظ والنسيان، ولكن هذا الاسم بقي في ذاكرتي التي لم تنسَه أبداً.

بعد أن أصبحت عضواً في الهيئة التدريسية في جامعة البعث بحمص كلفت في نهاية التسعينيات أو بداية الألفية الثالثة بالمشاركة في لجان المؤتمر التربوي لتطوير التعليم الذي أعدت له وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية، وأثناء الجلسات عرفت أن عادل ناصيف يعمل في وزارة التربية بصفة موجّه أول للغة العربية، فدخلت إلى مكتبه وسلمت عليه وعرّفته بنفسي وسررت بلقائه.

تباعدت بيننا الأيام والأماكن إلى منتصف العقد الثاني من الألفية الثالثة عندما انتشرت بقوة في العالم وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك، فظهر أمامي عادل ناصيف بصفته شاعراً على صفحات الفيس بوك معلّقاً على مقابلة معي في التلفزيون العربي السوري محيياً (فرددت التحية بأحسن منها) كما يقول... فأصبحنا صديقين في العالم الافتراضي، ووجدت به شاعراً مختلفاً جداً مبنىً ومعنىً ووطنية، فازداد التواصل بيننا وأخذت اهتم بشعره الذي وجدته يرقى إلى مصاف الشعراء الكبار في عصورنا الأدبية

المختلفة، ووصفت بعض قصائده بالمعلقات، ولا أبالغ في ذلك... شعره ينضح وطنية وإنسانية في وقت وقف فيه كثير من الشعراء على الحياد من القضايا الوطنية الكبرى في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين أو وقفوا في الصف الآخر متفرجين، أو يصفقون لأعداء الوطن والإنسانية.
منذ عدة أسابيع تواصل معي الشاعر عادل ناصيف من مغتربه القسري ليعلمني بقدومه إلى سورية بلده الذي يعشق والذي سخّر جلّ عمره في محبته وخدمته.
سارعت إلى لقائه الذي أسعدني كثيراً، ورتبنا له لقاءات مع رابطة الخريجين الجامعيين واتحاد الكتاب العرب وطلابي في الدراسات العليا: الماجستير والدكتوراه وبعض الشعراء الأصدقاء والمهتمين، وأمسيات شعرية في رابطة الخريجين الجامعيين والمراكز الثقافية وغير ذلك، وكل ذلك قليل على هذا الشاعر الوطني الكبير.
عادل الناصيف مدرس وكاتب وشاعر من مواليد قرية الكيمة عام ١٩٤٢.
إنسان متعدد العطاءات، مثقّف، محدّث، يكتب الشعر بالفصحى الراقية، ينظم شعره بالطريقة الخليلية مليئاً بالخواطر والحوادث، والقصص المنتقاة من الواقع وحياة الناس الذين يعرفهم ويعيش معهم. تعرّف الأستاذ عادل على تقنيات كتابة الشعر عبر المدارس والجامعات، وهو بارع في استرجاع المعلومات من ذاكرته المزدحمة بالحوادث والموضوعات والقضايا والذكريات، ذاكرته مدهشة، يدخل إلى أعماق الناس الذين يتعامل معهم... ويكشف عن خبايا واقعه، محبّ ووطني في وقت لم يعد فيه للحب معنى مهم... يقول: " في الثامن من إيّار من كلّ عام، وأنا بعيدٌ عن وطني، أشعر بارتعاش غريب في كل أنحاء جسدي، شراييني تتصلّب ويداي ترتجفان والعرق يتصبّب من جميع أجزاء جسدي حتى أوراقي تتساقط أمامي وتتناثر كما تتناثر أوراق شجر التفاح بين أقدام عاصفة رملية هوجاء، وريشتي يصيبها الشلل وهالة سوداء تحيط بي يا الله! لمَ كل هذا؟

ولماذا في مثل هذا اليوم بالذات ؟ فأنتفض على نفسي بكل هدوء وأتأنّق وألبس ما توفّر لي من ثياب جديدة لأستقبل الأبناء والأحفاد مهنّئين بيوم مولدي فأعيش معهم إنساناً آخر وُلِدَ من جديد يتقبّل الحياة بكل ما تحمل من أفراح وأتراح بعين راضية ونفس مطمئنّة لما تجلبه إليَّ الورقة التاسعة والسبعون من مفاجآت. وما إنْ أنفرد بنفسي حتى أعود إلى مأساة وطني فألجأ إلى الشعر عسى أن يخفّف من حالي المأسوية التي أعيشها في هذه اللحظة وينقلني إلى كوكب آخر يُعيدُ لي توازني ويُرجعني إلى ساحتي الطبيعية وملعبي الحقيقي، وفجأةً في هذا العام حملني الشعرُ إلى حضنِ أمّي وبيت أبي ذي الطابقين والمسقوف بالقرميد الأحمر المبنيّ منذ أكثر من أربعمئة سنة بالحجر الأسود والأبيض، لم تنلْ منه عوامل الطبيعة على قسوتها وجبروتها بل بقي صامداً في وجه الريح ومعلماً من معالم ضيعتي (الكيمة) الشامخة على إحدى روابي وادي النضارة في وطني الحبيب سورية المزهوّ بحضارته ونضارته وطيب مائه ونقاء هوائه وصفاء أهله وساكنيه.

أرجعني الشعر في هذا اليوم إلى أترابي وأصدقائي وأبناء حارتي الذين يرحلون معي أين ارتحلت، وأبناء ضيعتي الذين أحمل لهم المودة والاحترام، أعادني تلميذاً في مدرسة الكيمة الرسمية التي أفتخر بها وأعتزّ بأنها أقدم مدرسة بُنِيَتْ في وادي النصارى بأمر من القياصرة الروس في ذلك الزمن وعلى نفقتهم الخاصة.

أعادني طالباً في ثانوية النهضة وثانوية القديس بطرس في مرمريتا والثانوية الحصينة في المزينة، أعادني إلى جامعة دمشق.

أعادني إلى سورية الأمان، سورية الحضارة، سوريا المحبة، سورية التاريخ، سورية المجد والكرامة، أعادني إلى الشعب السوري الطَّيِّب والراقي بمزيجه السلالي المتجانس الذي استطاع أن ينتج هذه الثقافة المادية الروحية التي أسهمت في تقدم الإنسانية عامة.

لقد فرشَ الشعر أمامي مصوّر سورية وتاريخ سوريا فانحنيت أمامها انحناء

العابد الناسك أمام رَبّه. لقد حملني الشعر في يوم ميلادي إلى مدينة القامشلي طالباً في الصف الأول الثانوي في عام ١٩٥٩ حين أستنفرنا جميعاً إلى بلدة عامودا حاملين الفؤوس والرفوش والمعاول لإنقاذ طلاب مدرستها التي التهمتها النيران على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم. لقد كان الوطن فوق الجميع ، والدين يجمعنا على مائدة المحبة والتسامح..."
شارك عادل الناصيف في المهرجان الكبير الذي أقامته رابطة المحاربين القدماء في عام ١٩٦١ بمناسبة ذكرى وعد بالفور المشؤوم وسلخ لواء إسكندريون وثورة الجزائر وقد ألقى في هذه المناسبة كلمة اتحاد الطلبة وتمّ اختياره عريفاً لهذا المهرجان، وتمّ اختياره عضواً في مجلس الإدارة لمجلة "صدى الخابور " برئاسة الإعلامي يعقوب شلّمي وقد صدر منها عددان أو ثلاثة.
أخذه الشعر إلى حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ حين كان ضابطاً في الجيش العربي السوري وهو يحمل صحيفة المقاتل التي كان يحررها يوميّاً بالتعاون مع أحد زملائه في خدمة العلم ويذهب بها إلى المقاتلين في خط النار، كلّاً في خندقه تحفّزهم على القتال والنضال لتحرير الوطن والإنسان إضافةً إلى تحريره مجلة "الفرسان" التي كان يقوم بتحريرها مع الملازم الدكتور أحمد داود كتابة بخط اليد في البدايات قبل أن تتم طباعتها ونشرها رسميّاً، ثمّ أعاده الشعر إلى اليوم الذي وقفَ فيه أمام الرئيس حافظ الأسد مرتجلاً هذه الأبيات ردّاً على من قال لسيادته ممازحاً إنّ قريحة الملازم عادل ناصيف جفّت في هذه الحرب نوردها كما ارتجلها أمامه تماماً دون أي تعديل:

تفجّري يا عيونَ الشعرِ وانهمري
وأورقي يا غصونَ الأيكِ وازدهري
وكلّلي يا شموسَ المجدِ دوحتنا
فكلّ شبرٍ بأرضي نيطَ بالعِبَرِ

قالوا: نضبتِ وما في الكأسِ من بللٍ
وجفَّ ماؤكِ رغمَ الدفقِ بالمطرِ
فأسمعينا نشيداً كنتُ أحبسهُ
خلفَ الجدار وغنّي نشوةَ الظفرِ
يا فارسَ البعثِ لم تنضبْ جداولنا
سأكتبُ الشعر لو نقشاً على حجرِ
بالأمسِ أكتبه حبراً على ورقٍ
واليوم بالمدفع الرشّاش بالشررِ.

ثمَّ أعاده الشعر إلى دمشق مديراً لثانوية فريز مالك، و(موجّه أول لمادة اللغة العربية) ومديراً لمجلة المعلم العربي في وزارة التربية، ومديراً للتخطيط والإحصاء فيها. أمضى الأستاذ عادل أربعة وأربعين عاماً في تدريس اللغة العربية وآدابها، وإعداد كتب اللغة العربية وتأليفها للمرحلة الثانوية، ومعهد إعداد المدرسين، وإعداد منهاج اللغة العربية لمعهد البيان الدولي للمرحلة الثانوية في دولة البحرين، وإعداد كتب التربية المسيحية لجميع المراحل التربوية في وزارة التربية. وأُحيل إلى التقاعد لبلوغه السن القانونية عام ٢٠٠٣. لكن الشعر أبى أن يحمله إلى سورية متذرّعاً بأنّه أصبح غريباً عنها وأنها أصبحت غريبة عنه فقال: إن سورية اليوم ليست كالأمس. كلّ شيء تبدّل وتغيّر. مات فيها الشجرْ، وفيها ذاب الحجرْ ، وتعفّنت فيها نفوس البشرْ، قُرى تُهجَّر وتُبادْ، مدنٌ تدمّرْ أطفال تُذبحْ نساء تُقَطَّع أرحامُها، فيها تؤكل الأكباد وتُحرَق الأحياء. إنّ السوريين اليوم يقتل بعضهم بعضاً. لقد انقسم الله فيها على نفسه، إله صحراويّ قاتلٌ غريب جاءها من بعيد يلتذّ بالدم، وإله رحوم عطوف رؤوف يُقتَلُ كل يوم ويُذبح في كل لحظة.

سأدَعُك هنا في غربتك تنام حالماً وتستيقظ حالماً بسورية الماضي وشعبها العظيم وتبقى صورتها النقية الصافية أمام عينيك محراباً وهيكلاً تتعبّد فيهما

معاً وتسجد لله الذي قتلوه ودفنوه في عيون أطفالها وأكبادهم. يقول:
استنجدتُ بشيطانِ شعري فخاطبني الشعر هازئاً : لم يبق لك بعد اليوم شيطان أو ملاك لشعرك وقوافيك. لقد فرّ ملاك الشعر وشيطانه منذ تسع سنوات مضت، وتوالدت شياطين جدد وقرود وسعادين جاءت من أقاصي الأرض لتذبح الجَمال وتقتل المحبة في وطن المحبة، لقد فقؤوا عيون الشعر ونتّفوا قوافيه كما تتنتّف الورود على قبور الموتى. لقد أصبح ياسمين دمشق أحمر له رائحة الدم، وسواقي بردى جفّت مآقيها ونشفت عروقها، حُمص شاخت وعاصيها شابت نواصيه، ووجه ديك الجن الحمصي الوردي شحبَ واسودّ، وقدّه المياس انحنى على عكازين من القصب. حلب ما عادت حلباً التي تعرفها، وأبو العلاء المعري أبى إلّا أن يكون في عداد الشهداء دفاعاً عن الشعر والشعراء فقطعوا رأسه في المعرة من جديد. لقد هشّموا اللغة الفصحى وجرّحوها فماتت الكلمات في أفواه الشعراء والكتّاب. أخاف عليك من الموت المفاجئ إذا رسمتُها لك كما هي الآن. أيها الشاعر المجنون ماذا أعدّد لك ؟ وإذا كنت تبحث عن ملاكٍ للشعر فلن تجد له أثراً. كُنْ عاقلاً ودعْ يوم ميلادك يمرّ بهدوء...
كيف للشاعر عادل ناصيف أن يهدأ ويستريح وهو مُحاصَرٌ بمأساة وطنه وأحزان أهله وأخوته ورفاقه ؟ فقال:

أنا يا شعرُ ما نضبتْ حروف
لها في كلِّ جارحةٍ دبيبُ
تأنّقْ فالشآمُ لها امتدادٌ
بقلبي واللقاءُ بها قريبُ
وجمّلْ ثوبَ عرسِك واصطحبْني
هناك العرسُ والنغَمُ الطروبُ
غداً يا شعرُ تزهرُّ الأماني
وتخضرُّ المدارجُ والدروبُ

وتحيا سوريا أرضاً وشعباً
وتأتلفُ السواعدُ والقلوبُ
ويجمعنا بها عصَبٌ وعرقٌ
ومئذنةٌ يعانقُها صليبُ...

كيف للشاعر أن يفرح وهو هناك غريب القلب واليد واللسان، بعيدٌ عن وطنه وأحبّائه وهم يتقاتلون، الأخ يقتل أخاه دون أن يدري، والأب يقتل ابنه دون علم به؟ وكيفَ يدَعُ يومَ مولده يمرُّ بهدوء وهو بعيدٌ عن مكان مولده الذي مازال يعبق برائحة أمه ويختزن صوتها الدافئ وصوت أبيه الجميل الذي يصدح في كل أنحاء البيت بعذوبة وحنان... يصحبه معه إلى الكنيسة في أيام الآحاد ليرنّم ويرتّل مع كاهن الضيعة بصوته الدافئ العذب فيشعر وهو في حضنه بالأمان؟ فيطيب له أن يصلّي ضارعاً:

يا ربُّ لا ترفضْ صلاتي إنّني
ما كنتُ يوماً جاحداً وضليلا
هلّا لمستَ الجرحَ بي ومسحتَه
ورويتَ منّي في الضلوعِ غليلًا
ورميتني في أرضِ أجدادي ولوْ
جسداً على هضَباتِها مشلولا
أشتمُّ رائحةَ التي أحببتُها
ماءً نسيماً عاطراً وعليلا
هي كيمةُ الوادي عشقتُ ترابَها
والقلبُ فيها لمْ يزلْ متبولا...

ويعاتب الشعرَ فيقول له: لماذا أيها الشعرُ تعصفُ بي وبكبريائي؟ أنسيتَ صداقتنا وحبنا الأزلي الذي لا يموت؟ ألستَ أنت القائل:

سأعود أحمل فوق ظهري غربتي لا الشيبُ يمنعني ولا الأقدارُ
لا ينهضُ البازي بغيرِ جناحِه وبلا الثرى لا تنبتُ الأشجارُ...

وجئتَ الآن تقول لي دعْ يومَ ميلادك يمرّ بهدوء؟ لا أظنُّ أنّك جادٌّ في ما تقول. إنّ وطني يناديني وأبناءَ حارتي ينادونني هيّا إلى ضيعتك وأهلك وأحبابك، إنّ سوريا ستبقى شامخة عالية الجبين عاصيةً على الغزاة وما مرّ بها غيمة صيف لا بدّ أن تنقشع وتزول.

آه يا شامُ كيفَ أكتبُ شعراً
وحروفي كغوطتيكِ رمادُ
قتلتنا نوازعُ الدينِ فينا
ورمانا عن الجوادِ الفسادُ
لهفَ نفسي على بلادٍ تهاوت
وهيَ صرعى وأهلُها الجلّادُ
اجمعوا الشملَ يا رجال بلادي
ذروةُ الخزيِ أن تضيعَ البلادُ...

أستحلفكم بوطنكم بأرضكم الطاهرة المقدسة، أستحلفكم بكل قطرة دمٍ سوريٍّ أُريق، وبكلّ تنهدات امرأة ثكلى، وصراخ أب مفجوع. أستحلفكم بدماء الأطفال المتناثرة في شوارع حلب وحمص وادلب، أستحلفكم ببردى. أستحلفكم بأشجار الغوطة وعصافيرها. أستحلفكم بحمص بحلب باللاذقية بالقامشلي بصيدنايا بمعلولا... أستحلفكم بالجامع الأموي بالسيدة زينب أستحلفكم بسوريا استحلفكم بالله العظيم الذي لا إله إلّا هو، بالقرآن والإنجيل. أستحلفكم أن ترموا سلاحكم وتحفظوه ليوم عصيب آتٍ فيتقدّس السلاح في أيديكم وتعود له حرمته وجلاله. تعانقوا توحدوا اتفقوا تكاتفوا تعاضدوا إن إلهكم واحد ووطنكم واحد وإلّا فأنتم الخاسرون، اغسلوا قلوبكم واستحضروا ضمائركم أنتم حماة الضاد وبلادكم قلب العروبة النابض بالحياة وضميرها الذي لا يموت ومنارتها التي لا تنطفئ، أنتم المؤهَّلون لقيادة العالم العربي وتحريره من العملاء والخونة والفاسدين.

يقول: "الآن بدأ عام جديد في حياتي وأنا أدعو لكم ولسوريا أن يغمركم الله

بمحبته ويؤلّف بين قلوبكم ويحرركم من أعدائكم الحقيقيين، أعداء الله والإنسانية وينصر جيشكم العظيم الذي حمى شرف البلاد والعباد ويتغمّد شهداء سوريا برحمته، وأن أعود إلى وطني عامراً بالمحبة وأنتم تنعمون بالدفء والسلامة والعيش الكريم أحراراً في بلد حرٍّ كريم، ها أنا الآن أحمل الورقة التاسعة والسبعين في يدي ولا أعلم ماذا تخبّئ لي من مفاجآت، هل ستسمح لي أن أعود إلى وطني وألقي بينَ أصدقائي وأحبابي قصيدة العودة في ربوع وادينا الحبيب الذي فيه وُلدتُ وفيه ترعرعتْ ونمتْ حروفي الأولى ؟ أم ستبقى قصيدتي هذه مطويّة في الأدراج تنتظر من ينفض عنها غبار غربتها ويحملها الأثير إلى أبناء وطني كحمامةِ سلامٍ ترفّ في سماء سورية وتجوب فوق أسطح بيوت ضيعتي التي فيها نمتْ جذوري وأفرعتْ غصوني ؟ وعلى أيّة حالٍ أقول لكم أيها السوريون الأحباء :

لو قطّعتْ جسدي سكّينُ غربتِه
تظلّ روحي كشمعِ العيدِ تشتعلُ
على منازلكم تحلو الحياة لها
حيثُ النضارةُ لا بؤسٌ ولا مَلَلُ
تغازلُ الطفلَ والشيخَ العجوزَ ومَنْ
على الفراشِ ومَنْ منهم دنا الأجلُ
ضرعتُ للّهِ مستافاً لكم مدّداً
منَ السماءِ تقيكم شرّها العِلَلُ
وأن يقيكم بلاءَ الفاسدين ومَنْ
باعوا البلادَ ومَنْ خانوا ومَنْ خَطِلوا
ومِنْ شياطينَ جدّافين مَنْ لبِسوا
ثوبَ القداسةِ بينَ الناسِ وانتحلوا...

ستبقى سورية أمّ الشاعر الغريد، الشاعر الوطني بامتياز عادل ناصيف، يستريح بحضنها الدافئ، والعروبة فخره واعتزازه.

الورقة ١٠- الباحث جريِس الكايد- سيدني:
عودة الأدب المهجري من البرازيل إلى أستراليا

منذ أواخر القرن التاسع عشر، شرعت تنزح إلى بلاد كولومبوس بعض من الجماعات العربية، ولا سيما من سورية ولبنان. بعضهم هرب من جور الأتراك وبعضهم من الفقر، وأغلبهم للسببين معاً.
ومن بين تلك الجماعة الراحلة، كان هناك رعيل من الشباب المثقف الواعي والذي نهل العلم والمعرفة وحفظ إرثه التاريخي، فقد عز عليه ترك دياره وأحبائه وذكرياته، فبثها شعراً ونثراً وأدباً راقياً.
تعرفت من خلال زيارتي إلى البرازيل في بداية التسعينات، على هؤلاء الأدباء ومآثرهم، وما تركوه للمكتبة العربية، من إرث ثقافي واسع. وعندما زرت "نادي حمص" و"نادي البردوني" في سان باولو، شاهدت المكتبة الواسعة والتي حوت على خزائن، وأمام كل خزينة صورة لأديب أعرفه.
استقبلني الشاعر اللبناني رياض المعلوف، وهو عضو في العصبة الاندلسية. تميز شعره بفلسفة الحزن. سألته: لمَ هذا الحزن يخيم على شعرك ؟
أجاب: نحن من أصول غسّانية. ترك أهلي قراهم وأملاكهم وكنائسهم في حوران وهاجروا إلى لبنان، فكنت أرى الحزن في عيون أجدادي، لِما كان لهم من ملك واسع قد ضاع، بسبب الاضهاد وتعدّيات البدو والأتراك.
وأمام صورة قيصر المعلوف وقفت أتصفح كتبه:
١- الغادة السوريه في الديار الاميركية (مطبعة جريدة البرازيل، سان باولو، ١٩٠٧)
٢- فدية الحبّ

٣- ديوان قيصر المعلوف
٤- نيرون (رواية شعرية)
٥_ ديوان تذكار المهاجر
٦_ جَمال بلادي (ملحمة شعرية)...
شاعر مبدع ذو خيال خصب، له عدة قصائد وطنية... ومن قصائده الشهيرة واحدة بعنوان "وقفة على الشاطئ" تناول فيها ما يلاقيه المهاجرون من الامتهان والتعب.
واطلعتُ أيضاً على على مرثية للإمام محمد عبده، مفتي الديار المصريه ١٩٠٦، ومنها:
إمام بدا للمسلمين منارة به يهتدي للحقّ والنور طالبُ
اذا ما بكاه المسلمون تأسفاً فدمع النصارى ما حكته السحائبُ...
كما أسس في البرازيل ندوة "رواق المعرّي الأدبية".
ووقفت امام صورة ذات إطار ذهبي، كان اسم صاحبها قد كُتب عليها بخطّين، عربي وبرتغالي، اسكندر عيسى اسكندر المعلوف، عرفني عليه قائلاً: صاحب الايادي البيضاء، قدم الكثير. هو اقتصادي وصناعي وتاجر يملك معملاً وفندقاً، ورئيس غرفة تجارة لبنان - البرازيل... كما رأيت صورة الشاعرين فوزي المعلوف وشفيق المعلوف...
سألت صاحبي: لِمَ لا أرى جريدتكم الناطقة باللغة العربية ؟
هز رأسه وقال: اتبعني...
سرت معه الى قبو واسع، ورواق كبير حوى آلات عديدة للطباعة تراكم عليها الغبار. قال: أصبحت آثاراً، فمنذ بداية الحرب العالمية الثانية، أغلقت الحكومة البرازيلية الصحف والمجلات والمطابع والندوات والمسارح الناطقة بغير اللغة البرتغالية، ومنعت التحدّث بغير البرازيلية، فإذا صادفت الشرطة إنساناً يتحدث مع الآخر بغير البرازيلية، يتم إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن. وبدأ الاندثار التدريجي... حتّى أولادنا لم يهتموا كما

كان آباؤهم من قبل، وكل ما يعرفونه هو المأكولات اللبنانية من التبّولة والكبّة...
شاهدت دمعة حزن وألم على محياه، فلم اتمالك نفسي. وكانت لؤلؤة قد تساقطت على خدّي...
كان ذلك الإنسان الأديب والشاعر رياض بن عيسى اسكندر المعلوف، والذي تجاوز آنذاك الستين من العمر، آخر حبة العنقود من الأدب المهجري.
وفي أستراليا، كان اللقاء مع شاعر وأديب سمعت قصيدته، فقلت لصاحبي: "لمثل هذه القصائد يُسمع، بما حوت من أفكار وصور وإبداعات فنية، تنقلك من عالم الوجود المادّي الى عالم كنا قد حلمنا به"...
إنه الشاعر والأديب جميل الدويهي. له الاحترام والتقدير لما يقوم به من جهد، وعمل متواصل يغذي العقول، بُعداً روحياً، وقيماً انسانية... منارة تشع على المشرق العربي فيضاً من عقول المهاجرين. فقد أحيا الأدب المهجري بما قدمه وجمعه، وشجع المفكرين والأدباء على الانضمام إلى مشروعه الأدبي، منتجاً العديد من الكتب، فله الشكر والتقدير.

الورقة ١١- الدكتور جوزاف ياغي الجميل - لبنان :
دور مجلة أفكار اغترابية في النهضة المهجرية الثانية

النهضة الاغترابية الثانية عنوان المؤتمر الذي ينعقد في سيدني أستراليا، مطلع شهر شباط، ٢٠٢٢. وهو مؤتمر غني بالمواد التي سيبحثها المشاركون، في مختلف المجالات الإبداعية والفكرية. وقد اخترت في ورقتي البحثية هذه عنوانًا رأيته مفيدًا في الإضاءة على الحركة الإبداعية النهضوية: دور مجلة أفكار اغترابية في النهضة الاغترابية الثانية. عسى أن يكون في عملي ما يضيء على أهمية هذه المجلة الإلكترونية، في نشر الثقافة وشحذ الهمم الإبداعية، في لبنان وأستراليا وكندا والولايات المتحدة الأميركية، وذلك بفضل غناها الثقافي، وتنوع مقالاتها المعرفية.

تمهيد:

قبل مباشرة البحث ينبغي التعريف بالمجلة، وتأطيرها، تسهيلا للدراسة. صدر العدد الأول من المجلة الإلكترونية الشهرية "أفكار اغترابية"، في سيدني، بتاريخ ١٥ آب ٢٠٢١.

يصف الدكتور جميل الدويهي المجلّة، في مقدّمة العدد الأوّل منها، إنها "تحمل مشعل الأدب والفكر والثقافة"،(١) ومن أبرز أهدافها :

١-"إظهار أدب اغترابيّ صحيح، جاد، وفاعل، في الحياة."(٢)

٢- إخراج العالم من الظلام، وإنقاذه "من درب الجلجلة"(٣)

وهكذا أصبحت الأعداد الخمسة الأولى التي اتخذناها موضوع بحثنا، صلة الوصل بين الضفتين، مورداً خصباً للفكر النورانيّ المبدع.

أوّلاً: غلاف المجلة في الأعداد الخمسة ودلالاته:

يحمل غلاف العدد الأول، إلى يمين المشاهد، صورة مدينة سيدني، وشعارها الرمز السياحي الشهير دار سيدني للأوبرا، وهو على شكل أشرعة. وقد اختاره الأديب الدويهي كي يبرز الدور الثقافي للعاصمة الأسترالية التي احتضنت إبداعه، وكانت الشراع الموجّه لمركبه الإبداعي، في رحلاته بين ضفتي الوطن والمهجر. أما في يسار الصورة فتظهر باخرة ضخمة لعلها رمز للهجرة الكبرى، من لبنان إلى أستراليا. وفي وسط البحر منارة صغيرة تهدي السفن، إلى شاطئ الأمان. وهذه المنارة هي الدويهي نفسه الذي غدا، عبر مشروعه الثقافي "للأدب المهجري الراقي"، منارة هداية للأدباء والمثقفين، في لبنان وأستراليا، على السواء.

أما اللون الأحمر الذي تتصف به الغيوم، في الأفق، فهو إشارة إلى الصعوبات، أو المعاكسات التي واجهت المغتربين، بشكل عام، والدويهيّ بشكل خاص. أمّا غلاف العدد الثاني فيظهر فيه رجل قروي وزوجته، وقربهما فتاة صغيرة تهتم بسرب من الحمام، تحت عريشة وإلى البعيد جبال لبنان الشاهقة. وهي إشارة واضحة إلى الحنين إلى الوطن، وطن الشموخ والسلام، وراحة البال. ويكشف غلاف العدد الثالث من المجلة صورة لشارع الملك داود، في القدس، ما يوحي التزام المجلّة قضيّة الشعب الفلسطيني. وفي صورة غلاف العدد الرابع صورة لبيروت العمران والحضارة. وهذا يظهر إيمان الدويهي والمجلّة بعودة بيروت إلى عزها القديم.

وظهرت صورة الساحل الجبيلي، في غلاف العدد الخامس. وهذه إشارة إلى دور مدينة جبيل، في نشر الأبجدية والحضارة.

وبذلك، يكون لصور الغلاف دور في الربط بين المهجر والوطن، عبر تعزيز الروابط الحضاريّة بين الضفتين، انطلاقاً من وحدة الإبداع الإنساني.

ثانياً: عنوان المجلّة

بين الفكر والثقافة، بين الغربة والوطن، اتخذ الدويهي عنوان مجلّته: "أفكار اغترابيّة"، نكرة موصوفة تبرز شموليّة الأفكار، ومدى اتساعها لتضمّ

حملة الأقلام، في أستراليا والعالم. أمّا كلمة أفكار فهي من الفكر الذي هو أكثر شموليّة من الأدب، ليغطّي مجالات الفلسفة والفن والتاريخ والنقد والآداب العربية، في نثرها والشعر، فضلاً عن الترجمة، ومراجعات الكتب. وأطلقت صفة اغترابيّة على الأفكار، بغض النطر عن مكان صدوره، في الوطن أم في الغربة. وكأن الدويهي يؤكّد اغتراب هذه الأفكار، وتغريد أصحابها خارج السرب، في بحثهم عن القيم الإنسانيّة، في عالم الماديّة المتوحشة.

ثالثاً: موضوعات المجلات

١- الأبواب الثابتة والمتبدّلة

لم يكن في مجلّة "أفكاراغترابيّة" محاور ثابتة، في كل عدد. ولعلّ هذا الأمر منحها ميزة التنوّع والغنى الفكريّ، في مختلف الميادين. ولكننا لاحظنا أنها ترتكز إلى أبواب عامة ثابتة، تبدأ بالمقدّمة التي تعرض رأي صاحب المجلّة، وتكشف مبادئها العامة، والأهداف المرجوة منها. يلي المقدّمة نص شعري مترجم، من الأدب العالمي، مثل غيوم أبولينير(Guillaume Apollinaire ١٨٨٠-١٩١٨)(٤) ، وتريستان تزارا(Tristan Tzara-١٨٩٦-١٩٦٣)(٥) ومختارات من أعمال أرثر كرافان(Arther Cravan ١٨٨٧-١٩١٨)(٦) وعرض لقصص من الأدب الأسترالي القديم والحديث. (٧) وإننا، إذ نراجع عناوين هذه القصص وأهميتها، نجد أنها أتت لتحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

• تأكيد الوفاء للأرض التي احتضنت الفكر الدويهيّ، ومنحته الرعاية والاهتمام.

• تأكيد اندماج الدويهي في صميم الحركة الفكرية الأستراليّة.

• تحقيق ربط حضاري بين الضفتين: أستراليا ولبنان، من أجل إحياء نهضة اغترابيّة جناحاها الوطن والمهجر.

• مواجهة حملات عدم القبول، في المجتمع الأسترالي، والتي ارتكبت بحق

رواد النهضة الاغترابيّة العرب عموماً، والدويهيّ بشكل خاص. وهذا ما أظهرته، بشكل جليّ، مقالتان نُشرتا في المجلة، تعبّران عن واقع الإنسان المهاجر، إلى أستراليا. المقالة الأولى بعنوان: "مهرين فاروقي تفضح تصرّفات عنصرية"، تقول فيها الكاتبة: "خدمت أستراليا لمدّة ثماني سنوات... ولا تزال الكراهية العنصريّة والإساءة المقيتة تسحقانني"(٨). والمقالة الثانية بعنوان: "مهاجرون إلى أستراليا: عمق الفوارق والاختلافات الثقافيّة" يقول فيها الكاتب:" ليس لديك اتصال بجارك ...الباب مغلق دائماً، وبوابات الحدائق مغلقة." (٩)

فكان عمل الدويهي، عبر مجلته، فتح هذه الأبواب المغلقة، والدفاع عن وجوده، في أرض الفرص.

باب ثالث يمكن الإشارة إليه وهو المقالات حول شخصيات أدبية أو سياسيّة من أستراليا (دايفيد أونيبون ١٨٧٢-١٩٦٧١٠، ورئيس الوزراء الأسترالي سكوت موريسون) (١١)، أو أدبيّة وفنّية، من الغرب أمثال: إدغار ألان بو (١٨٤٩-١٨٠٩-Edgar Alain Poe) (١٢) والرسام بيكاسو (١٩٧٣-١٨٨١-Pablo Picasso) (١٣)، والفنّان فان غوخ(Vincent ١٨٩٠ -١٨٥٣-William Van Gogh)، وذكر معلومات عن سر آخر لوحة رسمها، قبل انتحاره، (١٤) والأديب الفرنسي المعروف فيكتور هوغو (١٨٦٨-١٨٠٢-Victor hugo) (١٥) ولامرتين(Alphonse de Lamartine-١٧٩٠-١٨٦٩) (١٦)، والشاعر الفرنسي شارل بودلير، (١٨٦٧-١٨٢١-Charles Baudelaire) "أبو الرمزية وثورة " ١٩٤٨ (١٧)، والفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه -١٨٤٤-Freidrik Nietche ١٩٠٠، في وجهه الآخر: لو سالومي(١٨) وهي شخصيات كان لها دور بارز في النهضة الفكرية الغربيّة، في القرن التاسع عشر، ولا تزال آثارها تشهد لها، إلى الآن.

في المقابل، عرضت مجلة "أفكار اغترابية" قراءات، ودراسات، في الأدب

العربي القديم، من خلال مقالات عن الشاعر العباسي أبي الطيّب المتنبي (١٩)، والشعراء المقنّعين أمثال "وضاح اليمن، أبوزبيد الطائي، والشاعرا لكندي" (٢٠)، ودراستين عن امرئ القيس، الأولى حول بيت شعريّ له (٢١)، والثانية عن قصيدته " تعلّق قلبي طفلة عربيّة"(٢٢) وتحدّث الدكتور الدويهي، في المجلة عن موضوع النرجسيّة عند الشعراء العرب، ودورها في تعزيز الإبداع الأدبي، باعتبارها " أمّ الإبداع".(٢٣) كما تطرّقت المجلّة، في أعدادها الخمسة الأولى، إلى موضوعات متفرّقة عن الأدباء المهجريين، في النهضة الاغترابيّة الأولى، أمثال جبران خليل جبران، من خلال المؤتمر الذي أقامته له رابطة المبدعين في العالم(٢٤)، أو من خلال دراسة مصادر كتاباته واقتباساته الفكريّة، (٢٥) أو من خلال مقابلة مع نسيب له يروي بعض التفاصيل الشخصية عنه(٢٦)، وهي شهادات ذات أهمّية كبيرة، في الإضاءة على الشخصية الجبرانية وميخائيل نعيمة، (٢٧) وإيليا أبي ماضي، في ديوانه الطلاسم، (٢٨) وأمين الريحاني القائل إنّ " هجرة الجسد لا تكفي إن لم ترافقها هجرة العقل"(٢٩).

أما الأهداف الجامعة بين هذه المقالات فيمكن اختصارها بما يلي:

• إبراز دور الأدب المهجري الذي يوازي الأدب العالمي في مكانته والإبداع.

• تأكيد التلازم الحتمي بين الأدب الحديث وجذوره التراثيّة؛ فالأدب ليس انقطاعا، بل شجرة تعلو في السماء، بقدر عمق جذورها، في التربة.

• تحقيق مقارنة أدبية بين الأدبين العربي والغربي اللذين يصبّان جميعا، في خدمة الإنسان، والقيم.

• المقارنة بين الأدب القديم، في المهجر، وفي الوطن، والأدب الحالي، من ناحية التزام القديم والمهجري قيم الانفتاح والحوار، وانغلاق الثاني، على الأقل، في قسم كبير منه، في قيود الطائفيّة والمذهبيّة والإقليميّة البغيضة. وفي هذا الإطار تصف مقالة في المجلّة الأديب اللبناني أمين نخلة فتقول: "والواقع أن كل شعراء لبنان في الداخل والمهجر اتسموا بهذه

الخاصية[الانفتاح] كجبران ونعيمة وجورج صيدح والياس فرحات- على الرغم من أن نخلة ليس مهجريّاً- وهذا يدلّ على مبلغ التقبّل والتآلف بين العرب، في القرن المنصرم، بين المسيحيين والمسلمين، على خلاف هذه الأيام..."(٣٠)

ومن الأبواب التي ظهرت في المجلّة مراجعات الكتب الأجنبيّة والعربيّة. ومن أبرز هذه الكتب كتاب عن "القوّات المارقة" وهو يسلّط الضوء على جرائم الحرب في أفغانستان(٣١)، وكتاب عن أدولف هتلر (٣٢) وكتاب "كوكب من الطين" للكاتبة السورية الدكتورة سمر يزبك المقيمة في باريس (٣٣)، وكتاب ميشا والذئاب (٣٤)، وكتاب التنبؤات لنوستراداموس (٣٥)، وكتاب كندا للكاتب الأميركي ريتشارد فورد، مترجم إلى العربيّة (٣٦)، ومراجعة كتاب العدميّة المشرقة عند نيتشه للكاتبة ويندي سيفرت (٣٧)، وكتاب ميلاني وأنا، لستيفاني غريشام(٣٨)، ومراجعة كتاب عن الأطباق الطائرة في أستراليا للصحافي روس كولثارت(٣٩)، وكتاب عن عمر الشريف(٤٠)، وعن القذافي للكاتبة الأردنيّة دعد شرعب(٤١)، ورواية "حالة رعب" لوزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون ولويز بيني (٤٢)، وكتاب "أشباح ميلانو" لمحمد زيّان(٤٣)، وكتاب من تأليف باراك أوباما وبروس سبرينغستين (٤٤)، ومراجعة كتاب "الذين قتلوا مي" للناقد شعبان يوسف(٤٥)، وكتاب "الآلهةالعرضيّة"الذي يضيء على معتقدات بعض الشعوب بألوهية الإنسان(٤٦) وقصص "سوريا حبيبتي" لزياد عبد الله(٤٧)

ومن الأبواب الثابتة أيضا باب السيرة الذاتية "من أنا ؟" لشخصيات فكريّة، لها مشاركات في المجلّة، تتحدث في شكل موجز عن حياتها الشخصيّة وأبرز أعمالها(٤٨).

وتظهر قيمة هذه الأبواب، في موضوعاتها المتعدّدة، في الأمور الآتية:

• تنوّع الموضوعات وغناها، في المجالات الأدبيّة والتاريخيّة والفلسفيّة.

وهذا ما يجعل المجلّة موسوعة ثقافيّة تغني عقل القارئ، وتعرّفه إلى الثقافتين العربيّة والغربيّة.

• سعي المجلّة إلى مقاربة الكتب، شرقاً وغرباً، انطلاقا من روح نقديّة موضوعيّة، تلقي أضواء على الحياة الثقافية المعاصرة.

• إحياء الروح النقدية في القارئ، وجعله شريكا في العمليّة الإبداعية العالمية.

• تعزيز واقع الأدب المقارن، من خلال الترجمات، ومراجعات الكتب الأجنبيّة والمترجمة.

• الربط بين النهضة الغربيّة في القرن التاسع عشر، والنهضتين الاغترابيّتين الأولى والثانية.

• الإعلان بشكل غير مباشر أن الإبداع الحقيقي لا تحدّه ضوابط إلا الدفاع عن الإنسان، وقيمه الحضارية الشاملة.

٢- الأنواع الأدبيّة في المجلّة

يمكن الإشارة إلى أنواع أدبيّة متنوّعة ظهرت في أعداد المجلّة الخمسة، بشكل رئيس وهي الشعر والقصة والنقد والمقالات الأدبيّة، ذات الطابع النثري الفنّي، والمقالات الدينيّة واللغوية.

أ: الشعر

يمكن الإشارة في موضوع الشعر، في الأعداد الخمسة من مجلّة " أفكار اغترابية"، إلى أربعة أنواع من هذا الشعر: الشعر الحر، وشعر التفعيلة، والشعر العمودي، والشعر العاميّ.

ونقصد بالشعر الحر الشعر الخالي من الأوزان. أما شعر التفعيلة فهو الشعر الموزون ولكنه لا يخضع لنظام الشطرين. أما الشعر العمودي فهو الذي يلتزم البحور الخليليّة، ونظام الشطرين. وهو شعر مكتوب باللغة الفصحى. في حين أنّ الشعر العامّيّ هو الذي كتب بالعامية اللبنانيّة.

وقد أجرينا نوعاً من الإحصاء، حول هذه الأنواع الأربعة، فأتت النتيجة كما

في الجدول الآتي:
العدد الأول: مجموع القصائد ١٤: الشعر الحر ٩- شعر التفعيلة ١ - الشعر العمودي صفر - الشعر العامي ٤
العدد الثاني: مجموع القصائد ٢١: الشعر الحر ١١- شعر التفعيلة ٣ - الشعر العمودي ١ - الشعر العامي ٦
العدد الثالث: مجموع القصائد ١٤: الشعر الحر ٦- شعر التفعيلة ٣ - الشعر العمودي ١ - الشعر العامي ٤
العدد الرابع: مجموع القصائد ١٧: الشعر الحر ٩- شعر التفعيلة ٤ - الشعر العمودي صفر - الشعر العامي ٤
العدد الخامس: مجموع القصائد ١٥: الشعر الحر ٨- شعر التفعيلة ٢- الشعر العمودي ٣ - الشعر العامي ٢
المجموع ٨١ قصيدة: ٤٣ شعر حر، ١٣ شعر تفعيلة، ٥ شعر عمودي و ٢٠ شعر عامي.
النسبة المئويّة: شعر حر ٥٣ %، التفعيلة ١٦%، عمودي ٦ %، عامي ٢٥ %
وفي قراءة سريعة لهذه المعطيات نستنتج أنّ الشعر أخذ الشعر حيزاً مهما، بين الأنواع الأدبيّة التي ضمّتها أعداد المجلّة. وهذا ما يبرزه الإحصاء الآتي:
العدد ١: مجموع المقالات٣٤ - مجموع الشعر ١٤، النسبة المئوية ٤١ %
العدد ٢: مجموع المقالات ٤١ - مجموع الشعر ٢١، النسبة المئوية ٥١ %
العدد ٣: مجموع المقالات ٤٢- مجموع الشعر ١٤، النسبة المئوية ٣٣%
العدد ٤: مجموع المقالات ٤٨- مجموع الشعر ١٧، النسبة المئوية ٣٥%
العدد ٥: مجموع المقالات ٤٤- مجموع الشعر ١٥، النسبة المئوية ٣٤%
يكشف لنا هذا الجدول أنّه في بداية إصدار المجلّة كانت نسبة القصائد مرتفعة بحيث شكّلت في العددين الأول والثاني ٤١% و ٥١% من مجموع المقالات. وهذا أمر طبيعيّ في الأعداد الأولى من المجلة. وقد تغيّرت النسبة في الأعداد ٣، ٤، ٥. وهذا يعود، في رأينا، ليس إلى تدنّي الاهتمام

بالشعر، الذي حافظ على العدد نفسه تقريبا، في الأعداد الخمسة، ما عدا العدد الثاني، الذي كانت نسبة القصائد مرتفعة جداً، بل إلى زيادة حجم المجلّة التي تغيّرت وفقاً للجدول الآتي:

العدد ١ - عدد الصفحات ٧٧

العدد ٢ - عدد الصفحات ٨٨

العدد ٣ - عدد الصفحات٩٧*

العدد ٤ - عدد الصفحات ٩٨*

العدد ٥ - عدد الصفحات ٩٧*

*لم نحسب ضمن الصفحات صفحة الإعلانات، في آخر العدد.

وقد يكون في انخفاض نسبة الشعر، في الأعداد ٣، ٤، ٥، ما له علاقة بسياسة المجلّة التي بدأت تهتم أكثر بالمقالات الثقافيّة، ومراجعة الكتب، وزيادة بابين ثابتين، إلى المجلّة، هما "مرايا مضيئة"، و"معلّمو الفكر" ما يضفي غنى على المجلة، وإرضاء لجميع الأذواق.

وفي مراجعة سريعة للقصائد الشعرية، الفصيحة والعاميّة، من حيث موضوعاتها وسماتها العامة، رأينا أنها تنقسم إلى قسمين: القصائد الوجدانيّة، والقصائد الوطنيّة. ونشير إلى أننا قد أدخلنا في القسم الوجداني ما له علاقة بالحب والغزل والحنين والذكريات. وهذا جدول بتوزيع القصائد، بحسب قسميها الوجداني والوطني:

العدد ١: عدد القصائد ١٤: الوجدانيات ١١، الوطنيات ٣

العدد ٢: عدد القصائد ٢١: الوجدانيات ١٧، الوطنيات ٤

العدد ٣: عدد القصائد ١٤: الوجدانيات ١٣، الوطنيات ١

العدد ٤: عدد القصائد ١٧: الوجدانيات ١٣، الوطنيات ٤

العدد ٥: عدد القصائد ١٥: الوجدانيات ١٤، الوطنيات ١

وتشير هذه الإحصاءات إلى أمور نختصرها بما يأتي:

١- اكتفاء الشعر المنشور، في المجلّة، بالتعبير الوجداني عن هموم الشاعر

الشخصيّة من حب وحزن، متجنّبا الدخول في قضايا تثير حساسيات سياسيّة، أو طائفيّة.
٢- تعبير الشعر الصادر في المهجر عن نزعتي الحنين والشوق إلى الوطن، في اتجاهين متوازيين: الشعور بالغربة بعيداً من الوطن، ووصف الذكريات التي بقيت في أذهانهم والضمائر في وطنهم الأم، حيث العرزال والقرية والجنة التي يتوقون إلى العودة إليها.
٣- في الموضوع الوطني تحدّثت القصائد عن محنة بيروت، بعد انفجار المرفأ، في آب ٢٠٢٠، وعبّرت عن إيمان الشعراء بأن العاصمة اللبنانية ستنهض من بين الرماد، كطائر الفينيق.
٤- انسجام الشعر المنشور في المجلّة وسياستها الداعية إلى الحوار الحضاري بين الأديان والجماعات، بعيدا من المصالح السياسية الآنيّة التي تعمّق الخلاف، بين أطياف الوطن.
٥- سعي الشعراء الذين ينشرون قصائدهم في مجلة" أفكار اغترابيّة"، إلى السير في ركب الشعر الحديث الذي بدأ يتحرر من الوزن والقافية، أو هرباً من " القيود" التي يزعمون أنها تقيّد حرية تعبيرهم عن الذات الإنسانيّة.
٦- إعلان غير مباشر عن ثورة دفينة لدى الشعراء، في مواجهة ماضٍ من المعاناتين الاجتماعيّة والسياسيّة انعكستا بشكل غير مباشر في الشكل الشعري، وفي موضوعات الشعر. وبذلك أصبحت النزعة الوجدانيّة في القصائد أشبه بالورقة البيضاء، في صندوق الانتخاب.
ب: القصة:
لم يكن للقصة حيّز كبير في الأنواع الأدبيّة المنشورة، في أعداد مجلّة "أفكار اغترابيّة" الخمسة؛ إذ بلغ عدد القصص ثلاثا، في العدد الأوّل، وقصّة واحدة في العدد الثاني، وخمس قصص في العدد الثالث، وثلاث قصص، في العدد الرابع، وقصّة واحدة، في العدد الخامس.
فما الذي تكشفه هذه الحقائق؟ وما أسبابها والخلفيّات؟

لم نجد تفسيراً لهذه الندرة إلا اكتفاء المشاركين بالشعر والمقالات ذات الطابع الاجتماعي. وقد يعود السبب إلى نظرة خاطئة في ربط الإبداع بالشعر، أو إلى اهتمام الأدباء المشاركين بالشعر، دون القصة. وقد تنوّعت موضوعات القصص المنشورة بين القصص الاجتماعيّة (٨ قصص) والقصص التاريخيّة الأستراليّة(٥ قصص).

ج: النقد الأدبي

ندر النقد الأدبي في مجلّة "أفكار اغترابيّة"، في الأعداد الخمسة الأولى، إذ بلغ عدد المقالات النقديّة في العدد الأوّل أربع مقالات، وغاب النقد في العدد الثاني، وظهرت مقالتان نقديتان، في العدد الثالث، وثلاث مقالات في العدد الرابع، فضلاً عن مقالة واحدة في العدد الخامس، أي ما مجموعه عشر مقالات نقديّة. وهذا النقد نوعان:

• دراسة قصائد أو كتب منشورة، في مقاربات نقديّة منهجية (تسع مقالات).
• آراء في الأدب الاغترابي في مقارنة بينه وبين الأدب، في لبنان والعالم. (مقالة واحدة)

وهذه المقالات النقديّة يمكنها أن تُشكّل نواة لدراسات نقديّة لاحقة تعزّز الجوانب الأكاديمية للمجلة، وتمنحها الرصانة المطلوبة، خصوصا وإن مؤلفيها من الأدباء والباحثين المشهود لهم بالكفاءة.

مع الإشارة إلى ظهور آراء نقديّة مستقلّة عن المقالات النقديّة تدعو إلى فهم أعمق للشعر لأنّه "ليس صحيحا أنّ للشعر قوالب وشروطا يفرضها جوّ معيّن... القصيدة المفهومة هي التي تعيش.."(٤٩)، ولأنّ "القارئ هو المعيار الصحيح للأدب الجيّد"(٥٠).

د:المقالات النثرية الفنّية

تضمّنت الأعداد الخمسة نصوصاً نثريّة فنّية، ذات بعدين اجتماعيّ وجماليّ. ومن أبرز سماتها غلبة الطابع الوجداني الذاتي. فقد ورد في العدد الأوّل خمسة نصوص، وفي العدد الثاني نصّ واحد، وفي العدد الثالث

نصّان اثنان، وفي العدد الرابع ثلاثة نصوص، وفي العدد الخامس نصان اثنان، أي ما مجموعه ثلاثة عشر نصّاً. فتساوى بذلك عدد النصوص وعدد القصص. أتكون هذه الظاهرة دليلا على رفض معين لواقع، أم سعياً غير مباشر لإنقاذ الذات من الإحباطات السياسية والاقتصادية التي يتخبّط بها الإنسان العربي في لبنان والعالم؟

هـ: المقالات الدينية

وتعنى هذه المقالات بشأن الحوار بين الأديان، أو ما أطلق عليه مؤلّفها الدكتور كلوفيس كرم "علم الأديان المقارن". وأهميّة هذه المقالات أنها تؤسس عمليّا للحوار بين الأديان، في أستراليا، أوروبا، وفي لبنان والعالم العربي. ومن أبرز الأفكار التي طرحتها هذه المقالات:

• البحث عن روابط مشتركة بين هذه الأديان، عندما نريد تعليمها، في بلد كلبنان، متعدد الأديان(٥١).

• عدم الاستسلام للرأي الغربي في نظرته إلى الأديان، وذلك لأن الباحث الشرقي أولى من غيره بفهم حقائق دينه وحضارته وتاريخه من الغربي لأنه يعطي بحثه الجانب الروحي المنشود(٥٢).

• أثر الأساطير البابليّة مثل ملحمة جلجامش، والديانات الهندوسية والهندية والصينية والبوذية في إغناء علم الأديان المقارنة. كذلك لا يمكن إغفال دور الجامعات الأجنبيّة، في تعزيز دراسة الأديان.

• كما ظهرت آراء دينيّة، خارج هذه المقالات، تدعو إلى تغليب العقل على النقل، لأنه من مستلزمات الحداثة، والحضارة الإنسانيّة المعاصرة. وذلك لأنّ المشكلة، في الشرق، " تحوّلنا إلى مجتمع استهلاكي ينفي العقل ويحلّ محلّه النقل، يرفض الإبداع ويستبدله بالاتباع، يرفض الديمقراطيّة ليحل مكانها استبداد سياسي وديني..."(٥٣) ولعلّ هذه المقالات هي في صميم دور مشروع جميل الدويهي المرتكز على الحوار بين الأديان والحضارات، في القرن الحادي والعشرين.

و: المقالات اللغوية
تمّ نشر مقالتين لغويّتين تتناول الأولى موضوع الفارق بين اللكنة واللهجة واللغة، فيظهر الكاتب أن اللهجة أوسع من اللكنة، وحين تصبح اللهجة منتشرة نصرا وشعراً يمكن الحديث عن اللغة. ويدعو في نهاية مقالته إلى الحفاظ على اللغة العربيّة، وتجنّب الوقوع في تأخطاء الشائعة.(٥٤)
أمّا المقالة الثانية فتتحدّث عن اللغة العربية من منظار الواقع السياسي-الاجتماعي، مشيرة إلى أمور متعددة أبرزها:
• ارتباط التجديد أو التقليد في اللغة بالواقع السياسي الاجتماعي .(٥٥)
• قداسة اللغة العربيّة لأنها لغة الجنّة ولغة القرآن. ولكنها لا تُعبد، ولا يُركع لها.(٥٦)
• أهمّية البحث عن "طرح فكري جديد ينقذ اللغة من الجمود والتحجر ورؤية متنورة حول اهمية ملاءمة اللغة للمناخ الثقافي العام"(٥٧).
• أهمية إزالة "القطيعة الآخذة بالاتساع بين واقعنا اللغوي والثقافي عامة ومستوى الحالة الثقافية—الاجتماعية واللغوية السائدة في المجتمعات غيرالعربية".(٥٨)
• أهمّيّة ربط اللغة العربيّة بالتطوّر الاقتصادي العلمي لأنّ " الانغلاق ستكون له إسقاطات سلبية قد تحوّل اللغة العربية الى لغة في طريق الاندثار".(٥٩)
رابعاً: توصيات:
بقي أن نشير إلى بعض التوصيات المرتبطة بمجلّة "أ فكار اغترابيّة"، من باب السعي إلى تطويرها، وجعلها أفضل تصميما وإخراجا وغنى فكريّاً. وهي:
• أهميّة تبويب المقالات وفقا لمحاورها الموضوعاتيّة
• وضع محور أساس في كلّ عدد، يضاف إلى الأبواب الثابتة فيها.
• الاهتمام بموضوعات النقد الأدبي والفنّي في المجلّة.
• السعي إلى تنويع أشكال الأدب، في المجلة، من قصّة ومسرح ومقالات

فنّية متنوّعة(رسم- نحت...)
• ربط فهرس المحتويات بأرقام الصفحات تسهيلاً لمراجعة المقالات.
• زيادة فهرس سنوي لمقالات المجلة، يكون ملحقاً بالعدد الثاني عشر، وفيه ثبت بالموضوعات والكتّاب، والكتب المراجعة، في الأعداد السابقة، على أن يكون هذا الملحق سنوياً، يشارك في إعداده أصدقاء المجلّة.
خاتمة: هذا غيض من فيض مما تحمله مجلّة أفكار اغترابيّة - أدب وثقافة من غنى وإبداعات وتنوّع في الموضوعات ما جعلها تتجاوز طابع المجلة العادية إلى موسوعة ثقافيّة. وهي، في أعدادها الخمسة الأولى بيدر واسع من العطاءات التي تصل ما بين الضفتين، الوطن والمهجر. وإننا لو أردنا دراسة مضمونها الفكري لاحتجنا إلى مجلّدات. وهذا ما يجعلها مادة دسمة لأية رسالة جامعيّة، أو أي عمل توثيقي أكاديمي.

١- أفكار اغترابيّة-مقدّمة العدد الأوّل، ص ١
٢- م.ن.، ص ١
٣- م.ن.-مقدّمة العدد الثاني، ص ٣
٤-أفكار اغترابيّة، العدد الأوّل، ترجمة قصيدة ليل الراين، ص ٢
٥-م.ن.، العدد الثالث، ص ٣
٦- م.ن.، العدد الثاني، ص ٤
٧- م. ن.، العدد الأوّل، ص ٣٦ - العدد الثاني، ص ٤٤- العدد الثالث، ص ٥٢- العدد الرابع، ص ٤٩- العدد الخامس، ص ٤٣
٨- أفكار اغترابيّة.، العدد الأوّل، ص ٢٨
٩- م.ن.، العدد الثالث، ص ٥
١٠-م.ن.، العدد الأوّل، ص ٣
١١- م.ن.، العدد الرابع، ص ٧٨
١٢- م.ن.، العدد الأوّل، ص

١٣-م.ن.، العدد الثالث، ص ١١
١٤- م.ن.، العدد الخامس، ص ٦
١٥-م.ن.، العدد الأوّل، ص ٦
١٦-م.ن.، العدد الثالث، ص ٨٩
١٧ - م.ن.، العدد الخامس،ص ٨
١٨ -م.ن.، العدد الرابع، ص ٤١
١٩- م.ن.، العدد الأوّل، ص ٤٣ — العدد الرابع، ص ٣٦
٢٠- م.ن.، العدد الرابع، ص ٣٧
٢١-م.ن.، ص ٣٦
٢٢- م.ن.، العدد الخامس، ص ٨٣
٢٣-م.ن.، العدد الرابع، ص ٢١
٢٤- أفكار اغترابيّة.، العدد الأوّل، ص ٧٥
٢٥ - م.ن.، العدد الثاني، ص ٥٠
٢٦ - م.ن.، العدد الثالث، ص ٥٩
٢٧- م.ن.، العدد الثاني، ص ١٥
٢٨- م.ن.، العدد الثالث، ص ٢٦
٢٩-م.ن.، العدد الرابع، ص ١٣
٣٠- م.ن.، العدد الثالث، ص ٦٨
٣١- م.ن.، العدد الثاني، ص ٦
٣٢- م.ن.، ص ٩
٣٣-م.ن.، ص ٢٣
٣٤ - م.ن.، ص ٣٦
٣٥- م.ن.، ص ٣٨
٣٦- م.ن.، ص ٦٣
٣٧ - م.ن.، ص ٧٦

٣٨-م.ن.، العدد الثالث، ص ٣٠
٣٩ -م.ن.، ص ٤٧
٤٠- م.ن.، العدد الرابع، ص ٥
٤١-م.ن.، ص ٦٣
٤٢-م.ن.، ص
٤٣-م.ن.، ص ٥٦
٤٤- أفكار اغترابيّة.، العدد الخامس، ص ٥٠
٤٥ - م.ن.، ص ٦٨
٤٦- م.ن.، ص ٧٥
٤٧ - م.ن.، ص ٨٩
٤٨- من أبرز هذه الشخصيّات الأديب الدكتور عماد يونس فغالي(عدد ١)، الأديب الدكتور جوزاف ياغي الجميّل(عدد ٢)، الأديب سليمان يوسف ابراهيم(عدد ٣) الأديب الدكتور رياض عثمان(عدد ٤) والدكتور حسان العكره، كدير عام المكتبة الوطنيّة، في بيروت(عدد ٥)
٤٩- أفكار اغترابيّة.، العدد الثاني، ص ٢٧
٥٠- م.ن.، العدد الأوّل، ص ٦٥
٥١- م.ن.، العدد الثالث، ص ٩٣
٥٢- م.ن.، العدد الرابع، ص ٩١
٥٣ - م.ن.، العدد الثالث، ص ٣٨
٥٤-أفكار اغترابيّة.، العدد الثالث، ص ٧٠، ٧١
٥٥- م.ن.، العدد الرابع، ص ٢٨
٥٦- م.ن.، ص ٢٨
٥٧- م.ن.، ص ٢٨
٥٨- م.ن.، ص ٢٩
٥٩- م.ن.، ص ٣٣

الورقة ١٢- الشاعر حسن ابراهيم سمعون - سوريا
ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولي المنعقد في /سيدني /أستراليا/
"النهضة الاغترابية الثانية - لإبداع من أجل الحضارة والإنسان"

تحيّة أدبية إبداعية إنسانية وبعد..
اتفق الدارسون والباحثون على تعريف مدرسة الأدب المهجري بأنّها الناتج الأدبي للمهاجرين الذين هاجروا من بلاد الشام (سورية الطبيعية) إلى المغتربات، وخصوصا الأمريكتين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واستمرّ ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث استقروا هناك وشكلوا جمعيات وروابط ومجلات وندوات وغيرها ، تعنى بالشأن الأدبي، منها على سبيل المثال "الرابطة القلمية" و"العصبة الأندلسية"، وثمة أدباء كثيرون منهم كتبوا بشكل فردي، والمجال لا يتسع هنا لذكر الأسماء، فمعظمهم معروف ومشهور، ويمكن تلخيص أسباب هجرتهم بعدة عوامل من أهمها:

١__ فساد حكم المستعمر العثماني، والاستبداد السياسي، وكبت الحريات.
٢__الصراع المذهبي، والتعصب الديني.
٣__الضغط الاقتصادي والبحث عن سعة الرزق.
٤__ميل فطري قديم عند أهل الساحل الشآمي، لبنان وسورية وفلسطين إلى المخاطرة والرحلات، فهم من أسياد البحار.
٥__سهولة السفر بسبب تطور وسائل النقل (حينها ومعظمه نقل بحري حيث كانوا يسمّون البواخر بالببور)

وبعودة إلى المحور الأدبي الذي هو المنصة الأهم في مؤتمركم الموقر، أقول أيضاً: اتفق الجميع، واختلف بعضهم على أبرز سمات وخصائص الأدب المهجري الفنية والأدبية، نستعرض أهمها وبإيجاز :

١ــ النزعة الرومانسية (وربما بعضهم تأثر بالمدارس الغربية).

٢ــ النزعة التجديدية عند بعضهم وهذا ما أدى إلى تجاوزات لغوية وعروضية، وبالمقابل ثمة نزعة عند بعضهم للتمسك باللغة العربية والعروض والقواعد.

٣ــ النزعة الإنسانية حيث تجلّت بحبهم للمثل العليا والأخلاق.

٤ــ النزعة الوجدانية حيث استغرق بعضهم بمحاولة الكشف عن مكنونات النفس البشرية عموماً ونفسه هو خصوصاً.

٥ــ النزعة التأملية أمام الحقائق الكبرى (الجمال، الحياة، الموت، الخير، الطبيعة ...)

٦ــ النزعة الروحية ولجوؤهم إلى الذات الإلهية لتحقيق الخير والعدل والمساواة ونشر المحبة والسلام.

٧ــ نزعة تمجيد الطبيعة بشيء من مفاهيمية وحدة الوجود.

٨ــ نزعة الحنين العارم إلى الوطن والاهتمام بقضاياه ومتابعة شؤونه وما يحصل فيه.

٩ــ نزعة التسامح الديني وقبول الآخر عموماً من مبدإ إنساني.

كما اتصف الأدب المهجري بصفات ميزته عن غيره من الآداب منها على سبيل المثال :

اهتمامهم بالنثر، ربما لعدم معرفة بقواعد النظم أو للانعتاق منها...

ومحاولة بعضهم تجديد البناء السردي للنص، فأوقعهم بالخروج على قواعد اللغة والنحو والعروض وغيره، مما أدى إلى ركاكة وسجع وسماجة أحياناً.

وثمة ظاهرة الميل إلى الرمز وبعض الحسيات للانتقال إلى عقليات منطقية

وظاهرة التمسك بالوحدة العضوية للنص وللديوان، واهتموا جدًا بالصورة

الشعرية والهارموني الناظم لها من صوت ولون وحركة، واهتموا بوضوح الإسلوب وباللغة الحية وبالتراكيب السهلة المأنوسة مبتعدين عن التقعر والإيهام... واستخدم بعضهم أسلوب السرد القصصي الحكائي لتحليل وتظهير مكامن ولواعج النفس، وتجسيد الحالة الشعورية العاطفية، بابتعاد عن الذهان والتهويم ؟.. وأقتبس رأياً عن الويكبيديا ورد فيه التالي (الشاعر المهجري يرى اللغة وسيلة لأداء المعاني والأفكار ، والتعبير عما يجول في خاطره من الهواجس، واللغة ليست الغاية في نفسها، لذلك آثروا اللغة الحية والأساليب السلسة والكلمات ذات المعاني الضخمة والتراكيب السهلة).

وأنا شخصياً لي تجربة خاصة استعرضها بإيجاز... فلقد زرت أكثر من بلد ومن هذه البلاد أستراليا، حيث زرتها لأكثر من مرة، والسبب أن معظم أفراد عائلتي يقيمون فيها. وكنت أكتب في الطريق وأثناء الإقامة ما يجول بخاطري من لواعج وأحاسيس. وبعد عودتي إلى الوطن كنت أمر مستعرضًا تلك النصوص، فأشعر وكأنها متفلتة مني بجموح، وكأنني إنسان آخر في زمكان مختلف.

لقد سقت هذه المقدمة المختصرة المتواضعة... طبعًا ولا جديد فيها، فكلكم يعرف ما ورد فيها من معلومات ودرسها واطلع عليها... لسببين: السبب الأول: هو أنني من المتفائلين بولادة مدرسة أدبية مهجرية جديدة ناضجة ومتقدمة شكلًا ومضمونًا، متطورة، تشمل رؤى حياتية جمالية جديدة... فعندما نجد أمثال الدكتور جميل الدويهي وأصدقائه وأفكاره الاغترابية في الميدان، نصبح بحالة يقينية بأنهم تخطوا العتبات والعقبات إلى درجة نستطيع فيها القول بأنها ولدت فعلاً.

فثمة كثيرون من الأدباء المهاجرين في مختلف دول العالم يعتبرون من الصف الأول بإبداعهم ونتاجهم الأدبي، وخاصة الشعر، فالنظم هو بدع إنساني فوقاني يحاور الواقع الكائن ويحمله ويحاول السمو به إلى ما يجب

أن يكون... نعم هم موجودون ونتواصل معهم ونعرف كثيرين منهم ...
أما السبب الثاني، فلأطرح على مؤتمركم الموقر هذه التساؤلات فاقبلوها بمحبة وهي:

١ــ هل استوفت مدرسة الأدب المهجري حقّها كاملاً من حيث الدراسة الأكاديمية والبحث العلمي الأدبي؟

٢ــ هل نشهد فعلاً ولادة مرحلة ثانية من الأدب المهجري؟

٣ــهل يُعوّل على دور التكنولوجيا في ضغط الزمن وسرعة الانتشار؟ وهل سيصل نتاج هذه المرحلة الجديدة إلى المتلقي الشعبوي، وسيكون أثره كأثر (المدرسة الأولى) والرعيل الأول من المهاجرين؟ أم سيبقى هذا النتاج ضمن أراشيف النخب؟

٤ــهل ستظهر في نتاج المدرسة الثانية ملامح سياسية وإيديولوجية ودينية وإرهاصات فكرية بسبب ما حصل في المئة عام الأخيرة من حربين عالميتين، وحرب باردة، وانقلابات فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية، أدت إلى انقاسامات عمودية وأفقية، وعسكرة العالم عمومًا والشرق الأوسط خصوصاً، وهو الذي يشكل الرحم لظاهرة الأدب المهجري، لم تظهر في أدبيات ونتاج المدرسة الأولى؟

٥ــ وهو سؤال افتراضي... لا شك أن صدق العاطفة المتأجج للذات الشاعرة هو من أهم الخصائص التي تميز بها الأدباء المهجريون بسبب اغترابهم وغربتهم، وكتبوا بحرقة وشوق، وكانت الهجرة هي المحفّز لهم. والسؤال هو: ماذا لو لم يهاجروا وبقوا وكتبوا في بلادهم؟... هل ستكون العاطفة بذات المستوى؟ وهل سيكون الكمُّ الأدبائي والأدبي والنوع هو ذاته؟

وأخيرًا أكرر شكري للصديق الإنسان الدكتور جميل الدويهي، حامل الراية ولكم جميعاً، متمنياً لمؤتمركم النجاح والتوفيق، وتفضلوا بقبول فائق تقديري واحترامي.

الورقة ١٣- بقلم الأديبة رانية مرعي - لبنان: رؤية لنهضة اغترابية

شهد مطلع القرن العشرين حركة هجرة من العالم العربي نحو الأميركيتين لأسباب متعددة ، تحديدًا من طبقة المثقفين الذين ضاقت عليهم الحياة في بلادهم. فمن لم تنل منه الأوضاع الاقتصادية بات فريسة الأجهزة الأمنية التي راقبت الكلمة الحرة وقيّدتها، لا سيّما الاحتلال العثماني الذي ناصب المثقفين العداء، فدفع بعضهم حياتهم ثمن مواقفهم، التي جاهروا بها رفضاً للقمع، ومطالبة بحرية العيش الكريم.

هاجرت الأقلام العربية مثقلة بأعباء الحياة في مواطنها الأصليّة... الأفكار المسجونة في حبر الممنوعات تفجّرت في بلاد الاغتراب حنينًا ومناجاة لتلك الأرض البعيدة بالمسافات، القريبة إلى حد التوحّد مع الروح.

مغامرة خاضتها اللغة العربية مع مجموعة من الأسماء اللامعة، حيث شكلوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون وطنًا صغيرًا أينما حلّوا، ونشروا ثقافتهم وعلمهم وعاداتهم وأفكارهم... وكانوا خير سفراء لبلادهم، إذ عبروا عنها وعن إرثها الفكري وجمعوا حولهم أبناء الجالية العربية، وكانت اللّبنة الأولى للأدب المهجري... الرابطة القلمية، العصبة الأندلسيّة (المدرسة المهجريّة)، وروابط ونوادٍ أدبيّة ضمّت أسماء كبيرة، انتشرت أعمالهم التي اتسمت بالحنين للوطن، ممزوجة بالقيم الإنسانية والوطنية والإصلاحية.

هم الذين خرجوا من بلادهم لا رفاهية ولا بطرًا، بل رغبةً في إيجاد مساحة آمنة يستطيعون من خلالها تأسيس خلية عمل هدفها الأسمى الحفاظ على الفكر والثقافة والتمسك باللغة.

وبالفعل استطاعوا من خلال ما قدموه استقطاب القراء من داخل الوطن

وخارجه، للاطلاع على الأعمال الأدبية التي حملت في طيّاتها بذور التغيير والتجديد والتحرّر.
والاطلاع على الأدب الغربي ترك أثره الواضح في الأدباء المهجريين الذين عاشوا تجربة "التلاقح الفكري"، فالحياة الجديدة عصفت بهم وبأفكارهم وسلطت الضوء على جوانب حياتية كانوا غافلين عنها، ومن الطبيعي تأثر أدبهم بالحياة الجديدة وما تحمله من مستجدات لم يألفوها.
أخذوا من الأدب الغربي ومزجوه مع أفكارهم، فخرجوا بمنتج جمع حضارتين، فيه عصارة تجربة عاشوها وأخرى عاشتهم... وهذا ساعد على تغيير الكثير من المفاهيم وتصويبها، إذ إنّ العدو الأول للفكر هو الانغلاق في شرنقة الموروثات التي إن كان بعضها على حق، فالبعض الآخر منها هزيل ساهم في إطالة عصر الانحطاط.
الأدب لغة جامعة لا تعترف بالحدود المصطنعة، وهذا ما جسده الأدب المهجري الذي، في اعتقادي، كان المبتدع الأول لمصطلح "العولمة" الذي يهلل له الكثيرون من خلف شاشاتهم وهواتفهم الذكية.
في ذلك الزمن الذي كان فيه السفر رحلة إلى المجهول، استطاع أدباء المهجر أن يجمعوا بين الشرق والغرب. حملوا معهم زادهم الثقافي والمعرفي وحطوا في أرض غريبة احتضنت أحلامهم، وبدّدت مخاوفهم، وأخرجتهم من دوامة التقليد الذي كان يومًا هو المعيار الذي على أساسه تُقيّم الأعمال.
والفائدة الكبرى جناها أبناء الجالية العربية الذين انقطعت في مرحلة ما علاقتهم بلغتهم وثقافتهم، فعادت إليهم حيوية التواصل باللغة الأم واستذكار كل ما تركوه خلفهم عندما انقطعوا عن جذورهم.
الأدب المهجري صار صوت كلّ المهاجرين، يحمل أشواقهم وحنينهم ويكسر بُعد المسافات من خلال التواصل والتلاقي بين دفتي كتاب . وهذا ما يدفعني دائمًا إلى التمسك بمصطلع "العولمة" الذي بدأ منذ مطلع القرن

العشرين، فجمع الشرق بالغرب ثقافيًا وفكريًا... وأسمح لنفسي القول من خلال متابعة السياق التاريخي إنّ الأدب المهجري حافظ على الكنوز الثقافية وأغناها، خاصة أننا نعيش في شرق سِمتُه الاحتراب، ويناصب المثقفين العداء عن سبق إصرار وترصّد... وهذه السياسة التدميرية هي التي حوّلت مجتمعاتنا إلى بيئات حاضنة للجهل والتعصب والإرهاب.

السجون العربيّة تعجّ بسجناء الرأي، وبالأدباء الذين فرضت عليهم السلطات حظر الكلمة! وكثيرون تعرضوا للنفي القسري أو الاختياري، ولم يجدوا ملاذهم إلاّ في المهجر، حفاظًا على حياتهم وعلى رسالتهم التوعوية المقدّسة.

وهنا أسجّل إعجابًا بالأديب المهجري القديم الذي استطاع، إن صح التعبير، "بلحمه الحي" أن يكون صلة الوصل بين كل ناطق بالضاد وبين أصوله العربية في زمن اللاتكنولوجيا، وكان شعلة ما زالت تتنتقل بأنوارها من جيل إلى جيل... حيث يبدع كل خلف في تطوير ما بدأ به السلف.

فالأوائل حاكوا إبداعهم يدويًّا ونشروه بالبريد والمراسلات التي كانت رحلتها شاقّة ولكنها حقّقت مبتغاها.

وحركة الترجمة التي رافقت أعمالهم خير دليل على نجاحهم حيثما حلوا، وبعضهم خاض غمار الكتابة باللغة الانكليزية، فضلًا عما نقلوه إلى العربية، ما ساهم في عمليّة التثقيف وطرح أفكار جديدة شكلًا ومضمونًا .

وأتساءل : "أليس من حقي بعد كل ما تقدّم، أن أتمسك بنظرية "العولمة" المبكرة التي قادها الأدب المهجري ؟"

فأنا من المقتنعين بأن الأمور تتغيّر تسمياتها عبر العصور، ولكن المضمون ثابت. فلكلّ جيل مفردات تعنيه، ربما من باب التفرّد بميزة هذا الجديد. مع تسجيل أني لست ضد هذا المنحى، لكن دون إسقاط لما سبق، فالتاريخ شاهد حيّ وصادق على هذه المسيرة التي تخترق العصور وتطوّر نفسها حسب مقتضى الحال.

فطابور العولمة بدأ في مطلع القرن العشرين، وإن تعمقنا أكثر لوجدناه في كل زمان عاش فيه مثقف حر.
ولأنها مسيرة مستمرة، نحن اليوم أمام إبداع مهجري جديد يؤكد أواصر العلاقة بين لبنان المقيم ولبنان الانتشار . أتحدّث عن مشروع د. جميل الدويهي "أفكار اغترابية للأدب الراقي" .
من سيدني - أستراليا يطلّ علينا عمل جبّار يثبت بالحجة الدّامغة أنّ الأدباء المهجريين هم العين الساهرة على الأدب، مهما بعدت المسافات عن الأرض الأم، فهم مهما "تفرْنجوا" ما زالت الضاد هويتهم، يجمعون بها الشمل في زمن التفتّت البغيض، ويفخرون بالهويّة في زمن اختلاط الأنساب.
النهضة الاغترابية الثانية يقودها د. جميل بحرص نكاد نفتقده بين أدباء الداخل اللبناني، الذين بات هم بعضهم الألقاب والمناصب والتكريمات الوهميّة التي يتحصلون عليها من جهات غير رسمية. فنراه يساعد الأدباء في تظهير أعمالهم من تصميم الغلاف إلى جمع النصوص وتصحيحها حتى الدّفع بها إلى المطبعة، ثم يرعى أمسياتهم ويرافقهم حتى يصلوا إلى الانتشار الذي يستحقونه. وهنا أشير جازمةً إلى حرصه على النوعية احترامًا للذائقة العامة.
فضلاً عن هذه "الثورة " الأدبية التي يقودها الأديب المهجري وتساهم في إغناء المكتبات العربية والغربية، فقد أُطلقت "جائزة الأديب د. جميل الدويهي - أفكار اغترابية" التي تُقدّم سنويًّا للعديد من الأدباء والمبدعين والأكاديميين، وقد أصبحت محطة سنوية تترافق مع المهرجانات والاحتفاليات الحاشدة التي تقام في سيدني وفي ملبورن.
وشروط الجائزة بسيطة، المهم أن يكون المتقدم إلى الجائزة مبدعًا وله دور في الحركة الأدبية أو الثقافية أو الأكاديمية . علمًا أن الجائزة غير مادية. هي معنوية وتعبير عن فعل محبة من "أفكار اغترابية" تجاه المبدعين في كل

مكان.
وتأكيدًا على الدور الرائد الذي يقوم به الأدب المهجري في سبيل النهضة الاغترابية، نرى أن الكتاب والشعراء في أستراليا يعتبرون "أفكار اغترابية" مدرسة يلتزمون بأسس الكتابة فيها، فهم يعتمدون اللغة المهذبة والأدب الصادق المعبر عن الإنسان، فضلًا عن المزج بين النثر والشعر بروح صافية.
والمتابع لأعمال "أفكار اغترابية" يتأكد أنها واحة للإبداع، تدعم الجرأة المهذبة التي ترتكز على المفردات الرحبة والبعيدة عن الإسفاف، وتشجع على طرق كل المواضيع التي من شأنها أن تكون إضافة في الساحة الأدبية.
والأهم من هذا وذاك أن المعيار الاساس في الانتساب إلى هذه المسيرة التثقيفية هو الموهبة والبصمة الفريدة التي يحملها صاحب القلم، مع إسقاط لكل ما يندرج تحت مسمى الوساطة أو القرابة أو كل ما قد يسيء إلى صورة الأدب.
في هذا السواد الذي يُغرق بلادنا ويهدّد دورنا الريادي، نستمدّ الأمل من شذرات النور التي تأتينا من هذه النهضة الاغترابية المباركة، حيث تحدث جهود جبارة من أدباء ومفكرين منعتهم ظروف البلد من العودة، وكيف ندعوهم للعودة ونحن غارقون في انقسامات ونزاعات أقل ما يُقال عنها إنها لاإنسانية...؟!
ربما قدركم أن تبنوا لبنانكم حيث تقيمون، لبنان الثقافة والجمال... لبنان الحرف الخالد الذي يعانق الإبداع...
سِيروا نحو النور، حبًّا بوطن لا يقبل أن يذلّ ويستحق أن يبقى أرض الرسالات الفكرية والثقافية...
كنتم وتبقون العين الساهرة... وننتظر اللقاء في ربوع المحبة... لبنان!
كل الشكر والتقدير للأديب د. جميل الدويهي.

الورقة ١٤ - الدكتور روني خليل* - لبنان
الهجرة المارونية أواسط القرن التاسع عشر من الناحية الروحية
(نموذج؛ قبرس- السلطنة العثمانية - مصر - إيطاليا)
إستناداً الى أرشيف المكتبة البطريركية المارونية – بكركي (١٨٢٣- ١٨٤٥)

الهجرة اللبنانية قديمة العهد تعود الى قرون خلت، وهنا في مقالي هذا سأتوقف عند نماذج منها آخذا بعين الاعتبار هجرة اللبنانيين والموارنة خصوصا في القرن التاسع عشر، والى مناطق محددة من العالم، لان هذا الموضوع مهما تحدثنا عنه، يبقى قليلا مقارنة مع الموضوع من كل جوانبه، ان من حيث العوامل التي ساعدت على هذه الظاهرة او من خلال أصقاع الارض التي استقبلت اللبنانيين، او من خلال نتائج الهجرة المتشعبة منها الايجابية ومنها السلبية... فتناولت هجرة الموارنة خلال القرن التاسع عشر استنادا الى ارشيف المكتبة البطريركية المارونية _ بكركي الى جهات؛ قبرس، مصر، ايطاليا وتركيا، متوقفاً وبشكل اساسي على الناحية الاجتماعية والروحية لهؤلاء المهاجرين.

خلال هذا القرن شهد جبل لبنان سلسلة احداثاً داخلية ساهمت في انطلاق وتزايد وتيرة الهجرة، فالاحداث الامنية الداخلية من حروب وفتن اهلية، والتدخلات الخارجية الى ضيق مساحة الجبل ابان المتصرفية (١٨٦١- ١٩١٨) الى عوامل الجذب الخارجية التي اطلقها قناصل الدول الغربية وارسالياتها بغية حث اللبنانيين على المغادرة، تحت ذرائع عدة منها بهدف تغيير نمط عيشهم واكتشاف الحضارة الغربية والوصول الى مناطق اكثر اماناً وسواها من المغريات، كما وعمدت الارساليات الى تقديم

منح لطلاب محليين لمتابعة تخصصهم في الخارج، ناهيك عن وصول اخبار عن المهاجرين الاوائل تفيد بتحقيق قسم منهم تقدما ملموسا ان على الصعيد الاقتصادي او الاجتماعي، هذه العوامل وسواها شجعت عشرات لا بل مئات اللبنانيين على الهجرة، التي تفرعت الى نوعين، هجرة منظمة وشرعية عبر المرافئ المحلية بواسطة تذكرة حكومية من السلطات الادارية، وهجرة غير شرعية وغير منظمة اي غير محددة المعالم بوضوح؛ اذ حاولت السلطات العثمانية العمل على التخفيف من الهجرة لئلا تتوسع في ارجاء السلطنة بين رعاياها، لذا ساد هذا النوع من الهجرة، والتي غالباً ما كانت مدروسة، فانتشرت هنا اعمال السمسرة بين بعض الموظفين بغية تأمين حماية لبعض المهاجرين (تهريب المهاجرين) الذين دفعوا بعض الاموال بشكل رشاوى... وكان غالبية المهاجرين الاوائل يصعدون المراكب غير مدركين جهة الوصول ولا حتى لغة البلد المهاجر اليه او وضعه الاقتصادي والامني، آخذين معهم بعض الحاجيات الاساسية، وعليه وصل لبنانيون الى اصقاع مختلفة من العالم.

وكم من المصاعب التي واجهتهم، من مصاعب مناخية وثقافية واجتماعية واقتصادية ونفسية وعرقية اوصلت البعض منهم الى الموت بعيد رحيلهم من موطنهم الام. هذا وقد أطلق الغرب عبارة على المهاجرين خلال القرن ١٩ "توركو" Turcos نسبة الى مجيئهم من اراض خاضعة للسيطرة العثمانية، ما شكّل حالة نفسية محبطة عند غالبية المهاجرين، ناهيك عن اوصاف أخرى اطلقها عليهم بعض البحاثة الغربيين او بعض الصحافيين، فأطلقوا عليهم على سبيل المثال تهما منها "اكلي لحوم البشر"، "وسخون يرتدون ثياباً رثة..."، او "أوسخ من كلاب القسطنطينية" وسواها من العبارات المهينة بحقهم آنذاك. عمل المهاجرون الاوائل بشتى انواع المهن المتواضعة حتى استطاعوا العيش والاستمرار، وعانوا الأمرين... هذا ولا يخفى عن تقبّل بعض المجتمعات الغربية لهم فيما بعد، خصوصا وان

معظم المهاجرين اظهروا حسن النوايا والعمل المستقيم ناقلين معهم مبادئ اخلاقية وعادات اجتماعية مشرّفة.
وفي ما عرض لابرز أوضاع المهاجرين أواسط القرن ١٩ استنادا الى الارشيف.
١ــ موارنة قبرس
يرجع تواجد الموارنة في جزيرة قبرس إلى عهود سبقت فترة الحملات الصليبيّة. وتضاءل عددهم مع الوقت، بسبب المضايقات المادّية والسياسيّة التي تعرّضوا لها أحياناً كثيرة من قبل السلطات العثمانيّة، فتشتّت قسم منهم، واستقر القسم الآخر بالجزيرة مكابداً خسائر مادية، وروحيّة أيضاً، تمثّلت بهدم كنائس لهم وطرد بعض كهنتهم. فسمح إذّاك المجمع المقدّس في ١٨ أيلول ١٨٢٧، للموارنة الموجودين في لارنكا ونيقوسيا بقبرس بدفن موتاهم في مقابر اللاتين، في حين استمرت المضايقات بحقهم على الرغم من المساعي المبذولة من قبل قنصل فرنسا في الجزيرة لحمايتهم والدفاع عنهم. وللغاية ذاتها أوفد البطريرك يوسف حبيش الخوري نقولا مراد الى تلك الجهات للاطلاع على أحوال أبناء الطائفة، فرفع مراد في نهاية زيارته تقريراً أشار فيه إلى تراجع حالتهم الروحية لحاجتهم إلى كهنة يخدمونهم، إذ عندهم كاهنان فقط يقومان بخدمة ست قرى. أما القرى الباقية فتفتقر كلياً إلى الكهنة، حتى أن بعض أبناء الموارنة لم يمارسوا الأسرار منذ أكثر من سنتين، مع ما رافق ذلك من خطر تحوّل بعضهم إلى الطقس اللاتيني وخصوصاً أن الكهنة اللاتين يعملون جاهدين لتحقيق هذا المأرب. وخلال تلك الفترة، التقى الخوري مراد وكلاء الطائفة في الجزيرة من آل دياب، الذين أبدوا عزمهم على تقديم دعمهم المالي لمصلحة الطائفة في قبرس، ورغبتهم في إرسال كاهن من جبل لبنان، متكفلين بمصاريفه. ودرءاً لهذا الأمر، وجّه البطريرك حبيش في ربيع العام ١٨٣٥ كاهنين لخدمة موارنة الجزيرة، ثم جدّد بتاريخ ٢٦

آب ١٨٣٦، للكاهن أنطون الزمّار خادم الموارنة في بلدة كورماجيت القبرسية، الإذن بحلّ الخطايا المحفوظة لشخص البطريرك، والذي كان قد ناله من أيام البطريرك يوحنا الحلو، وسمح له وللكهنة الموارنة في قبرس بتقدمة القدّاس الإلهي من دون مساعدة شماس، لافتقارهم إلى الإكليروس. وتلبيةً لنداءات الموارنة في قبرس، أمر البطريرك حبيش الخوري مخايل بالتوجّه لخدمتهم، في ٢٠ أيلول ١٨٣٦، فلبّى الأمر وفي ٢٣ نيسان ١٨٣٩، بعث المجمع المقدس إلى البطريرك حبيش بكتاب أفاده فيه بأنّ كهنة قبرس الموارنة يتأخرون عن تأدية واجباتهم الروحيّة، ولا سيما كاهن رعية كورماجيت، الكاهن أنطون الزمار، الذي يقضي معظم أوقات السنة بعيداً عن رعيّته. وطلب إلى غبطته حثّ خدام الموارنة في قبرس على الاهتمام أكثر بواجباتهم. فردّ غبطته موضحاً أن مراسيمه لا تنقطع عن كهنة الجزيرة، والمتضمّنة حثّهم على خدمة رعاياهم. وبشأن عدم إقامة الوكيل الخوري أنطون الزمار برعيّته، فهذا بسبب مرضه ولعدم وجود طبيب في البلدة المذكورة. وقد استأذنه السماح للإقامة ببلدة فيها طبيب ليُعالَج وبعدها يمكنه العودة إلى رعيّته لخدمة أبنائها. وقد أمره حبيش بتعيين كاهن ماروني مكانه ريثما يتماثل للشفاء. وبعدما تعافى الخوري الزمار، عاد إلى كورماجيت، وأشاد غبطته بكفايته وبتقواه، وطلب إلى المجمع المقدّس مساعدة الموارنة في قبرس مادياً وروحياً لما يصيبهم من مظالم ومضايقات من قبل الآخرين.

مارس موارنة قبرس طقوسهم في أحد بيوتهم بعد حصولهم على إذنٍ من المرجعيات الروحية هناك. وبعد تهدّم البيت، أقاموا قداديسهم في دير الفرنج للرهبان (هكذا ورد اسمه) إلى أن استحصل أحد وجهائهم في قبرس الخواجا دياب على فرمان من الدولة العلية لبناء كنيسة لهم على اسم القدّيسة مارينا، فأرسل الراهب اللبناني البلدي أرسانيوس النيحاوي يطلب إذن البطريرك بمباشرة البناء، وكذلك إذن رئيسه العام الأب مبارك حليحل

بسكنتاوي. فحصلوا على الإذن. وطلب البطريرك حبيش إلى أبناء الطائفة أجمعين تقديم الإحسان لإخوانهم الموارنة في قبرس بغية إتمام مشروعهم الرعوي. باشر الموارنة بعد ذلك تقديم دعمهم، وبلغ الإحسان المقدّم لهذا المشروع حتى ٨ آب ١٨٣٦، ١٩٨٨ قرشاً كان قد جمعها الخوري حنّا القبرسي. أضيف لاحقاً مبلغ ٢٨٠٠ قرش جُمعت حتى نهاية العام ١٨٣٦.

الموارنة في مصر

يعود وجود الموارنة في مصر إلى أواخر القرن الخامس عشر. وازداد عددهم فيها في أثناء عهد محمّد علي باشا الذي استقدم من لبنان مزارعين ليهتمّوا بنوع خاص بتربية دود الحرير. وقد رافق هذه الهجرة هجرة بعض المفكّرين والكتّاب الموارنة، فتبوّأ بعضهم مراكز اجتماعية وحكوميّة مهمّة. فقد شكّلت مصر عنصراً جاذباً للهجرة إليها نظراً إلى موقع بعض مدنها الساحلية المميز المطل على البحر المتوسط، بالإضافة الى تحسّن النشاط الاقتصادي فيها وتنامي حركة الرساميل الأوروبية.

انتشر الموارنة في مصر في المناطق التالية: القاهرة، دمياط، وادي الشرقيّة، شوبرا، الإسكندريّة، الرشيد، مصر القديمة (الفسطاط)... ونظراً إلى عدم وجود دراسات إحصائية دقيقة لم يتمكن الباحثون من إيراد أعداد المهاجرين الموارنة الى مصر في خلال الحقب الأولى لوجودهم هناك. وقد بدأت الدراسات الديمغرافية عنهم تظهر شيئاً فشيئاً مع بداية القرن التاسع عشر، ففي العام ١٨١١ أوردت دراسة سكانية أنّ عدد المهاجرين الشوام عموماً بلغ نحو ٥ آلاف شخص، توزعوا على مدن مصر كالآتي: ٣ آلاف مسيحي في القاهرة، ما بين ٥٠٠ و٦٠٠ في دمياط، وما بين ٢٠٠ و٣٠٠ في الإسكندرية وغيرها.

وأدرج إحصاء آخر أُجري العام ١٨٢٤، عدد الموارنة في القاهرة فبلغ حينها ١٨٤شخصاً، وارتفع العدد في المدينة المذكورة الى ٢٢٦ العام ١٨٤٣. إلاّ أن أول إحصاء شامل لهم كان العام ١٩٢٧، أجراه المطران عبدالله الخوري

مطران عرقا شرفاً، فبلغ عددهم حينها ٨٤٠٣ نسمة، منهم ٣٦٥٧ في القاهرة.

حالتهم الروحية: تسلّم الوكالة البطريركيّة في مصر القس أنطون مارون في آذار ١٨٢٣، واستمرّ فيها طيلة فترة بطريركيّة حبيش إلى حين وفاته العام ١٨٤٦. وقد ساعده عدد من الكهنة. وكثرت المراسلات المتبادلة بينه وبين البطريرك حبيش، تضمّنت موضوعات متعددة . نَعِم الموارنة في مصر بأمان وحرية منحتهما لهم السلطة الحاكمة، لكنّهم تحمّلوا معاناة روحيّة ومضايقات من قبل بعض رؤساء الطوائف المسيحيّة الأخرى. فلم يُسمَح لهم باقتبال سرّ التثبيت المقدّس إلا من يد رئيس عام القدس المعطى له هذا الإنعام من الكرسي الرسولي، أو من يد أحد كهنته في مصر، بحجة عدم وجود أسقف لهم. إلى أن قام الأب فرنسيس دولوسّي Francis DOLOSSY اللاتيني رئيس أنطش مصر القديمة اي الفسطاط الذي كان يُعرف باسم الدير الكبير، بمنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية في الدير المذكور ودفن موتاهم فيه، متذرّعاً عدم دفعهم إيجاراً سنوياً كان قد طلبه منهم. هذا علماً أن وجود الموارنة في هذا الدير يرجع إلى أواسط القرن الثامن عشر، ففي العام ١٧٨١، أذِن لهم البابا بيوس السادس ٦ PIE بدفن موتاهم في مقابر الدير، وقد خدمهم فيه عدّة قساوسة حينها، نذكر منهم: يوسف حجّار الوكيل البطريركي في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ومساعده القسّ ساروفيم عيواط، والقسّ أنطون مارون الذي وصل إلى مصر العام ١٨٠١ وخدم في الدير ثمانية أعوام قبل توجّهه إلى دمياط. وفعل الأب دولوسّي الأمر عينه مع أبناء طائفة الأرمن الكاثوليك، لكنّهم استطاعوا دفع مبلغ سنوي قيمته ٤٠٠ قرش، فعاد وسمح لهم بالصلاة في الدير.

إنّ تحليلي الشخصي لموقف الاب اللاتيني تجاه الموارنة في مصر، جاء انطلاقاً من المساعي الحثيثة التي سعى اليها الآباء اللاتين خلال تلك الفترة

لتحويل الموارنة وخاصة في بلدان الإغتراب من طقسهم الماروني الى الطقس اللاتيني. وهذا ما دفع البطريرك حبيش في مواقف عديدة للدفاع عن خصوصيات طائفته والتمسّك بتقاليدها وطقوسها الشرقية.

ب- بناء الدير الماروني: وجّه الأب أنطون مارون اهتمامه بإنشاء دير يقيم فيه مع معاونيه، ومدافن خصوصية للمتوفين من أبناء الطائفة، وخصوصاً بعد تلك المعاملة القاسية التي تعرّض لها الموارنة من قبل كهنة اللاتين. فوُفّق بشراء مكان في ظاهر مصر القديمة يُدعى معمل البارود، بمبلغ قدره ٥٤٨٩ قرشاً. ثم اشترى بيتاً حقيراً بجانبه من ابراهيم التباني سكنه مع الأبوين أرسانيوس القرداحي وروفائيل الخرّاط. وفي أواخر العام ١٨٣٣، احترق البيت بما فيه من أثاث وطلب الأب مارون في صيف ١٨٣٤، إلى الإدارة الرسميّة إعطاءه الإذن بإنشاء الدير وضمنه كنيسة ومدافن، فحصل على الموافقة. كذلك طلب الإذن من البطريرك حبيش الذي وافق بسرور. فباشر الأب أنطون مارون البناء، وشيّد كنيسة على هندسة عربيّة وكرّسها على اسم مار الياس. وقد كلّفه البناء ٥٩٦٠٠ قرش، كان قد جمعها من المساعدات التي قدّمها له أبناء الطائفة في مصر، ومن الرهبنة الحلبيّة اللبنانيّة التي ينتمي إليها. وسجّل البناء تسجيلاً شرعياً بتاريخ ١٥ رمضان ١٢٥١هـ/١٨٣٦م، ووَقَفه للرهبان الموارنة الحلبيّين اللبنانيّين القاطنين في دير سيّدة اللويزة بكسروان، شرط أن يُصرف من ريع هذا الوقف نفقة دفنه، وأن تكون الولاية على الدير المرقوم لمن يخلفه في وظيفته بأمر رئيس عام الرهبانيّة الحلبيّة. وقبل الإنتهاء من بناء الدير، كان الأب أنطون قد بنى في الجانب الشرقي من الكنيسة مقبرة مؤلّفة من ١٢ حجرة لدفن موتى الطائفة، وخصّص له حجرة.

ج — أماكن عبادة الموارنة في مناطق أخرى في مصر

مارس الموارنة شعائرهم الدينيّة في الإسكندريّة، في بيت استأجروه في الناحية المعروفة بالمسلّة الجديدة. وقام بخدمتهم الخوري حنّا الناصري

والخوري رشيد المخلّصي.
وفي المنصورة أقام الموارنة صلواتهم في كنيسة الآباء الفرنسيسكان.
فالكنيسة الوحيدة التي امتلكتها الطائفة المارونية، قبل بناء الدير في مصر القديمة، كانت في منطقة وادي الشرقية، وهي كنيسة صغيرة، أمّنت مصاريفها من محاصيل الأرزاق التابعة لها. وقد خدم الموارنة فيها الخوري يواكيم الجميّل والخوري فيليبوس الجميّل. اما حسنة القداس في مصر خلال تلك الفترة (١٨٢٣-١٨٤٥)، فكانت عشرين فضة، وارتفعت إلى أربعين، ضعف ما كانت عليه في لبنان. وبلغت قيمة العشور وحسنات القداسات والنذورات المرسلة من موارنة مصر إلى البطريرك حبيش ١٤٠٣٨ قرشاً من العام ١٨٢٣ حتى ١٨٤٥.
د - الحماية الفرنسيّة للموارنة في مصر: مع بداية العام ١٨٣٢، وجّه القس أنطون مارون رسالة إلى قنصل فرنسا في مصر ذكّره فيها ببراءات الحماية الفرنسيّة المعطاة للموارنة في البلد المذكور، وكانت أوّلاها براءة الملك لويس الرابع عشر بتاريخ ٢٦ نيسان ١٦٤٩، ثم من الملك لويس الخامس عشر في ١٢ نيسان ١٧٣٧. وطلب القس مارون إلى القنصل براءة مماثلة، فأنعم الأخير ببراءة حماية لجميع أبناء الطائفة المارونيّة في مصر، وأمر موظفيه الفرنسيّين في ١٥ كانون الثاني ١٨٣٢ بمنح الموارنة كل الحقوق والإنعامات المختصة بالحماية.
وكما أولى البطريرك حبيش الموارنة في مصر اهتماماً، كذلك أبدى اهتماماً بالوجود الماروني في إيطاليا.
الحالة الروحية للمهاجرين الموارنة في إيطاليا
لم تُشر الوثائق إلى تاريخ الموارنة هناك ولا حتى إلى أعدادهم، لكن ما علمته هو أن الخوري نقولا مراد (المطران لاحقاً) ثُبّت كاهناً على جماعة الشرقيين في ليكورنا بمن فيهم الموارنة، بموافقة حاكم توسكانة، بعد وفاة القس أنطون يونان. فعمّم الحاكم في نيسان ١٨٢٩ هذا الأمر على الدوائر

الرسمية وقاضي البلاد وأسقفها، وتحمّل دفع مبلغ ٤٠ ريالاً شهرياً لتأمين معيشة الخوري مراد، بالإضافة إلى حصول الأخير على حسنة ١٣ قداساً في كل شهر، قيمة كل قداس نحو الريال، فيصبح مجموع الحسنة ٥٢ ريالاً، تكفيه لتأمين مصاريفه.

تميّز الخوري مراد بالسيرة الجيدة وبحسن معاملة الآخرين، فرضي عليه موارنة ليكورنا وسكّانها وفعالياتها وبقي في مهمته حتى ربيع ١٨٣٥. وتلقّى في تلك الأثناء أمراً من البطريرك حبيش يفيده بترك خدمته في ليكورنا والتوجّه إلى روما لاستلام وكالة الطائفة فيها مكان الخوري إسطفان حبيش. وفي الوقت عينه أصدر البطريرك حبيش أمره بتعيين الخوري يوسف حبيش خادماً لأبناء الطائفة في ليكورنا في ١٨ آذار ١٨٣٥، وهو تلميذ مدرسة عين ورقة والمشهود له بإتقانه اللغتين اللاتينية والإيطالية لكن استلامهما المهام فعلياً تأخر بسبب إنتشار وباء الطاعون. وبعد مكافحته بأشهر، تسلم كلّ من مراد وحبيش مهامهما . برز من موارنة ليكورنا أبناء عائلة ناصيف مطر الذين جمعتهم والبطريرك حبيش صداقة قوية، وكثرت المراسلات بين الطرفين تناولت موضوعات متنوعة وبرز ايضا أبناء عائلة كوبا وهم في الأصل من عائلة كبّة من شمال لبنان، أدّوا دوراً مهمّاً في سبيل مساعدة مشاريع الطائفة بمساهماتهم المادية والمعنوية. وبرز منهم الأب روفايل غنطوس كوبا الحلبي الماروني الذي رقّاه الكرسي الرسولي على أسقفية ليكورنا في أواخر العام ١٨٣٣، بعد مشورة حاكمها وموافقته. وبعد إعلانه مطراناً، تهافت موارنة ليكورنا لتهنئته، وتوسموا في شخصه آمالاً كباراً، طالبين إليه التوسط لدى حاكم البلاد للإستحصال على رخصة بناء لكنيسة بغية ممارسة شعائرهم الدينية. تميّز المطران كوبا بعلاقته الوديّة مع البطريرك حبيش، فكان يراسله باستمرار مطمئناً إلى صحته ومهنئاً إياه بالأعياد. وظلّ المطران كوبا في مهمّته حتى وفاته في ٣ كانون الثاني ١٨٤١. هذا كل ما توافر لديّ من معلومات عن موارنة ليكورنا، من دون

معرفة هل استطاعوا أقامة كنيسة لهم أم لا.
الموارنة في السلطنة العثمانية_ تركيا
سكن الموارنة في أرجاء السلطنة العثمانية، وتوزعوا على عدة مناطق نذكر منها؛ أضنه، وبوغاز، والآستانة...
في أضنه: أوردت إحدى الوثائق ذكر أبناء طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك الموجودين في أضنه، والمحتاجين إلى كاهن لخدمتهم. إذ إنّ مسيحيي تلك المنطقة كانوا في أغلبيتهم من الأرمن الأرثوذكس والقسم الآخر من أتباع الطقس الآريوسي. فطلب أحد الموارنة المقيمين هناك، ويدعى الخواجا نصرالله، إلى السر عسكر، السماح لأبناء طائفته وطائفة الكاثوليك بإحضار كاهن من إحدى الطائفتين لخدمتهم. وبعد موافقة سعادته تم الإتصال بكهنة حلب، فتكلموا مع الأب رومانوس حجار الحلبي الماروني، فطلب بدوره إلى البطريرك حبيش والى رئيسه العام الأب عمانوئيل سلامه المتيني منحه الإذن بالتوجه إلى أضنه لخدمتهم، فجاءت الموافقة له في ٢٤ تموز ١٨٣٨.
ب_ في الآستانة
عاش الموارنة أيضاً في الآستانة منذ القرن السابع عشر، وكانوا يملكون ديراً فيه كابيلا صغيرة وما يثبت قدم تاريخ وجودهم هناك، إحدى رسائلهم التي أكّدوا فيها أن أجدادهم هاجروا إلى المدينة المذكورة أوائل القرن المذكور، ودوِّنت أسماؤهم في لائحة، ووُضعوا تحت الحماية والحفظ، فقدموا في المقابل الخضوع والطاعة للسلطنة . خلال فترة بطريركية يوسف حبيش، عُيّن لهم ولإخوانهم من الطوائف الكاثوليكية الأخرى، الأرمن، والروم، والسريان، والأقباط، والكلدان، وكيل روحي هو الخوري يعقوب الورتبيت دشوكوريان Jacob wartabit DOCHKORIAN (المطران لاحقاً) بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٨٣١. برز من موارنة الآستانة آل حوّا الذين ساندوا الطائفة في معظم مشاريعها، بفضل نفوذهم المادي والسياسي، إذ تبوّأوا

مراكز إدارية مهمّة داخل السلطنة. وكثرت المراسلات بينهم وبين البطريرك حبيش تضمّنت موضوعات متنوعة من معايدات وتهنئة ومودة واطمئنان إلى صحته، وأيضاً أخباراً عن أحوالهم وأحوال إخوانهم الموارنة داخل السلطنة... وفي خريف ١٨٣٨ رفع الياس حوا الى البطريرك حبيش كتاباً أفاده فيه بأن أبناء الطوائف الكاثوليكية، من موارنة وأرمن وروم وسواهم، قد تعرّضوا لسلسلة اضطهادات من قبل بعض الجماعات هناك. وبعد تدخل فرنسا عبر قنصلها لدى الدولة العليّة، أصدرت الأخيرة فرماناً تضمّن عدة نقاط، أبرز ما جاء فيه:

إطلاق المنفيين من أبناء الطوائف المذكورة وإرجاعهم إلى أوطانهم؛

إعادة بيوتهم وأملاكهم؛

حماية السلطنة لهم من جور المعتدين وظلمهم.

تنصيب مرسل من طائفة الأرمن لرعايتهم في الممالك العثمانية، بتصريح وبراءة من الدولة العلية؛

إطلاق حريتهم داخل السلطنة بممارسة طقوسهم وعباداتهم داخل كنائسهم من دون معارضة أو مضايقة من أحد.

ثم رُفعت إلى حوّا لإبداء رأيه فيها وموافقته. فاعتذر بحجة عدم تخويله القيام بذلك، إذ إنّ هذا الأمر عائد لشخص البطريرك حبيش. وذكّر حوّا بصدور فرمان عالي الشأن من السلطنة، كان قد ثبّت بموجبه حقوق طائفته. وأبدى باسمه وباسم عموم أبناء الطائفة عدم رضاهم عن خضوعهم لسلطة الأبستولوس المذكور. وفي المقابل أكّد تمسّك طائفته بالكنيسة الكاثوليكية من دون دخولهم ضمن براءة الكاثوليكيين المذكورة آنفاً. ثم طلب إلى البطريرك حبيش إعلام قداسة الحبر الأعظم والدولة الفرنسية والقاصد الرسولي في لبنان، التدخل لدى الباب العالي لأجل حفظ ابناء الطائفة المارونية وصونهم من الأخطار التي يمكن أن تُحدق بهم في أي وقت . فرد البطريرك حبيش بتاريخ ١ شباط ١٨٣٩ شاكراً للياس حوا جهوده في دفاعه

عن حقوق الموارنة في الآستانة وعدم خضوعه لتلك التدابير. كما أورد عزمه على إطلاع الحبر الأعظم والمجمع المقدّس على الأمر. بعد ذلك، أبرق البطريرك حبيش إلى السلطان عبد المجيد، متمنياً عليه تثبيت الياس حوا وكيلاً عن الطائفة المارونية داخل السلطنة. فكان له ما أراد، ولربما جاء موقف السلطنة الإيجابي والسريع من طلب البطريرك حبيش، في سبيل التقرّب منه خاصة في تلك الفترة، إذ خضعت إمارة الجبل الى الحكم المصري. ثم طلب غبطته إلى الصدر الأعظم محمد رؤوف باشا توصيته بالياس حوا وأولاده، معلناً أنهم أصبحوا وكلاء الطائفة في الآستانة لدى الباب العالي. وطُرحت تساؤلات في موضوع العلاقة مع السلطنة، منها هل على النصارى الموجودين تحت إدارة حكّام الدولة العثمانية، التزامهم الخضوع لشرائعها المدنية والدينية، سواء في قسمة الميراث أم خلافه من أنواع المعاملات المدنية، أم تمسكهم برسوم دياناتهم المسيحية وشرائعها في ما خصّ الأمور المذكورة؟ فأصدرت الإدارة العليّة قراراً أفاد بأن النصارى الخاضعين تحت سلطتها، ملتزمون ذمّة بالخضوع لشرائعها المدنية وحفظها، كقسمة الميراث والمعاملات المدنية الأخرى، وهي عادلة وعائدة لخير الجميع، باستثناء ما يضاد رسوم ديانتهم المسيحية ويعارضها. ومن يخالف منهم هذه الشرائع المدنية، يُجرَ عليه العقاب، مما يدل على مدى تحكم السلطنة بزمام الأمور المدنية والشرعية، وخضوع جميع رعاياها من أي طائفة كانوا لها.

وبما أن الكنيسة المارونية تتبع دينياً الكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا، فقد عرفت فترة تولي البطريرك حبيش السدة البطريركية علاقات بالكرسي الرسولي، محورها الشؤون الكنسية بالدرجة الأولى.

الخاتمة

انتشر الموارنة في ارجاء عدة من العالم، حتى فاق عددهم بأضعاف اليوم اعداد اللبنانيين المحليين، وحين نتحدث عن الهجرة، لا نتناول في

الغالب، مسيرتهم النضالية في هذا الصدد، فكم من المضايقات التي عانوها ان من الناحية المعيشية او الروحية او النفسية او الاجتماعية والثقافية... وصحيح ان البعض من المهاجرين الموارنة استطاع كسب مقاعد مهمة في الاغتراب، وهنا نتوقف عند آل ملحمة ودورهم في تركيا، وآل كوبا الموارنة ايضا في ايطاليا، وكم من المساعدات المعنوية والمادية التي قدمها ابناء هاتين العائلتين الى الكنيسة والطائفة المارونية اواسط القرن ١٩، بفضل علاقاتهم الوطيدة مع ارباب الحكم. وفي المقابل، تعرض موارنة الاغتراب خلال تلك الفترة لاغراءات عدة لكي لا نقل لمضايقات، فمسألة الليتنة سادت وبقوة حينها، فسعى الاكليروس الغربي اينما كان جاهدا الى تحويلهم عن طقسهم الماروني وجعلهم لاتيناً، وللغاية تلك، جابهت الكنيسة المارونية هذه المسألة عبر ارسال كهنة موارنة الى مختلف جهات الاغتراب ومساعدتهم قدر المستطاع في بناء كنائس لهم، لا سيما وانهم يفتقرون الى معابد خاصة لهم، فكانوا يمارسون الاسرار في اغلب الاوقات في كنائس اللاتين، وما ساعد بعضهم على البقاء على طقسهم الماروني هو عدم انقطاع التواصل مع الوطن الام . هذا ولا يخفى عن تحوّل كثيرين منهم الى مذاهب مسيحية متعددة. هذا نموذج عن واقعهم الروحي، في جهات محددة، خصوصا وان الهجرة في القرن التاسع عشر شهدت ذروتها وصحيح ان اعدادهم بداية كانت ضئيلة لكنهم جذبوا المئات ثم الالاف لاحقا.

*د. روني سمعان خليل محاضر في الجامعة اللبنانية قسم التاريخ، كلية الآداب الفرع ٤ وفي العمادة وكلية التربية الفرع الاول.

لائحة المراجع

أرشيف بكركي، خزانة البطريرك يوسف حبيش، وثائق متعددة عائدة الى الاغتراب الماروني خلال فترة بطريركيته.

د. عبدالله الملاح، الهجرة من متصرفية جبل لبنان ١٨٦١ ــ ١٩١٨،

بيروت ٢٠٠٧.
المطران بطرس الجميّل، "الأبرشيّات المارونيّة ـ أبرشيّة قبرس"، مجلة المنارة، ١٩٩٢.
الأب فيليب السمراني، الموارنة في جزيرة قبرس، مطبعة قلفاط، بيروت، ١٩٧٩.
روني خليل، البطريرك يوسف حبيش ١٨٢٣- ١٨٤٥ عصر الانجازات الكبرى، ٢٠١٧.
Sami KURI. S.J, Une histoire du Liban à travers les archives des Jésuites ١٨١٦-١٨٤٥.,
الأباتي بطرس فهد، "الرهبانية المارونية المريمية، الحلبية سابقاً"، مجلة المنارة، السنة ٢٩، العدان الثاني والثالث ١٩٨٨.
الأباتي بطرس فهد، دليل أديار لبنان ، ١٩٩٠.
المطران يوسف ضرغام، "أبرشيّة مصر والسودان"، مجلة المنارة، ٣٣، العددان ١ و٢، ١٩٩٢.
مسعود ضاهر، الهجرة اللبنانية إلى مصر "هجرة الشوام"، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية ٣٤، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٠٣ و١٠٤؛ وجوزف لبكي، الانتشار الماروني في العالم.
الأب لويس بليبل، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية، مج ٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٩.
مفكّرة المطران عبدالله الخوري، يومياته إبّان المفاوضات من أجل لبنان الكبير، باريس، ١٩٢٠ وملحقان بالمستندات والأعلام، مراجعة وتقديم سامي سلامه، منشورات جامعة سيدة اللويزة، لبنان ومكتب الأبحاث والإنماء، ط١.
القس بطرس خويري، تاريخ الرسالة المارونيّة في القطر المصري ١٧٤٥-١٩٢٧، مطبعة يوسف كوى مصر، ١٩٢٧.

اخوتنا الراقدون بالرب، الرهبانية المارونية المريمية، أمانة السر، دير سيدة اللويزة- زوق مصبح، ٢٠٠٥.
الأب لويس صفير، تاريخ الرهبانية المارونية الحلبية ومشاهير رهبانها، جمعه وحققه وطبعه الأباتي بطرس فهد، لا دار نشر، ١٩٩٣.
الخوري ناصر الجميل، مدرسة عين ورقة في الذكرى المئوية الثانية لتأسيسها، لا دار نشر، بيروت، ١٩٨٩.
المطران يوسف الدبس، الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصل. دار لحد خاطر، ط ٤، ١٩٨٧.
الأب اغناطيوس سعادة، "رد متى شهوان على سؤالات البطريرك مكسيموس مظلوم ودحض الأجوبة الثلاثة" مجلّة المنارة، السنة ٣١، العدد الأول، ١٩٩٠.
سليم خطار الدحداح، "الكونت رشيد الدحداح وأسرته"، مجلة المشرق، العدد ١٠، ١٩٠١.
الأب مارون كرم، رهبان ضيعتنا، الكسليك، ١٩٧٥.
طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، جزء ٢.
عيسى الحسن، الدولة العثمانية، عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط ١، دار الأهلية، عمّان، ٢٠٠٩.
نوفل نعمة الله نوفل، كشف اللثام عن محيّا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبرّ الشام، قدّم له وحقّقه وأعدّ ملاحقه وفهارسه ميشال أبي فاضل وجان نخول، جرّوس برس، طرابلس- لبنان، ١٩٩٠.
Dictionnaire d'histoire de France, Alain DECAUX et André CASTELOT ، Librairie académique, PERRIN, ١٩٨١.

الورقة ١٥ - البروفسور رياض عثمان - لبنان
رحلة البحث عن جميل الدويهي

إلى أين يا جميل ؟
في رحلة البحث عن شاعر العصر لا بد من الاستعانة بأدوات العصر الجاهلي وعناصر صدر الإسلام ومزايا الغزلين: العذري والإباحي الجميلي والعمري وأن يخوص في عمق الصورة الشعرية العباسية الغارقة في التفاعل الحضاري بفعل الترجمات. وينصح بأن يدخل الدارس عتبات الأندلس بما فيها من تجديد: شكلي ومعنوي، لفظي وصوري ومزج حضاري بين جسرين عريقين، بين شعبين عربي وغربي، لكي يمر بالمملوكي وما يحمل من تدوير وزني وتنقيب لفظي أو عناء كتابي.
وأما من يريد البحث عن شاعر الاغتراب، فلا بد من ان يخترق جدار الذات ون يكون بسبع أرواح: ففي الروح الأولى يحمل معه عشق الانتماء، من ناي ومحراث وقلم وعصا، وثقافة فلاح وصبر راع، ومعارف أكاديمي، وزاد ناقد، لينقلها معه إلى الروح الثانية التي تحتاج إلى كل مكونات العناصر الأدبية وأنواعها من نثر وقصة وأقصوصة وشعر كلاسيكي عمودي وحديث ونثيرة وشعر عامّيّ تكون مشكاته إلى الروح الثالثة التي يبحث فيها عن أصدقاء سابقين ومعاصرين خالدين وبائدين وأحياء أموات، وأموات أحياء، فيتخيّر بعضهم ولا سيما الذين يتفلّتون من عقال الخوف وحب التقوقع خشية المغامرة، فيتعمشق بأجنحة من المعاني: من العادي الى اللا عادي ومن العابرة الى الغابرة، ومن المغبّرة إلى المعبّرة، ناهيك عن اجتراح ما هو خصب في عالم الصورة او محاولة الوصول. لكنه آثر أن تكون الروح الرابعة

للشواعر من بنات جنسه فيستحضر منهن عشيقات امرئ القيس وجميل وقيس وابن أبي ربيعة ونزار وجبران. لتتمادى شاعريته في الروح الخامسة التي يحسبها أصبحت عملاقة في متاهات الأنواع الأدبية التي يصطفيها لنفسه في لحظة ودّ وتأمّل لا يمكن أن يلتفت فيها إلى الوراء هاربًا من صورته التي تشبهه وطفولته التي تكبر براءتها، وتصفو كلما حلّق في لا متناهيها، فيعتصر الشعر شوقًا والشوق شعرًا، فتسلس له قياد الرؤى فيجنّد نفسه مرميّا في الروح السادسة منهكًا لا يجرؤ على التطلّع إلى الوراء او إلى الفضاء ولا يمنة ويسرة، فيخبئ رأسه تحت أجنحة روحه السادسة إذ تختلس عيناه بريقًا طوباويًا علويًا جعله يتصبّب عرقًا ويتلّوى حيرة في بحر من الأوزان والمعاني والأصوات التي يجد لها تسمية ولا يجد صفة... ولا يمكن أن يطلق عليها تسمية، فلا يجرؤ على تصنيفها في أرواح الشعراء ولا الروائيين ولا الزجاليين، عندها وجد نفسه غريبًا بين كل ما سمع وما قد يسمع، فتزداد أنات عذاباتهم ووطأة آلامهم أمام كبير آمالهم، فتتعثر به الخطى لكي يصل إلى الروح السابعة التي تتطلب مسيرة دهر، وقارورة عطر، وشهقة قهر... يريد الوصول إلى اللاوصول، فيتلاشى عندما ترميه القصيدة من بين يديها إلى أعلى، متّكئًا على قلم يحسبه الرائي نايا والظمآن صنبور ماء أو عصا قائد الأوركسترا في معزوفة واحدة أمام الكورال ولا كورال، إلا روحه المتعددة، في سبع، فلا بد من الوحدة التي توصله إلى منتهاه إلى الروح السابعة حيث الوحدة والابداع والبحث عن لقب يناسبه، يتفرّد به لنفسه بين عالم الاغتراب والأدب المهجري، فلم يجد إلا لقب جميل الدويهي، الباحث عن قصيدة لمّا تولد بعد... ينتظر ولادتها في أية لحظة، لأنه الظامئ إلى الإحاطة بالنبل الإنساني والوطني والذاتي، فلن يستطيع الصعود إلى عالمه الرّوحي الثامن، لأن وفاءه يجعله يتجول في كل روح من أرواحه السبعة، فلذا يشق على الدارس أن يبحث عنه في رحلته أو يحط رحاله في محطة واحدة منها أو زاوية من زواياها.

فهل من الضروري أن يلبس الدارسون الباحثون عن جميل الدويهي ثوب الأدب الاغترابي أو المهجري ؟ وهل ثمة مقارنة بين الاغتراب القديم والحديث ؟ وما هو تعريف الاغتراب في ظل الوسائل المتطورة المتاحة ؟ وما الأنواع الأدبية التي اجترحها الدويهي في إبداعه لطرق مواضيعه ؟ ولماذا التنوع بين العامية والفصحى والشعر والنثر والنثيرة ؟ ولماذا هذا الدفق الأدبي ؟ ولمن يكتب الشاعر ؟ وإلى أين رحلته ؟

الورقة ١٦-إعداد: الصحافي د. زياد علوش - لبنان:
دور الأدب المهجري في إغناء الثقافة العربية
مشروع "أفكار اغترابية" نموذجاً

الكمال لله وحده وأعمال البشر يعتريها النقص، مع ذلك تهيبت الكتابة عن د. جميل ميلاد الدويهي، ولمَ لا أتهيب من رجل خرج من بين المنزلتين ليقول: الله هو الشاعر وأنا انتحل الصفة ؟!
في هذ "المقام" اعترف بتحرير "الأطروحة" من القبضة المحكمة للتعريف الأكاديمي. ولست هنا لتأكيد المؤكد في إخلاص الدويهي للفكرة كإخلاصه لمتطلبات الفن الشعري والأدبي. كلماته تعكس صدق الالتزام والحب الخالص ونقاءه وقوته واتّقاده وتمرّده على الانماط المعهودة... إنها ومضات يطلقها ساعات الصباح وعند الغسق خواطر وأفكاراً، ولئن سُجنت الكلمات بين دفتي الكتاب، إلا أن الأفكار والمشاعر ما زالت حرة طليقة تحلق في الأفق الرحب الأوسع، مطلقة العنان لمخيلة القارئ، يستنبط ما يشاء من الصور الابداعية والمعاني.
نصوص شجية تخبرنا كيف تتشكل أقواس قزح ولماذا تختفي ؟ هو بحث عن كلمات تم تصويبها نحو حواجز المجهول وما لا يمكن إدراكه، حتى حين يكون للشعر خاصة معنى، وهو ما يحدث عادة، قد يكون من الأفضل ألا نلح على استخراجه... فالفهم الكامل سيحرمنا من متعة الأفكار التي تتنفس، والكلمات التي تحترق. هو الإحساس الذي عثر على فكرته، والفكرة التي عثرت على الكلمات، لمَ لا؟! فالمهمة هي تنظيف الواقع المتخثر

بالكلمات، بخلق مساحات من الصمت حول الأشياء به نداوي الجراح التي يحدثها العقل. حيث ينوجد في الحين الذي ندرك فيه أننا لا نملك شيئاً، هو اللغة التي يستكشف فيها الإنسان دهشته. إنه أرقى أشكال النشاط العقلي، إنه بلوغ الجمال والدقة... هو الدليل على الحياة. وإذا ما كانت حياتك تتوقد جيداً، فالأدب هو الرماد، بل هو النفق في آخر الضوء.
في مقالة سابقة تحت عنوان "الدكتور جميل الدويهي ومشروع الأدب الراقي" قلت: "في الوقت الذي تزدحم فيه منطقة الشرق الأوسط بمشاريع التقسيم على أسس عنصرية وافدة طائفية ومذهبية وعرقية ومناطقية ودينية... لتفتيت ليس فقط النظم السياسية بل النسيج الاجتماعي برمته. في هذة الأجواء الملبدة ومنذ جبران خليل جبران ونخبة الأدب المهجري الذي نهلناه على مقاعد الدراسة الأولى انقطعت أخبار الأدب اللبناني المقيم والمغترب لصالح المقاربات السريعة "عش سريعًا ومت شابًا"، إلى أن كانت رحلة الأديب والشاعر الدكتور جميل الدويهي نحو إعادة الاعتبار للجمال وأدب الأصالة. بالتأكيد ليس المكان هنا لاستعراض ميزات الأدب المهجري والمقيم، القديم منه والحديث، وليس عن تفرد الدويهي بين أقرانه. إن أهمية مشروع الدكتور الدويهي الأدبي ربطاً بزيارته الحالية (صيف ٢٠١٩) لوطنه لبنان في الظروف الحالية السالف ذكرها في منطقة الشرق الأوسط، حيث سيادة العنف الممثل بالصهيونية والفساد وإلارهاب، فإن مشروع الأديب الدويهي القائم على الجمال والثقافة والأدب والشعر بما يعني في بعده الإنساني من حوار وسلام وتواصل وشغف ومحبة مناقض تماماً لما هو سائد. لا شك أن محاربة التطرف والارهاب والفساد تتطلب إعادة الاعتبار للمقاربات الإنسانية الأصيلة التي يمثلها مشروع الأديب الدويهي، لا سيما في لبنان. وقد أغرت العنقاء بعض اللبنانيين فاسلسوا لها قيادتهم على غير رغبة حقيقية منهم. فأهلاً بك الصديق والزميل العزيز د. جميل الدويهي وأنت تنثر عطرك الفواح وتجمع لبنان من أقصاه إلى أقصاه

على كلمة سواء ومشروع نحتاجه كالماء والهواء، وأنت تؤكد أن المعاني الإنسانية السامية وثقافة الجمال وغاية التواصل التعارف كانت فطرة أزلية سبقت كل شيء، وإن ما بعدها من دين وفلسفة جاءا لتاكيدها، فما أحوجنا هذة الأيام في لبنان خاصة وفي عالمنا العربي عامة إلى العودة لأصالتنا الجامعة التي من خلالها نحيا ونعيش ونطل بها على العالم أجمع، وهل هناك منصة لتلك الإطلالة تفوق أستراليا القارة والدولة العزيزة التي تحتضن بأبوة أبناءنا المهاجرين والمغتربين دون إغفال أية منصة على مساحة العالم أتاحت لأبنائنا التميز والتعبير عن ذاتهم التي أغنت الإنسانية جمعاء؟"

أطلق الدكتور ميلاد جميل الدويهي مشروع "أفكار اغترابية" أواسط العام ٢٠١٤، وبالتوازي أنشأ موقعاً للأدب الراقي باسم "أفكار اغترابية" أيضاً. المشروع يهدف إلى نشر "الأدب الراقي والرفيع"، وتعميم الرؤية الحضارية وثقافة السلام والمحبة والخير، ومساعدة الأدباء على نشر أعمالهم سواء في موقع "أفكار اغترابية" أم في كتب، تحت عنوانين هما الابداع والرقي، رسالة الدويهي تظهير الأدب المهجري في أستراليا على حقيقته، وقد نجح في ذلك وبدأ الناس يقارنون ويحكمون.

مشروع "أفكار اغترابية" هو ثورة في أدب الاغتراب في سيدني، حتى قيل إن الدويهي نقل مركز الثقافة العربية إلى سيدني بدلاً من بيروت والقاهرة ودمشق، وأطلقوا عليه اسم النهضة الاغترابية الثانية.

الدويهي ليس شاعر تفعيلة ولا قصيدة نثرية ولا زجلية، ولا هو روائي أو مفكر أو أكاديمي، هو كل ذلك، وكتبه موجودة لمن يريد أن يطلع عليها.

في أعماله تجد الواقعية والرمزية والسوريالية والرومنطيقية... ولأنه كثير التنوع لا يحصر نفسه في مذهب واحد. وهو القائل: "أتمنى أن أكون ذات يوم مدرسة يقتدي بها الآخرون. وهناك العديد من الأدباء حول العالم كتبوا محاكاة لأعمالي ونسجوا على منوال قصائدي". إنه سفير الإرث اللبناني

والعربي الأديب الدكتور جميل ميلاد الدويهي.
تعد (وسائل الإعلام) المختلفة، أحد أهم (الأمور) المؤثرة في تكوين ثقافة المجتمع ومؤسساته المختلفة، وفي إحداث حركة (وعي) متنوعة، بل وفي تسريع انتشار (المصطلحات) و(المفاهيم) السياسية والفكرية والحقوقية والثقافية المعاصرة، مثل (حقوق الانسان) و(الحداثة) و(الديمقراطية) و(التعددية) و(العولمة) و(حقوق المرأة) وغيرها، لذلك لا يمكن الحديث عن التأثر والتأثير ما لم يحدث ذلك الاتصال والتواصل. وهنا اقتبس مما كتبته بعض الصحافة في الأديب والشاعر الدويهي.
"عندما أعلنتا عن مهرجان الأدب الراقي، ظن العديد من الناس أنّه مهرجان يشبه مهرجانات بعلبك، أو مهرجانات الصيف في لبنان، أو أنّه على الأرجح مهرجان يشارك فيه عشرات الشعراء وترعاه دولة أو منظمة دولية. ولم يصدق أحد أن شاعراً واحداً هو الذي نظم المهرجان، ودعا إليه، ورتّب فعالياته. المهرجان كان مهرجاناً بالحقيقة لأنه شهد، لأول مرة، ربّما في التاريخ، أن يطلق أديب وحده أربعة كتب دفعة واحدة. ليس هذا فحسب، بل إن الكتب تتنوع بين الرواية (طائر الهامة)، والتأريخ (أشهر المعارك الإهدنية في التاريخ)، والشعر (لا تفكري صار الهوى ذكرى)، والفكر الفلسفي (في معبد الروح)". وفي سياق متصل وبشيء من التعلم بالفعل المنعكس الشرطي الذي يصبح نهاية بمثابة الإيعاز، فإذا ما ذكر الأديب الدويهي ذُكر الحواريون، عنيت الأديبتين مريم رعيدي الدويهي وكلود ناصيف حرب كانعكاس مباشر للضوء والنور ترداداً وتفاعلاً وشرحاً وتعليقاً... تقول الأديبة مريم رعيدي الدويهي: "يحقّ للجميل أن يتمرّد... ويرتفع بارتفاع أعمدته... نحن لا نتحدث هنا عن شاعر مرّ في عصر، بل عن شاعر وأديب ومؤرخ ومفكّر وناقد وباحث أكاديمي وكاتب سياسي، ومترجم... كأنه عصور مختلفة، أو رجال لهم هيئات متمايزة، واسمهم واحد، هو جميل الدويهي... يعيش على بعد ١٦ ألف كيلومتر من بلاده،

ويؤسس لنهضة اغترابية ثانية، هي بحق نهضة لا مثيل لها... هذا هو الدويهي، لاعب السحر، وضحايا سحره أكثر من أصابع اليد، حوّلهم إلى رسل، لا تنحرّك ألسنتهم إلا بذكره، ولا يغتبطون إلاّ بنقل مآثره إلى الآخرين، فيقول: أكاد أصدق ما يقولون، ويعرفون عنّي أكثر ممّا أعرف عن نفسي. إنّهم رسل العصر الدويهي الجديد، طيّرت عقولهم معجزة تحويل الحبر إلى خمرة طيبة، وكيف أنه العاصفة التي تطيح بالصمت والجمود، وأدبه الفكرة اللماحة البعيدة كل البعد عن التكلف والتصنع والنظم البارد... وسيظل هذا العبقري اللبق، عميد أدب المهاجر، يلعب بالسيف والدرع، وكلما يمضي إلى السوق ليشتري ويبيع، تسير إلى جانبه ملكات الشعر، وفوداً وجماعات، فله ولمكانته تليق مواكب الملكات."

ومن الأديبة كلود ناصيف حرب إلى جميل الدويهي نقرأ: "في آخر يوم من السنة، وبداية سنة جديدة، ماذا أقول للعبقري اللبق، رائد النهضة الاغترابية الثانية، وزعيمها من غير منازع، المتعدد في أدبه، والمضحي بكل ما عنده من فكر وإرادة وسهر وتعب، من أجل حضارة الإنسان؟ وبين هذه الباقة من الكتب، وهذا الإنجاز الذي لا يُصدّق، لولا الإثباتات الدامغة، أعتز بأن لي مساهمة في هذه النهضة التي أرادها الدويهي، ونشر أعلامها على القمم... ونحن سنبقى معك أيها الجميل الجميل، ونبشر أنفسنا بإنجاز مماثل في العام المقبل، ولا تطلب من النقاد أن يؤرخوا، فهذا واجب، وخدمة الحقيقة يجب أن تكون تلقائية، لا انتقائية. وأنت تضع أعمالك في وضح النهار، لكي يراها الناس، ونحن نراها، ونعترف بأنها قيم وإنجازات ضخمة تعجز عنها دول ووزارات ودور نشر ربحية، فألف شكر لك، واعتزاز بقامتك الأدبية والفكرية، وكم هو رائع أن يكون الجميع مدعوين إلى مائدة العطاء الدويهي الذي لا حدود له، وأن يكونوا شاهدين بصدق، نقاداً وإعلاميين ومهتمين، على نهضة قل مثيلها، تنطلق من قلب سيدني إلى قلوب المحبين في كل مكان. كل عيد وأنت بخير يا عميد الأدب

المهجريّ، والمقارنة هي التي تثبت وتبرهن، ولا تحتاج إلى منجمين للحديث عنها. محبتي ووفائي إلى ما بعد بعد الزمان".

حظي مشروع "الأدب الراقي" للدكتور جميل الدويهي بعناية الدارسين ونقاد الأدب وما ز ال كذلك، ولهذا الأدب محبوه ومتذوقوه، فقد كان فتحاً في أدبنا الحديث، فتح عيوننا على مباهج الحياة، وروعة المغامرة وإغراء الحرية، إذ خرج بالأدب المهجري من رحم المعاناة مبشراً بعصر الخصوبة وبقيام طائر العنقاء من رماده صحيحاً معافى، معلياً صرحاً جديداً من الأدب الخلاق المتميز بصدق الشعور ونزعة التجديد والغيرة على حاضر الأمة ومستقبلها، متزوداً من الثقافة العربية الأصيلة والغربية البناءة، مستفيداً من أرض ترعرع فيها هي "أستراليا" حيث للفرد قيمة وللعلم المكانة الأولى.

ونحن في هذا المقال راصدون لدور الإعلام في نقل الأدب المهجري، تاركين القيم الإنسانية التي تضمنها والجمالية والفكرية لمقالات أخرى. وإنه لحقيق بنا نحن ورثة هذا التراث الأدبي الضخم أن نتمثله وأن نساهم في نشره ومأسسته وأن لا تبقى المسؤولية فردية بما تتطلب من جهود وإمكانات.

أضف إلى ذلك، وقد أضحى العالم قرية كونية واحدة بفعل ثورة الاتصال والتواصل وسيطرة "العولمة" والتي غزت أسواقنا بمنتجاتها الغثة والثمينة وما نحن في حاجة إليه وما نحن في غنى عنه والتي أدت في النهاية إلى تسطيح الفكر والشعور والجري وراء بريق الألفاظ دون أن نكلف أنفسنا عناء البحث عن المضمون. إنها عولمة في بعض أوجهها حولتنا إلى كائنات طفيلية مستقبلة ومستجيبة لكل المثيرات الواردة من الضفة الأخرى، وكأن صرخة المهجريين في النصف الأول من القرن الماضي ذهبت أدراج الرياح ، وما أحرانا اليوم أن نعود مع "أفكار اغترابية" إلى تلك القيم الإنسانية التي تضمنها الأدب المهجري وصدح بها وعاش لأجلها. لأننا عندما

نتحدث عن الثقافة العربية في المهجر، تنفتح الذاكرة على تلك المدارس الأدبية التي أسستها أجيال من المهاجرين العرب إلى أمريكا الشمالية والجنوبية في بدايات القرن العشرين، في ما عرف بعد ذلك بأدب المهجر. في المقابل عندما نتناول المسألة نفسها في الوقت الراهن تقفز إلى أذهاننا إبداعات فردية لكن هذة المرة في أستراليا، الدكتور جميل ميلاد الدويهي نموذج. بحيث يمكننا القول إن أدب المهجر في أستراليا قد وصل إلينا وأصبح بداخلنا لدرجة أننا نتنفسه كل يوم في ظل وجود قنوات الاتصال الحديثة مثل الإنترنت، والمطبوعات العربية في كل من أستراليا ولبنان التي تنقل لنا الأدب المهجري ونشاطاته. فلم يعد هناك شيء خفي. كل شيء أصبح معروضاً. ولا توجد موهبة حقيقية خفية في ظل كل وسائل الاتصال هذه.

إن المتأمل للمسألة سيجد أن ثورة الاتصالات أحيت مدرسة المهجر القديم فما بالنا بالجديد؟ وعليه فإن المشكلة هي في معرفتنا القاصرة والضعيفة أحياناً بما يُنجزه المثقفون والكتاب العرب في الخارج، وليس إلى انخفاض مستوى نتاجهم أو هشاشة أعمالهم. بشكل عام، علينا أن نكون فخورين بالعديد من التجارب العربية في الخارج، لا سيما في أستراليا حيث "مشروع افكار اغترابية للأدب الراقي"نموذج.

أختم مع الصديق الدكتور عماد فغالي وهو يقول في الدويهي: "عرفتُكَ يا سيّدُ تحصد ما زُرعتَ فيه. وإن اقتلعتَ ذاتكَ إلى الهجرة البعيدة، إلّا أنّكَ غائصٌ دائم ومتمكّن في الجذور التي أنبتتْك، رغم الأشواك التي تغمر الطرقات... جميل الدويهي، قرأتُكَ روائيًّا، لتؤكّدَ لي مرّةً جديدة، هذه المرّة مزدوجة، أنّكَ شاملُ الأدب. خضتَ أنواعَ الكتابة بإبداعيّة، وهذا نادرٌ يميّزكَ. وفي كلّها أعلنتَ الكلمة في أبعادها الإنسانيّة المثلى. شكرًا لأنّكَ طائرُ الهدى، في يراعِكَ غصنُ سلامْ، يشقّ البحار يحملُ الخير، ويَنشدُ المراقي... حسبُنا نعتبر!"

الورقة ١٧- الأستاذ سامي مظلوم - ملبورن:
مشروع من أجل الإنسان

أفكار اغترابية من أجل الإنسان، تأتي وفاء لإنسانية مهذبة، وتعبيراً لرسولية فكرنا المجتمعي والحضاري منذ أزلية هذا الوجود، وهكذا نكون ونبقى ونستمر...
شكراً لكم، ولكل المشاركات والمشاركين في هذه الورشة النهضوية، وهذا العمل الإبداعي الذي يؤكد شراكتنا كشعب واحد في الحياة والمصير...
المعاناة واحدة، والمعمودية واحدة، والهدف واحد، في ترسيخ الأصالة، وبعث حركة أدبية تزرع الوطن بقيمه الجميلة ومثله الراقية، في مجتمعنا الأسترالي المتعدد الثقافات...
إنها دورة حضارية جديدة يطلقها المبدعون في دروب الوعي والتقدم...
البطل أيّها الجميل، بعطائه الأدبي لا يموت، أفكارك، جذورك في أرض إهدن التي أنبتتك... هناك رفعت رأسك، ومن هناك انطلقت إلى العالمية، من جبل البخور، جبل لبنان، مروراً بالعاصمة الأولى بيروت، وصولاً إلى مدينة سيدني في أستراليا العظيمة. وهنا ناضلت وما زلت تكافح بمرارة وبعرَق الكبار، قدوتك الأسطورة الحية لطائر الفينيق الذي احترق وعاد وامتشق نفسه وانتصب صوتاً وقامة، نغمة ورؤيا، ورسالة تمجّد الخالق، وتخلق لبناناً جديداً يعرف كيف يحبّ، وكيف يعطي، ملتزماً خطه الرسولي، صورة صحيحة عن تاريخ إنساننا الذي هو تاريخ اتصال وانفتاح على العالم...
جميل الدويهي لك الكثير من اسمك الجميل، الدويهي والإهدني واللبناني

والإنساني، غزير العطاء، عاشق للكمة الكلمة. وبعد قراءتي لإرثك الأدبي الغني وأفكارك الاغترابية، هذا المشروع المجيد، وجدت أنه قد يكون نافذة أمل ورجاء، يشرّع للمستقبل باباً واسعاً يدخل عبره المؤمنون بالوطن وتراثه إلى رحاب الوطن. "أفكار اغترابية" مشروع وورشة، حبّذا لو اتخذناه فعل إيمان يكون رداً على محاولات تطييف المغتربين، وتضييع فرصتهم الذهبية في عملية الإنقاذ وعودة البناء...

إن مسؤولية الأديب والفنان وكل المبدعين والمنتجين، فكراً وصناعة وغلالاً، وخاصة في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها لبنان والعالم، هي مسؤولية وطنية وأخلاقية ووجدانية، أن يكون لنا موقف موحد من القضايا المصيرية التي عليها يُبنى الوطن، بدل أن تكون لنا مواقف متناحرة من القضايا التي على ركامها تُجتذب المعاول لهدم الوطنّ.

نعم أيها الأحباء المشاركون في ورشة "أفكار اغترابية"، كلكم تعرفون أن الوطن دخل مرحلة الخطر الأقصى، ولم يعد جائزاً ولا مسموحاً أن نمارس سياسة النعامة، ولم يعد مقبولاً أن نقف في الساعات الحاسمة أمام تكرار المآسي، وتعداد ضحايا... ونحن منها!

شعبنا على أرض الوطن يموت قهراً وجوعاً، ونحن كمغتربين، وما يسمى الامبراطورية اللبنانية في العالم، نعاني وجعاً روحياً رهيباً... فأيها الأعزاء الكرام، أقترح عليكم أن تكتبوا، أن تقاوموا التطييف، أن تواجهوا الطغاة وفسادهم، عبر الأدب والشعر وكل الفنون، وبالتعاون مع كل الفعاليات الاقتصادية والفكرية والسياسية المتواجدة في مجتمعنا الأسترالي... لنجدد روحية ميثاق الشرف الذي جمعنا في تعاقد روحي ومادي عظيم في ملبورن، العام ١٩٩٢، وكانت أهم منطلقاته الثقة المتبادلة والحوار العقلاني، والرغبة الأكيدة في الالتزام به. ومن أهم مبادئ هذا الميثاق إعلان شرعة حقوق المغتربين في وطنهم لبنان، وهذه الشرعة تقوم أوّلاً على أن المغتربين مع وحدة الوطن أرضاً وشعباً مؤسسات...

أنتم اليوم يا دكتور جميل وهذه النخبة من قادة الرأي وعقلاء القوم، أنتم فعل نهضوي، في مسيرة الإبداع من أجل الإنسان الذي هو الثروة الحقيقية في المجتمع...

إن فينا قوة يا صديقي، ولقد برهن المغتربون ماضياً وحاضراً أنهم على قياس جبابرة، وأملنا ألا يتخلف أحد باستطاعته أن يكون سنداً في عملية الانقاذ والنهوض، ومدماكاً في هذه الورشة، ودافعاً في مسيرة "أفكار اغترابية" رائدة.

يا نساء ورجال الفكر والأدب والفن، نتمنى لكم النجاح. وتذكروا أن التاريخ يسجل الأفعال. فعلينا أن نعمل وبعقل مؤسساتي واع، علّ هذه المبادرة المباركة التي أطلقها ودعا إليها الدكتور الباحث والأديب جميل الدويهي تعيد الروح الأصيلة إلى جسدنا الاغترابي، وإلى دورنا الحضاري المنشود في بناء أستراليا الجميلة، والمشاركة الفعالة لخلق عالم أفضل يليق بسلامنا وفرحنا وإبداع ناسنا، مقيمين ومنتشرين... وشكراً لكم.

الورقة ١٨- الدكتورة سحر نبيه حيدر - لبنان
حول موضوع هجرة النهضويين من لبنان في العصر الحديث
أسباب ونتائج.

"أولئك الذين اغتربوا عن الأوطان طويلًا وحدهم يرون في كلّ إنسان لفظه الوطن، رسول وطن" إبراهيم الكوني، شاعر وأديب ليبي.
"لا يسكن المرء بلادًا، بل يسكن لغةً، ذلك هو الوطن ولا شيء غيره".
إميل سيوران، فيلسوف وكاتب روماني.
المقدمة
يتخبط العالم وسط بحر من الأزمات المتضاربة على مختلف الصعد الصحية والاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية. بالرغم من ذلك ترتفع بعض الهامات المميزة لتعلن أنّ الثقافة تعلو ولا يُعلى عليها وأنّ ارتقاء الأمم يكون من خلال اليقظة العقلية التي تسبق أي نشاط، سياسيّاً كان أم اجتماعياً أم اقتصادياً، وتسمو النهْضات الإنسانية حيث لا مكان للجهل... وحده الوعي يعيد قواعد الأدب ويساهم في تغيير ما فسد.
كذا آمنوا وعلى هذا الأساس انطلق مشروع "أفكار اغترابية" للدكتور الأديب جميل الدويهي، فما كان لمنتدى "لقاء" بشخص مؤسسه د. عماد يونس فغالي سوى التكافل والتضامن لدعم هذا المشروع، الذي به ومن خلاله تلتقي النهضة الإنسانية والأدبية والاجتماعية والثقافية من "لبنان المقيم" إلى "لبنان المغترب"، بطريقة سامية لافتة، تعيد مجد الكلمة واللغة الأمّ، ويبات كلّ حامل راية الثقافة مرسلًا ورسولا.
إنّ انطلاق مؤتمر "النهضة الاغترابية الثانية - لإبداع من أجل الحضارة

والانسان"، خير دليل على إصرار "الثالوث المعمّد بالشراكة والحب" وأعني به "مشروع أفكار اغترابية"، منتدى "لقاء" و "بستان الابداع". قامات أدبيةٌ تملك من بُعد النظر وحُسن التخطيط ما يخوّلها العبور بكلّ من التحق بالركب نحو شاطئ العطاء من دون منةٍ أو خوفٍ أو تردّد. حملوا ومَن معهم، لواء الانسان -الفرد، وجودَه وفكرَه وآثاره ورؤيته في البقاء والاستمرارية والنضال، ساعين إلى نهضةٍ جديدة للّغة العربية وأهلها وناسها، متحَدِّين بذلك كلّ العوائق والصعوبات، ومتجاوزين الحدود والأمكنة، حتى اختلط المغترب بالمقيم، وتشابكت الأفكار بتناغمٍ يعجز المرء عن فصله. عادت للأصوات أنفاسها العطرة وللأرواح زفراتها العذبة. مواضيع متعددة الأوجه والاتجاهات ونقاشات لا بد وأن تثمر. غير أنّ القاسم المشترك يدور في فلكٍ واحد هو "الهجرة". هجرةٌ من الذات نحو الآخر، هجرةٌ من الداخل نحو الخارج أو هجرة من الوطن إلى وطن "مختلف" بزيّ جديد ونفحة حضارية إنسانية جديدة.

نعم، إنّها الهجرة، تقصينا عمّن نحب، لكنها تجمعنا بما نحبّ فنكتشف معها مكامن فكرنا وتنطلق بفضل تحدياتها كلّ المكنونات التي تبحث عن الإنسان الذي لبست صورته وآن لها أن تكتشفه.

ترتبط الهجرة في غالب الأحيان بالحرية على مختلف الصعد: الدينية، الفكرية، الاجتماعية وحتى الاقتصادية. يهجر المرء ما يعيقه ويأسره من فكرٍ أو عادات أو بيئة محيطة أو حالة اجتماعية، وصولًا إلى الهجرة الحسيّة نحو أرض جديدة أو بيئة جديدة تحرره من الخوف والاضطراب والقلق، وتفتح أمامه، إن كان أهلًا، بابًا للابتكار والإبداع. يبقى الأهم أن يحافظ الانسان على هويته ولا يهمل جذوره وأصوله على غرار ما فعله النهضويون المهاجرون، الذين حملوا تحت جلدهم إرثًا إنسانيًا مميزًا، طوّروا هذا الكنز المكنون ونشروه، كلّ على نهجه، فرفعوا اسم بلادهم حيثما حلّوا.

بالإضافة إلى سعيهم الدائم للحفاظ على الروابط الثقافية والفكرية التي

تثبّت جذورهم وتبني الجسور المتينة والأصيلة مع الوطن الامّ وتنثر البذور في الأرض الجديدة مع النسل الجديد، من أجل الحفاظ على الاستمرارية وصون الأسس بشتى الطرق المتاحة.

تتعدّد الزوايا التي يمكن لنا مناقشة قضية الهجرة من خلالها، بخاصةٍ مع تفاقم الأزمات من جهة واختلال التوازن الفكري، الذي باتت صورته شبه مشوّهة من جهة أخرى. وقد استقطبت هذه الظاهرة الكثيرين من باحثين ومؤرخين ودارسين ونقاد، حاولوا معالجة الموضوع من خلال منهجية علمية بحتة طالت مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الهجرة من لبنان، والتي ارتبطت تاريخيًا وجغرافيًا بحركة تجارية خارجية، كما بالبنية الاقتصادية وسوق العمل فيه. فاعتبرت الهجرة بمثابة رافد اقتصادي شبه دائم، يساهم في التصدّي لمختلف الأزمات التي زعزعت كيان هذه الأرض الصغيرة اقتصاديًا اجتماعيًا وأمنيًا.

من هنا جئتُ بهذه الورقة البحثية المقتضبة أهدف إلى تفكيك رموز الهجرة من حيث النوع ومعرفة أبرز أسبابها، كذلك تسليط الضوء على ما قامت به النهضة الاغترابية الأولى وما ترمي اليه النهضة الاغترابية الثانية، مع عرض سريع لبعض النماذج المبدعة التي ساهمت في تمجيد اسم لبنان عالميًا.

تعريف الهجرة

تمثل قضية الهجرة جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الإنسانية. وتُعرف في "اللغة" أنّها الخروج من أرضٍ إلى أخرى. أمّا في مصطلح الهجرة بمعناه القانوني فهو انتقال أو تحوّل لفردٍ أو جماعةٍ من دولةٍ اعتادوا الإقامة فيها إلى دولة أخرى لا يحملون جنسيتها لغرض الإقامة فيها بصفةٍ دائمة. يُقصد بالهجرة انتقال شخصٍ إلى بلد جديد وهو ليس مواطنًا فيه بقصد المعيشة والإقامة فيه بشكل دائم.

بالنسبة للعرف العام، توصيف الهجرة يختلف بحسب العوامل والدوافع. تعتبر الهجرة على أنواعها ظاهرة عالمية تتغيّر وفقًا للفوائد العائدة منها،

وهي تجمع العديد من المعاني والدلالات تماشيًا مع طبيعة التحديات التي تفرضها هذه الظاهرة بشتى أنواعها. في وقتنا الحالي بات عدد كبير من بلدان العالم "مقصودًا"، حيث يفد إليها المهاجرون بحثًا عن الحياة الكريمة والأمان لما تقدمه من رفاهيةٍ واحترام لحقوق الانسان وكرامته وحضارته الفكرية وتقدّمهِ. ما هي أنواع الهجرة وأشكالها ؟

أنواع الهجرة وأشكالها

شملت موجات الهجرة في العالم كما في لبنان مختلف الطوائف والأعمار، في ظل غياب الدراسات الإحصائية لحاجات سوق العمل، والفوضى الاقتصادية "واللا إستقرار" الأمني، كذلك هيمنة المحسوبيات وغياب المحاسبة والعدالة الاجتماعية. هذه العوامل جميعها دفعت بالكثير من اللبنانيين إلى التخلي عن أرضهم بحثًا عن الأمان النفسي والمادي والفكري. الدافع الرئيس في غالب الأحيان هو البحث عن الاستقرار والتطور وبالتالي فاعلًا رئيس لإثبات الذات والإبداع والابتكار.

العوامل المؤثرة على قرار الهجرة

بشكل عام تكمن عدة عوامل خلف مسألة اختيار الأفراد ترك أوطانهم ومسقط رأسهم. نعجز عن فصلها عن الأسباب. يُمكن تعريف المهاجر بالإنجليزيّة Migrant وفقاً للمنظمة الدولية للهجرة International Organization for Migration-اختصاراً (IOM) - بأنّه أيّ شخص ينتقل من مكان إقامته إلى مكان آخر داخل دولته أو خارجها عبر الحدود الدولية، بغض النظر عن حالته القانونية أو مدّة إقامته في المكان الجديد أو الأسباب والعوامل التي دفعته للهجرة، أو إذا كانت هجرته طوعية أو تمّت بشكل قسريّ.

عوامل الدفع Push Factors وهي عوامل تجعل الاستمرار في العيش في المكان الأصلي أمراً غير مرغوب به، كعدم توفر فرص للعمل، أو الاضطرابات السياسية، أو الاكتظاظ السكاني.

عوامل الجذب أو السحب Pull Factors وهي عوامل متوفرة في المكان المُراد الهجرة إليه، تُشجع على العيش في ذلك المكان وتجعل منه أمراً مرغوباً، كتوفر فرص العمل الجيدة أو وجود الأهل والأصدقاء في ذلك المكان.

أبرز أنواع الهجرة هي:

- الهجرة الداخلية أو الهجرة من الريف إلى الحضر، وهي انتقال الناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية في نفس البلد بحثًا عن فرص وأنماط حياة جديدة.
- الهجرة القسرية أو غير الطوعية، تتمّ عندما تجبر الحكومة أو السلطات في مكان ما الناس على الهجرة لسبب ما.
- الهجرة الدافعة (تسمى أيضًا الهجرة المترددة أو المفروضة)، وهي نتيجة حتمية لبعض العوامل الدّافعة مثل الحرب والجوع والظروف الصعبة...
- الهجرة الموسمية، تكون عندما يتحرك الناس في بعض الأحيان خلال مواسم محددة مثل حصاد المحاصيل وتغيّر المناخ للعمل، ثم يعودون عندما ينتهي الموسم.
- الهجرة الجغرافية، تشكّل المساحات الواسعة في بعض الدول فرصةً للهجرة إلى بعض الدول حيث توفر فرص عمل متنوعة تجذب المهاجرين.

أسباب الهجرة

تدفع عوامل متعددة البعض الى الهجرة، منها تحسين المستوى المعيشي للفرد أو المجموعة. نذكر على سبيل المثال هجرة العَمالة أو رأس المال باتّجاه مناطق الرخاء والاستقرار الاقتصادي وتعني بالإنجليزية immigration. أبرز أسباب الهجرة:

أسباب اجتماعية

للهجرة الاجتماعية العديد من الأسباب، منها خاص يتعلّق بالشخص نفسه ومنها عام يتعلّق بالمجتمع. وقد تكون مرتبطة بالعوامل الاقتصادية، فقد

يهاجر الكثير من الأفراد هربًا من الفقر أو الفروقات الكبيرة في الرواتب، أو لارتفاع البطالة أو قلّة الفرص المتاحة في أوطانهم. ونلفت إلى أن البحث عن مستوى معيشي أفضل لا يقتصر فقط على الجانب المادّي، بل يشمل الناحية البيئية والصحية (نقص الرفاهية، الحياة الكريمة، ضمان الشيخوخة، التناقضات الاجتماعية التي تعاني منها بعض المجتمعات، بخاصة ما يتعلق بالعلاقات الأسرية أو علاقة المرأة بالرجل. وجود صراعات عائلية تدفع بالأشخاص للانتقال إلى مكان آخر. السعي إلى التحرر من السلطة الأبوية، ولا يفوتنا مسألة الطمع في الحصول على جنسية ثانية التي تساهم في تأمين حياة كريمة وآمنة في بلدٍ يحترم الأفراد ويحافظ على حقوق الإنسان). كذلك هناك تأثير كبير للتطور المعرفي والعلمي وصلة القرابة (الاقتراب من العائلة أو الأصدقاء) التي تدفع البعض إلى اللحاق بمهاجرين سابقين تجمعهم علاقة اجتماعية سابقة. أضف إلى هذه الأسباب مسألة الزواج، حيث تنتقل الفتاة إلى منطقة أخرى للاستقرار فيها بعد زواجها من شخص يعيش في تلك المنطقة، كذلك عودة النساء إلى منطقة الوالدين للإنجاب، أو بهدف تحقيق زواج مختلط أو مختلف ترفضه بعض الحكومات.

أسباب سياسية

يلجأ بعض السكان للهجرة إلى دول أخرى بحثًا عن حرية التعبير عن الرأي والمعتقد، أو هربًا من الاضطهاد السياسي الممارس تجاههم، والتمييز بين المواطنين، وانعدام الشفافية في التعامل الرسمي. وتنبثق عن الأسباب السياسية، الأسباب الحكومية... تتحكم بعض الحكومات في مكان هجرة السكان عن طريق توجيههم إلى أقاليم معينة وفق خططٍ ودراسات تقوم على وضع برامج اقتصادية تطويرية في هذه الأقاليم. نلفت إلى أنّ البحث عن الأمن والأمان قد يكون أحد أهمّ أسباب الهجرة، إذ يضطرّ الكثير من السكان في مناطق النزاع والحروب إلى الهرب والهجرة إلى الخارج بحثًا عن

حياة أكثر أمنًا، وهي الحال بالنسبة لغالبية المهاجرين اللبنانيين منذ التاريخ القديم وحتى يومنا هذا. والحروب العشوائية المتكررة على أرض هذا الوطن زرعت الشعور بالقلق والخوف والاضطهاد وانعدام الأمن، بالتالي دفعت المواطن اللبناني إلى التخلي عن أرضه بحثًا عن الأمان والاستقرار... والأمثلة عبر التاريخ كثيرة ومعروفة.

أسباب اقتصادية

الأسباب الاقتصادية تعتبر من أهم الدوافع المسببة للهجرتين الداخلية والخارجية، وتتمثل في تدني المستوى الاقتصادي للأفراد (عدم وجود مصدر لإعالة الأسرة، انخفاض القدرة الشرائية للمواطنين، تراجع الحدّ الأدنى للأجور، ازدياد البطالة والبطالة المقنعة، الفقر، نقص فرص التقدُّم، إدخال الآلات الزراعية للعمل بدلاً من العنصر البشري، وعدم توفير مصادر دخل بديلة عن الأنشطة الزراعية، ما يؤدي إلى تقليل العمالة في المناطق الريفية...) هذه الأسباب تؤدي إلى التحرك العمليّ بهدف إيجاد عمل أفضل. تلعب العوامل البيئية والتغيّرات المناخية دورًا هامًّا في الهجرة. تجبر الكوارث الطبيعية المختلفة من زلازل وفيضانات وبراكين بعض السكان على النزوح نحو مناطق أكثر أمانًا.

الاعتبارات الشخصية

يؤمن البعض أن انتمائهم ليس للأرض التي ولدوا فيها. ويسعون إلى هجرة المكان لأسباب مختلفة، أبرزها تحسين المستوى المعيشي والسعي وراء التعليم والاكتساب، بخاصةٍ الشباب الأصغر سنًّا الذين يسعون إلى الالتحاق بالجامعات العالمية أو التخصصات التي لا تتوفّر في بلدانهم، ثمّ يقرّرون بعد ذلك الاستقرار في البلد الجديد بشكل دائم. كذلك مسألة أنظمة التعليم غير المتطورة (التقدم التكنولوجي والتغيّرات الثقافية التي تساهم في تطوير المجتمع، البحث عن أنشطة ثقافية وترفيهية أفضل، هيمنة بعض العادات والموروثات الشعبية...) بالإضافة إلى هذه الأسباب

هناك أسباب دينية تدفع الإنسان إلى الانطلاق إلى بلد آخر. فرض بعض الحكومات القيود والشروط على الممارسات الدينية وحرية المعتقد يدفع المرء أحيانًا نحو أرض اخرى حيث يمارس الشعائر من دون قيدٍ أو شرط. لا يفوتنا ذكر تأثير وسائل الإعلام التي تساهم في تغيير المواقف والقيم للأشخاص، وتعزز لديهم فكرة الهجرة.

ونلفت إلى أمرٍ قد يكون ملتبسًا لدى البعض، وهو الفرق بين الهجرة والاغتراب. فالهجرة هي الانتقال من البلد الأم للاستقرار في بلد آخر مع النيّة بعدم العودة، أمّا الاغتراب فهو العيش في بلد آخر غير البلد الأم مع العزم على العودة إليه. يطلق لفظ المغترب على من سافر للعمل أو للدراسة ولا ينوي الاستقرار، حيث يعود إلى بلده بمجرد انتهاء الهدف من السفر. كلاهما يبحث عن أمل!

آثار الهجرة

تترك الهجرة على اختلاف أنماطها آثارًا كبيرة سواء بالنسبة للدول المستقطبة/ المستقبلة أو للدول "الطاردة" وهذه الآثار أو النتائج تتنوع ما بين جغرافية واقتصادية وسياسية واجتماعية على حد سواء. نتناولها بإيجاز:

تلعب الهجرة دوراً مهماً في تحسين الوضع الاقتصادي للدولة المُضيفة، وتوفّر أسواق عمل مرنة، وعلى الرغم من ذلك يُمكن أن يؤدي ارتفاع أعداد المهاجرين فيها إلى زيادة الضغط على الخدمات العامة كالتعليم والمرافق العامة والتأثير على الناتج المحلي الإجمالي للفرد بشكل سلبي، وانخفاض في الأجور- خاصة أجور عمال البلد الأصليين- ذوي الخبرة المنخفضة. أمّا بالنسبة للبلدان الطاردة أو المرسلة، قد تؤدي الهجرة إلى تقليل تكلفة العمالة في البلد المُرسِل.

وتكمن أهمية تعزيز التواصل بين "لبنان المقيم" و"لبنان المغترب" في الدرجة الأولى، في تأثير هذه العلاقة على الوظيفة الاقتصادية لهذا البلد. وتؤكد بعض الدراسات أنّ المهاجرين اللبنانيين يقومون بتحويل مبالغ

نقدية كبيرة، تساعد في دعم الاقتصاد المنهار، من خلال دعم بعض الأسر المقيمة التي تعاني من أزمة معيشية بسبب ارتفاع سعر الدولار ونقص كبير في المواد الغذائية والأدوية. وعليه تعتبر أموال المغتربين ركيزة أساسية للأمن الاقتصادي. يشير د. بطرس لبكي إلى خطورة التأثير السلبي للهجرة الذي يطاول إنتاجية العمل بشكل عام: "تتسبب الهجرة في ازدياد تمركز الثروات بيد فئة ضيقة وتساهم في ضمور الطبقة الوسطى".

كما قد تؤثر الهجرة على الأمن الصحّي للبلد المستقطب. قد ينقل المهاجرون بعض الأمراض المعدية إلى مواطني البلد المستقبل، أو قد يحتاج هؤلاء المهاجرون إلى رعاية صحيّة معينة تزيد من الضغط على الخدمات الصحية في البلد. أمّا بالنسبة للبلدان الطاردة فهي قد تخسر بالدرجة الأولى نسبة كبيرة من طاقمها الطبي، وبالتالي يتدنى مستوى الرعاية الصحية، كما حصل مؤخرًا في لبنان - بخاصةٍ في ظل تفشي وباء كورونا- حين هاجر عدد كبير من الأطباء والجهاز التمريضيّ إلى الخارج بسبب تدني الأجور والتقديمات الطبية والوظيفية. لا يغيب عنا دور الحوافز الاقتصادية في البلدان المُضيفة والتطورات العلمية المتاحة في مجالات البحث العلميّ التي غالبًا ما تجذب متخصّصي الرعاية الصحيّة.

آثار أخرى قد تنتج عن الهجرة قد تكون اجتماعية، منها على سبيل المثال :

ملء الوظائف الشاغرة وخاصة الوظائف التي لا تحظى بشعبية كبيرة،

توفير العمالة الماهرة، خصوصاً لذوي الخبرات كالممرّضات، والمعلّمين.

الاستفادة من العمال الشباب ممّا يُساهم في تحقيق الأرباح لميزانية الدولة.

حل مشكلة شيخوخة السكان في بعض الدول من خلال هجرة الشباب إليها. جذب رواد الأعمال المحتملين إلى البلد الجديد.

ارتفاع تكاليف السكن والإيجار بسبب زيادة عدد السكان في منطقة ما.

وجود التنافر الاجتماعي الذي قد يحدث بسبب الهجرة السريعة.

تهديد الهوية الوطنية، وتهديد الأمن القومي الناتج عن الهجرة غير الشرعية

أو الإرهاب.
تطرأ غالبًا تغيرات جغرافية للسكان بالنسبة للبلدان المستقبلة من حيث التركيب العمري والنوعي للسكان. غالبية السكان المهاجرين يكونون من فئة الشباب الذكور بالتالي قد ينتج عن ذلك ازدياد الأعداد في الدول المستقطبة وانخفاضها في الدول الطاردة. لا تقف التأثيرات الاجتماعية عند هذا الحد، بل تتخطاه لتساهم في "تأنيث المجتمع". يقول الباحث الدكتور بطرس لبكي: "بما أنّ الذكور يشكّلون النسبة الأكبر من المهاجرين سترتفع حكمًا معدلات العزوبة وتأخّر سنّ الزواج وتراجع الولادات ما ينعكس تراجعًا ديموغرافيًا". كذلك نلاحظ زيادة التنوّع الثقافي وارتفاع نسبة هجرة الأدمغة وذوي المهارات التقنية أو المعرفية. تؤكّد المعلومات الأخيرة التي وصل إليها د. بطرس لبكي إلى أن "نسبة الجامعيين من بين المهاجرين تخطّت الـ ٥٠%".
ملاحظة أخيرة، لقد فشل النظام السياسي في لبنان منذ إعلان دولة لبنان الكبير في العام ١٩٢٠ في تنظيم جغرافية لبنان بحدودها الحالية، بالرغم من صغر مساحة هذا الوطن، الذي يشهد منذ الاستقلال، تدفقات ضخمة من الهجرة "الاحلالية" والتي تضمّ جماعات من العمّال الوافدين من مختلف البلاد العربية أو الأجنبية وأيضًا من النازحين، في مقابل استنزاف الموارد البشرية وهجرة الشباب. ونحن للأسف لا نملك أيّ معطيات رسمية تبين لنا التعداد السكاني الحالي منذ إحصاء ١٩٣٢.

هجرة الأدمغة

تكون الهجرة في أغلب الأحيان ضرورة مفروضة على الفرد ووسيلة لتجاوز مساوئ الوضع الاقتصادي. وقد بدأت ظاهرة هجرة "العقول البشرية" منذ القرن التاسع عشر وازدادت خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية لأسباب سياسية واقتصادية وأمنية. وكانت هذه الهجرة من العوامل المؤثرة في الاقتصاد العربي بشكل عام، والاقتصاد اللبناني بشكل خاص الذي تمّ

تصنيفه مؤخرًا في المرتبة ١١٣ بين ١٤٤ دولة في العالم نسبة إلى ظاهرة هجرة الأدمغة، مع ارتفاع نسبة المهاجرين الجامعيين إلى ٤٤% وذلك بعد أن شهد لبنان في الآونة الأخيرة ارتفاعًا ملحوظًا في معدلات الهجرة والساعين إليها، مما يجعلنا ندخل في بداية موجة هجرة جماعية Exodus.

آثار هجرة الأدمغة على لبنان

في كتاب للدكتور جهاد العقل حول تأريخ ظاهرة الهجرة، حدّد المؤلف أربع مراحل رئيسية لهجرة اللبنانيين هي: المرحلة الأولى (١٨٦١-١٩١٨) وتشمل الهجرة اللبنانية في عهد المتصرّفية، المرحلة الثانية (١٩١٨-١٩٤٣) وتتناول الهجرة اللبنانية في عهد الانتداب الفرنسي. المرحلة الثالثة (١٩٤٣-١٩٩٠) تركز على علاقة المؤسسات الرسمية والخاصة مع الهجرة اللبنانية لا سيما وزارة الخارجية والمغتربين والجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، وتدخل ضمنها المرحلة المتعلقة بالحرب الأهلية (١٩٧٥-١٩٩٠). المرحلة الرابعة (١٩٩٠ حتى مطلع ٢٠٠٠) تعالج دور المغتربين وتعاطيها مع الهجرة اللبنانية. ويشير أستاذ ناصر ياسين إلى تأثرات "الهجرة الثالثة" وعواقبها الوخيمة "عبر خسارةٍ يصعب تعويضها للرأسمال البشري اللبناني وهو المدماك الأساسي في إعادة بناء الدولة والمجتمع والاقتصاد". ويقول خبير علم اجتماع الديموغرافيا نزار حيدر في حديث إلى "سكاي نيوز" إنّ "غالبية اللبنانيين صاروا جاهزين للمغادرة ويحملون جوازات سفر... الكلّ أصيب بالإحباط وحاليًا وصلنا إلى هجرة الأساتذة والمدرسين والطلاب. هذه العوامل أدّت إلى خسارة لبنان للموارد والمهارات البشرية من مهندسين وعاملين في القطاع الصحي وأصحاب مهارات بحثًا عن وطن بديل". ويشير أستاذ السياسات والتخطيط في الجامعة الأميركية ناصر ياسين إلى خطورة هجرة "محركي الاقتصاد" الأمر الذي سينعكس سلبًا على لبنان لأمد طويل: "سيفقده العنصر الإبداعي والمهني القادر على إدارة

القطاعات والنهوض فيها. كذلك بالنسبة الى الخريجين الجدد الذين يرحلون بحثًا عن فرص في الخارج بعد انعدامها في الداخل."
لا يخفى على أحد ما استنزفته هذه المراحل التاريخية بتحركاتها من قوى لبنان المادية والمعنوية والاقتصادية، وخسارة لبنان لثروته البشرية التي تعادل الثروات الطبيعية التي تحيي الاقتصاد. هذه الكفاءات الشابة المنتجة تركت لبنان سعيًا وراء الاستقرار الأمني والمادي، وأحيانًا التطور الفكري في مواقع مؤقتة، ما لبثت أن تحولت إلى مراكز استقرار دائم. هذه المسألة التي تتكرر وللأسف لأسباب لا تغيب عن القاصي والداني، أبرزها وضع الليرة اللبنانية وتدهور النقد الوطني، دفعت بذوي الكفاءات وأصحاب رؤوس الأموال إلى الهرب نحو الأمان بحثًا عن مستقبلٍ مضمون بعيدًا عن لبنان.

النهضة الاغترابية الأولى

قد يضطر المرء إلى ترك أمرٍ ما والتخلّي عنه، بخاصةٍ حين يختار الهجرة أو الانتقال إلى بلدٍ جديد بعض النظر عن الأسباب الموجبة. لكن من الطبيعي أن يحمل معه عادات وتقاليد وموروثات من الصعب تغييرها أو نسيانها. أعني بها لغته الأم وذكريات الأرض والطفولة والنشأة والبيئة التي تربى فيها وانطبعت في تصرفاته وأعماله.

يمرّ المهاجر بمتغيرات جوهريّة تمسّ حياته، قد تكون سلبية فتتسبب بالاكتئاب والعزلة والاحساس بالانسلاخ، فيعجز عن الإنتاج والابتكار والانخراط بكل ما هو غريب عنه، وبالتالي تمنعه من التطور والتقدّم وتحقيق الهدف من هجرته، الذي هو غالبًا البحث عن الاستقرار والأمان النفسي والاجتماعي. هذه المتغيرات يمكن أن تكون إيجابية لدى الكثيرين، فتكون ملهمةً، مفعمة بالأفكار الإيجابية ومملؤة بالتفاؤل، تسمح لحاملها بالتكيّف والتأقلم مع المجتمع الجديد من دون أن يتخلّى عن خلفيته الثقافية وتجاربه السابقة. وخير مثالٍ على ذلك الأدباء المهاجرون.

إذ أنهم انطلقوا من خلفيتهم الثقافية والفكرية والبيئية المنبثقة عن بلدهم الأم وراحوا يفلشونها بشغف وحبّ، بأساليب راقية تجسّد معنى الوطنية والانتماء الصادق والحرّ وتحافظ على توازنهم الداخلي واتزانهم الخارجي وعلاقاتهم بالمحيط الجديد. فراحوا يزرعون بذور وفاءٍ سرت في عروقهم فأثمرت عطاءاتهم نتاجًا ثقافيًا وإرثاً حضاريًا في بلدٍ جديد بات بلدًا محببًا يوازي بمحبته بلد المصدر. فتجانست أفكارهم وتمازجت مع تربة الأرض الجديدة، وكانت انطلاقتهم واستمراريتهم خميرةً لمن لحق بالركب من كلّ الأصقاع، ورسمت في الأفق حيث ما حلّوا خطوطاً عريضة لنهضات إغترابية شعارها التفاؤل وميزتها الثقافة الإنسانية، فكان صداها مثمرًا على مختلف الصعد، بخاصةٍ في ما يتعلّق بموضوع الدمج بين ثقافتين مختلفتين الذي يؤدي إلى إثراء الحياة ويوفر عددًا من الإمكانيات الجديدة.

أدباء وشعراء المهجر

يطلقُ مصطلح "أدباء وشعراء المهجر" على نخبة من أدباء وشعراء من بلاد الشام ولبنان الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية ما بين الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين تقريبًا إلى خارج البلاد العربية. عاشوا هناك طيلةَ حياتهم وقاموا في تلك البلادِ التي استقرُّوا فيها بالتأليف وكتابة الشعر وغيره، وقد قام الكثيرُ منهم بإنشاء العديد من النوادي والروابط الأدبيَّة التي جمعت الكثير منهم في مهجرهم، مع أنَّ بعض الأدباء لم يكُن من أعضاء تلك المجموعات، ومن أشهر الروابط الأدبيَّة لشعراء المهجر هي الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية والنادي الفينيقي.

الرابطة القلمية

بدأت فكرة الرابطة القلمية عام ١٩١٦ إلا أنها تأسست رسميًا عام ١٩٢٠ على يد نخبة من أدباء المهجر الذين هاجروا من أوطانهم لأسباب اقتصادية

واجتماعية وأمنية وسياسية في بلاد الشام، يمكن أن يطلق عليها مدرسة أدبية، وقد كتب جلهم باللغة العربية والإنجليزية.
ألّفت هذه الفئة النهضوية فيما بينها رابطة فكرية قومية تجمعها في كلّ المناسبات الوطنية، تتبادل فيما بينها الأمور المتواترة والأحداث المستجدة في تلك الحقبة على الساحة العربية. دوّن هؤلاء النهضويون وغيرهم بوجدانهم ظاهرة الهجرة اللبنانية أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى نصفه الأول، وحافظوا على نهج عربي صادق لتثبيت التراث في الأرض الجديدة وتمجيد اللغة، مراعين بذلك قدسية الكلمة وسلامة الحرف. "الغيرة على الأدب وما آل إليه من جهود وتقليد هو الدافع لتأسيس الرابطة، كونهم نقلوا الأدب العربي إلى تلك المهاجر. وأنشأ هؤلاء أدبًا عبروا فيه عن مشاعرهم وكتبوا شعرا يصورون فيه عواطفهم ويتحدثون فيه عن الغربة والحنين إلى الوطن".
من أبرز أدباء الرابطة الثقافية جبران خليل جبران، نسيب عريضة، رشيد أيوب، ندرة حداد، ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي...
تبنت الرابطة فكرة تجديد الشعر العربي، وهدفت: " أن يكون لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم في سبيل اللغة العربية."
تفككت الرابطة القلمية بعد فترة وجيزة من موت جبران خليل جبران سنة ١٩٣٢.

العصبة الأندلسية

تأسست عام ١٩٣٣ برئاسة ميشال المعلوف ونخبة من الأدباء أبرزهم داود شكور، نظير زيتون، يوسف البعيني وعقل الجرّ وغيرهم، ثم انضم إليها نخبة من أشهر الأدباء والشعراء في القرن العشرين. الفرق بين الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية أنّ الرابطة القلمية أكثر تجديداً في الأدب العربي شكلًا ومضمونًا، أمّا العصبة الاندلسية فكانت أكثر محافظة على القديم من حيث اللفظ الفصيح والمعاني والوزن والقافية.

النادي الفينيقي

جمعية أدبية أسست في البرازيل من طرف أدباء مُهاجرين لبنانيين وسوريين، بمبادرة من الأديب اللبناني عقل الجرّ بهدف جمع شمل أدباء ومفكري المهجر في الأمريكيتين، ومن أجل تبادل الأفكار والدعم المتبادل.

أبرز السّمات التي اجتمعت في هذه الحركات الثقافية الاغترابية، التعلق بالوطن والشوق إليه والحنين إلى أرضه كما اعتماد كل ألوان الفن الأدبي، من نثرٍ وشعرٍ ومقالات. وقد كان للمرأة اللبنانية حضور قويّ في الأدب المهجري وفي وجدان أدباء وشعراء المهجر. نذكر على سبيل المثال لا الحصر مي زيادة - التي أثّرت بشكل واضح على كتابات جبران خليل جبران، وسلمى بنت جبران الصائغ، من أديبات المهجر في البرازيل وإحدى أبرز نساء العصبة الأندلسية، وأبرز الصحفيات اللبنانيات والشاميات في المهجر.

النهضة الاغترابية الثانية

يسمو الأدب بالإنسان إلى أرقى درجات إنسانيته ويسعى إلى تغيير الواقع عن طريق النقد الإيجابي الفعال، الساعي إلى إذابة المشكلات الإنسانية بأقوالها وتعاليمها. يعود استخدام مصطلح الأدب المهجري كما سبق وأدرجنا إلى المضمون الذي استخدمه الفنانون والشعراء والمتخصصون في عالمنا العربي من أدباء. يقول الأديب ميخائيل نعيمة: "من يسعى إلى الإنسانية عليه بذر بذور الإيمان واقتلاع أشواك الشهوات، وهنا يحصد الكمال الروحيّ، الذي يسعى إليه...".

استطاع الأدب المهجريّ في كافة أوجهه التعبير بصدق عن مختلف المطالب الإنسانية المحقة. وهو بعامة يُعد طلقة مهمة من طلقات تطور الأدب العربي الحديث، وكذلك لبنة أولى استطاع أصحابها المهجريون أن يرسوا دعائم هذه النزعة الإنسانية في أدبنا الحديث، وكان غرضهم الأسمى

التعبير والتطلع إلى المثل الإنسانية العليا... عملوا على خلق مجمع إنساني يسوده العدل و الرحمة و الحب، وبذلوا جهدًا للتخفيف من آلام البشرية وشقائها بتصويرهم للحياة بالصور المحببة للناس جميعًا فناشدوا بذلك الإنسانية وساهموا في العطاء الإنساني.

مشروع د. جميل الدويهي "أفكار اغترابية" للأدب الراقي

نبصر اليوم لفتة جديدة ومميزة. رجالات رأووا في الأدب مسرحًا مميزًا للحفاظ على الحضارة فسخّروه لخدمة الانسان وارتقائه. من هنا كانت الانطلاقة، انطلاقة الأديب د. جميل الدويهي الذي قرر ترك لبنان منذ عام ١٩٨٨ لكنه ما لبث أن عاد إليه تحمله الوطنية ويشغله الحنين... وشاءت الظروف أن يتأرجح بين كرٍ وفر إلى أن استقرّ في أستراليا عام ٢٠١٣. وبدأ مشروعه الأدبي عام ٢٠١٤ إيمانًا منه بدور الأدب في تعزيز الحضارة والفكر ورفع مستوى الثقافة، والتركيز على اللغة الرفيعة التي تبتعد عن السوقية والابتذال. وتعودني قولة الأديب المهجري ميخائيل نعيمة حين صاغ قانون الرابطة القلمية: "هذه الروح الجديدة التي ترى الخروج بأدبنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني، حريةٌ في نظرنا بكلّ تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم، وركن الغد."

أطلق "الدويهيّ الجميل" ثورةً في المفاهيم الأدبية في أستراليا بهدف تغيير الواقع الأدبي الجامد. فأتى مشروعه متعدد الأنماط والأشكال. حاك الشعر بأنواعه الثمانية: العمودي، التفعيلة، المدوّر، الشعر المنثور، الزجل، التفعيلة العامية، المدور العامي، النص العامي الشعري. وغزل الرواية والقصة القصيرة وأدب الأطفال. ولم تغب عن حديقته كتب الفكر وهي سبعة (حتّى تاريخه)، والتأريخ، والدراسة الأكاديمية باللغتين العربية والانكليزية. احتضن المشروع طاقات جديدة وهيأ لها السبل لنشر أعمالها كما نشر من أعماله الخاصة ٤٠ كتابًا (حتى تاريخه). اللافت في نظرته الشمولية للنهضة والأدب تلك السمة الإنسانية التي لا تسعى إلى التفرّد في

الارتقاء، لا بل تترافق مع من توحّدت رؤاهم وتاقت نحو العلى، ويليق به هذا التوصيف: "ما تعنيه الإنسانية بشكل عام هي تلك النظرة الواسعة إلى الإنسان كمجتمع بشري لا تحده الحدود الجغرافية ولا تحول بينه المذاهب الدينية والعقائد الإيديولوجية". لذا بادر إلى نشر الكتب الأدبية لأدباء مقيمين ومهجريين، وفتح الباب لجلسات حوارية ووقائع أمسيات تنوعت محاورها. أطلق العديد من الأساتذة الكبار على مشروع الأديب د. جميل الدويهي " أفكار اغترابيّة" للأدب الراقي، اسم" النهضة الاغترابيّة الثانية" تيمّناً بالنهضة التي أطلقها أدباء الرابطة القلميّة في أميركا، منذ أواسط القرن التاسع عشر. كما أقام جسراً بين القارّات، وانضمّ إلى توأمة مع نادي الشرق لحوار الحضارات. وأقام المشروع مهرجانات أدبيّة في أبعد نواحي الأرض، حضرها الآلاف وحوّل مدينة سيدني إلى عاصمة للثقافة العربيّة.

لا شك أنّ الأدباء المهجريين المعاصرين ومنهم د جميل الدويهي والشاعرة كلود ناصيف حرب، قد أعادوا إلى المدرسة الأدبية المهجرية ألقها.

فالوارثون الجدد خير من يحافظ على الإرث، يعيشون قضايا بلادهم بحبّ ويسعون إلى زرع البذور الطيبة لإرث ضمّوه بين الثنايا واختاروا إعلانه وتوريثه إلى الأجيال من بعدم.

خلاصة

لكلّ قضيةٍ مخاطرها وسلبياتها. قد تضيف معالجة الموضوع، من خلال تسليط الضوء على الأسباب الكامنة خلف ارتفاع معدّل الهجرة، مفاهيم جديدة حول أهمية الأدب المهجري ودور النهضة الإغترابية في المحافظة على هوية لبنان الاجتماعية وترسي ثقافة الإنتماء وتعيد اللحمة بين اللبناني المقيم واللبناني المهاجر.

وقبل الختام من المهم جدًّا أن نعترف بأنّ النهضة الاغترابية لا تكون فقط بالاضاءة على الأدباء والمفكرين، لا بل ينضوي تحت سقفها كلّ لبناني مبدع في كافة المجالات والاختصاصات، إذ لكلّ منهم فرادته، وكلّ حمل

اسم لبنان إلى دنيا الإغتراب على طريقته. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: العالم حسن كامل الصبّاح، الشاعر جودت حيدر، الأديب جورج شحادة، بروفسور مايكل دبغي، الموسيقيّ غبريال يارد، العالم إدغار الشويري، واللائحة تطول...

تكمن أهمية المؤتمر "النهضة الاغترابية الثانية" في سعيه إلى نشر ثقافة الإنسان وتشبيك العلاقات ومدّ جسور التواصل مع القارات والوطن الأم، باتجاه كلّ مؤمن بهوية أرضه وحضارته ووجوده وكيانه وبإرثٍ ثقافيّ يفوق عمره آلاف السنوات.

"الإنسان هو طاقة الحضارة المقبلة". تحية شكر وتقدير لكلّ من ساهم وسعى وجاهد على غرار د. جميل الدويهي، د. عماد يونس فغالي والأديبة كلود ناصيف حرب، إلى الارتقاء بالإنسان وحرص على إرساء مفاهيم الحضارة الإنسانية بمختلف المعايير.

مبارك السعي الدائم إلى وضع مشروعٍ يجعل التراث الثقافي اللبناني معروفًا ومشتركًا للمهاجرين والمقيمين وأحفادهم، ويساهم في الحفاظ على مستقبل العلاقات بين لبنان الأم واللبنانيين المتحدرين في المهجر.

د. سحر نبيه حيدر - باحثة في التاريخ الاجتماعي.

الورقة ١٩ - الأديب سليمان يوسف ابراهيم- لبنان:
عناق الكلمة، عناقُ الرّوح...

بزغت شمس حكايتي مع الدّكتور جميل ميلاد الدويهي، يوم دُعيتُ من قِبل الأستاذ سُهيل مطر لحضور مهرجان مئوية الشّاعر سعيد عقل لثلاثة أيّامٍ متوالية في رحاب جامعة سيّدة اللويزة في ذوق مُصبح. وكانت الجلسة الأولى من المؤتمر حيث أدار النقاش، قدّم وحاور منتدي الجلسة الدّكتور جميل الدويهي. أمضيتُ الوقت، مُنصتًا لهم، ممسوكًا من أدب ولباقة المدير، مشغوفًا بما يقوله على رفعة ورقيّ كلمة.

في استراحة أولى، هبط نحو الحضور ذاك المتألق، اتجه نحوي مخاطبًا قصد تعارفٍ. تعارفنا... فأردف مخاطبني: لقد لفتتني متابعتكم، فبادرته على التّو: وأمسكتني إدارتكم. فكان أن أمسكني من يدي قائلًا: تعال، انتظرني لحظةً لأعود من مكتبي... وما كانت إلّا هنيهاتٍ حتى قدِم متأبطًا كتابًا، وخاطبني: "طائر الهامة" فصتي التي طبعتُ حديثًا، يشرّفني إهداؤكم نُسخةً منها". فأردفتُ: " أتصوّر أن في الحكاية ثأرًا من أو ممًا لا يروقكم"... فقال على التّوّ: "أصبت في ما ذهبت إليه؛ وعلى البداهة!" كلّ ذلك الفرح انتابني في التّاسع والعشرين من شهر الورود، في العام ألفين واثني عشر، وتكلّلت البهجة في اليوم الثّالث من المؤتمر، لحظة تعرّفي بجناح دكتور جميل الدّويهي المُذهّب، زوجه الصّديقة الأديبة مريم رعيدي الدويهي، التي كانت مصطحبته لحفل تنصيب تمثالٍ للشاعر سعيد عقل في باحة الجامعة في اليوم الختامي.

ترافقتُ وصديقي الجديد لثلاثة أيّامٍ متوالية نحو جبيل، حيث كان يسكن،

كانت كفيلةً لشدّ أواصر صداقةٍ تبرعمت. وخلال أحاديثنا على درب رفقةٍ شيّقة، كنت في كلّ مرّةٍ أتمنى أن تطول، تعمّقت معرفتي بهذا المثقّف الغالي كلمةً وخُلقًا ومبادئ تعاطٍ.

صرنا نتهاتف ونتحادث لفترةٍ من شهرٍ ونيّفٍ...

في يومٍ هاتفته به، ليردّ عليّ المُجيب في الطّرف الآخر: "سافر د. جميل إلى أُستراليا، وفي هذه المرّة، سفرته ستطول!"

آهٍ كم حزنتُ أسفًا يومها لافتقادي رفقة رجلٍ من معدنه، لعشق الكلمة وخدمتها قد خُلِق!

في ظهيرة يومٍ من غُرّة آبَ من العام نفسه (٢٠١٢)، أسمع زوجي تناديني: "على الهاتف شخصٌ يقول إنه د. جميل الدّويهي، يريد أن يحدّثكَ!" لم يصدّق ذهني ما سمعته أذني، فطرتُ إلى السّماعة، ليتناهى إلى سمعي صوت ذاك العزيز الكبير، الذي ظننتُ أنّني لن أراه أو أسمعه ثانيةً، لبُعد الاتّصال وتعذر معرفتي بالوسيلة لذلك... غير أنّ إرادة الوصال ــ وصال الفكر والرّوح ــ تسهّل سبلَ القلوب إلى بعضها... وضعني في أسباب مغادرته الملزمة على فجأة، اطمأن وطمأن... أعلمني أنه يشغل منصب مدير تحرير لجريدة "المستقبل" الأستراليّة وطلب إليّ أن أرسل له بمقالاتي، لينشرها على أجنحة الصّفحة الثّقافية فيها. هكذا مرّت السنوات بيننا بين إرسالٍ ونشرٍ ومُهاتفةٍ... إلى ان أعلمني يومًا أنّه أسّس صفحةً أدبيّةً ثقافيّةً، لنشر الأدب المهجري الذي يتناوبه مع الأقلام في مغتربه؛ ويريد لهذا الموقع الإلكتروني الجديد أن ينمو ويضطرد بفضل تعاونه معهم، وأنا من بينهم، بخاصّةٍ في وطنه الأم لبنان الذي حزمه مع أمتعة سفره، وراح يُنشده حنينًا إليه لا ينقطع بشعره ونثره وفيض تذكاراته وأقاصيصه...

جرت بنا الأيّام، ونحن على تواصلٍ دائم؛ يغنيه فكرنا بما يغدق علينا من نتاج القلم... و"أفكار اغترابيّة" ومشروع الدّكتور جميل ميلاد الدّويهي للأدب الرّاقي في دفق نموّ مستمر... حتّى أنّه أعلمني في ذات صبيحةٍ، أنّ

بعض الأصدقاء اقترحوا إنشاء جائزةٍ أدبيّةٍ باسم المؤسّسة واسمه، يقدّمها عربون تقديرٍ للأقلام الأدبيّة المُسهمة في نهضة الفكر العربي من أجل الوطن لبنان وسموّ إنسانه. وأعلمني بأسماء بوتقةٍ من الأقلام التي سيكرّم أصحابها في مهرجانه الأدبي الأول، الذي سيقيمه في سِدني شباط ٢٠١٦، وكانت الصّديقة الأديبة كلود ناصيف حرب أولى المكرّمات من "أفكار اغترابيّة" في الوطن الثّاني أستراليا، إلى جنب قامات أدبيّة مُبدعة من اللبنانيين المقيمين في مهاجرهم ويشاركون في أنشطة موقع "أفكار اغترابيّة" وإغنائه بنصوصهم وقصائدهم. فكانت "سيّدة الحنين" كلود ناصيف حرب، من طليعة المؤسّسين وعميدة المكرّمين من قِبل مشروع د. جميل الدّويهي للأدب الراقي، من أعضاء المؤسّسة.

وفي العام ٢٠١٧، يهاتفني صديقي الدكتور، مستطلعًا رأيي إن كنتُ أقبل ترشيحاً لأن أكون أول قلمٍ عربيٍّ لبنانيّ يُكرّمني من ضمن مكرّمين في مهرجانه الثّاني لمشروعه الرّاقي. بالحقيقة، بدايةً، استغربتُ أن يطرح عليّ هذا السؤال! وكيف لا؟! كيف لي أن أتقاعس عن قبول هذه المكرُمة القيّمة التي يخصّني بها المشروع من بين الأقلام اللبنانيّة ؟

فكان نهايةً أن توافقنا على أن يتسلّم الجائزة عني الصّديق الإعلامي بادرو الحجه، ابن بلدة مشمش المقيم في أستراليا، ومتى قدم لبنان استلمها منه باسم الدّكتور. تم الرّأي على ذلك، وحصل المهرجان الثّاني في موعده المحدّد واستلم الصديق الأمانة من الأديبة كلود ناصيف حرب، وفي ٢٢ حزيران من العام ٢٠١٨، استلمت منه الجائزة وقلّدني ميداليّة "أفكار إغترابيّة ومشروع د. جميل ميلاد الدويهي للأدب الرّاقي" في مهرجان توقيع كتابي السّادس "معاصر الحبر الجزء الثّاني" الذي أقيم على مسرح الأباتي عمانوئيل خوري في أنطش جبيل، بدعوةٍ من "لقاء" و "مجلس الفكر في لبنان"، وكانت للكبير د. جميل ميلاد الدويهي كلمة لي، ببراءة التّكريم الممنوح ومباركة بالإصدار الجديد المحتفى به.

جرت الأيام، وطوينا سنتين من العمر، وكانت الجائحة الكونيّة قد وضعت بأوزارها على صدر كرةٍ أرضيّة بأسرها، مع ما رافق وقوف قلب عالمٍ جراء وباءٍ وجوعٍ وبطالة، أجدني مجدّدًا في مطلع العام ألفين وعشرين، إزاء الصّديق د. جميل الدويهي، مخاطبني على الهاتف من المقلب الآخر من الكرة الأرضيّة يقول : "أستاذ سليمان، وأنا أجمع ما قيل وكُتب في "أفكار إغترابية" ونشاطها الثّقافي، تبيّن لي أن حصادكم الفكري في هذا بات وفيرًا، فقرّرت مع الهيئة الإداريّة أن نطبعها لكَ كتابًا باسمكَ، إن وافقتَ على ذلك!" ولم يكن الجميل بقربي ليشهد كم طار قلبي فرحًا وغبطةً للخبر، قبل أن أجيبه بموافقتي على البداهة وبِلا تردّدٍ بالإيجاب طبعًا! وكان لي أن دخلتُ الأدب العالمي شهرةً__ على ما قاله لي أحد معارفي المتنوّرين__ بفضل إرادته الطيّبة المُحبّة، عن طريق الكتاب "من سليمان يوسف إبراهيم إلى جميل الدّويهي وأفكار إغترابية... وتقصر المسافة" أول كتبي في أُستراليا، الذي قدّم له د. عماد يونس فغالي؛ وقد رأى الكتاب النّور في آذار من العام ألفين وعشرين، وصدف من بعدها، أن وضع د. جميل بتصرّف النّقاد، في نشاطٍ ثقافيّ آخر للمؤسّسة، قراءاتٍ نقديّةٍ لبعض نصوصٍ من نتاجه الثّر. فشرعت بنشر قراءتي، بتعليقاتٍ على النّصوص تباعًا، وما كان من الدّكتور الغالي إلّا أن اتصل بي ثانيةً، مُعلمي أنه بصدد تحضير نصوص مُطالعاتي النّقدية، استعدادًا لإصدارها في كتابٍ ثانٍ، طالبًا مني أن أختار له عنوانًا، فقلت: "سراج العشايا" وكان لي ما قرّرت، واحتفل قلبي من جديدٍ، قبل المنصّات، بصدور كتابي الثّاني في أيلول من العام المذكور، من ضمن منشورات "أفكار إغترابيّة" - سِدني.

فبهمّة وسهر سيّد "أفكار إغترابيّة" وقلبها النّابض جهدًا، سهرًا ومُتابعةً الدكتور جميل ميلاد الدّويهي الذي أطلقت عليه لقب "زعيم النّهضة الإغترابيّة الثّانية" منذ العام ألفين وستة عشر، واليوم أُصرّ مؤكِّدا على ذلك. فهذا العزيز لم ولن يثنيه عن تقدّم مضطردٍ وعطاءٍ دائم في دنيا الأدب

والإبداع، رغم كلّ ما مرّ ولا يزال يمرّ بنا، من مصائبَ مُعيقةٍ كبّلت العالم... وما المؤتمر الذي نحيا فصوله لنهضة أدب مهجريٍّ ثانية اليوم، سوى خير دليل على دينامية هذا الرّجل.

وفي العام ألفين وثمانية عشر، طلب إليّ د. جميل، أن أرشّح لجائزته مبدعين، أراهم مستحقّين التّكريم في وطننا الأم، فكان لي شرف ترشيح الدكتور عماد يونس فغالي، والدكتور فوزي عساكر، والشّاعرة جوليات أنطونيوس؛ كما ولفتتُ لاسم الغالي الأستاذ جورج طرابلسي الذي كان قد أبلغه هو بشأن الترشيح لتكريمه من قبل.

كما وفي العام عشرين بعد الألف، كان لي شرف أن أرشّح إلى الجائزة اسمًا أختاره، فكان أن رشّحت للجائزة الصّديق الغالي الدّكتور جوزاف ياغي الجميّل. وقد صدرت لكلٍّ من الدكتورين فغالي والجميّل كتب إلى جانب كتبي في العام ألفين وواحد وعشرين.

ولأن الدكتور جميل لم ينسَ للحظة أرض الأجداد، وقد تأبّط الوطن ذخيرة قلبٍ توقد في صدره مجامر الحنين بلا هوادةٍ، عاد بزيارةٍ لمدّة شهر على رأس وفد من شعراء وأدباء "أَفكار اغترابية" إلى الوطن الغالي لبنان ما بين ١٨ آب و ٤ أيلول من العام ألفين وتسعة عشر، قام خلالها بأنشطةٍ ولقاءاتٍ ثقافيّة واسعة، كان بكرها، حفلًا استقباليًا للوفد من قبل "لقاء" على مسرح المكتبة الوطنيّة في بيروت العاصمة، بدعوةٍ من رئيسه الدّكتور عماد بونس فغالي والأعضاء، ولَكَم أغبطني أَنه من أجود ثمار الزّيارة وأينعها أن نشأت بين "لقاء" و "أفكار إغترابيّة" توأمةٌ ثقافيّة فكريّة بوحدةٍ عُضويّةٍ بين الرئيسين وأعضاء المؤسّستين.

ولّما أسّست سيدة الحنين، الصّديقة الشّاعرة والإعلاميّة كلود ناصيف حرب، موقعها الخاص "بستان الإبداع" كنتُ من أوائل الّذين ضمتهم إلى ناديه الأدبي مشكورةً على تقديرها وقلبها المُحبّ وحضورها اللافت، الذي يبث الأماكن حيثما حلّت من ضَوع عبيرها فكرًا وخُلُقًا بقشيب كلمةٍ أدبًا،

فكرًا وصلاةً!
حسبي أنّني صديق أهل الكلمة و حبيبكم أيّها السادة الدّاعين إلى هذا المؤتمر النّوعي المُميز؛ وقد ضمّ بحركةٍ كونيّة، إلى قلب الأدب المهجري النّابض، الدكتور جميل ميلاد الدّويهي، كلّ من "لقاء" بشخص رئيسه الدكتور الصّديق عماد يونس فغالي وسيّدة الحنين وردة "بستان الإبداع" ورئيسته الشّاعرة كلود ناصيف حرب؛ متمنّيًا دوام التّوفيق والألق لكم، أنتم السّاعين إلى نُضرة العربيّة وسموّ آدابها مهجريًّا ووطنيًّا، وما شاءت لها المفاوز على أيديكم وبكدّكم ودوام السّهر، أن تكون بين اللّغات الحيّة.
لأن الدكتور جميل ميلاد الدّويهي، شغوفٌ بالرّمز يمتطيه صهوةً لإيصال فكره ولواعج قلبه أدبًا صافيًا مشعًّا إلى قرائه في معظم ما كتب، أجدني أسمعه مردّدًا وقد تقمّص حضوره الأدبيّ جسرًا وهو يقول لمدعويه وسامعيه وقارئيه:
"كفاني ان لي أطفالَ أترابي
ولي في حبِّهم خمرٌ وزادْ
من حصادِ الحقلِ عندي
وكفاني أن لي عيدَ الحصادْ
أن لي عيدًا وعيدْ
كلّما ضوأَ في القريةِ مِصباحٌ جديدْ.

يعبرون الجسرَ في الصُّبح خفافًا
أضلُعي امتدت لهم جسرا وطيدْ
من كُهوف الشّرق، من مُستنقعِ الشّرق
إلى الشّرق الجديدْ
أضلُعي امتدَّتْ لهم جسرًا وطيدْ "...
معكم، يا ثالوث المؤتمر بات ما بين شرقٍ وغرب، أضلعًا تمتدّ جسورًا إلى

أقاصٍ بعيدةٍ، لتجمع قلوب وعقول مفكّرين وساسة حقٍّ وخيرٍ وجمالٍ إلى مأدبةٍ ابداعٍ من غير انقضاء مواعيد...
دمتم بعزّ نشاطٍ وحضور، إلى اللّقاء في ميادين أدبيّة وفكريّة جديدة، نرودها معًا من شعاب الإبداع.

سليمان يوسف إبراهيم
عنّايا؛ في ١٩ــ ١ــ ٢٠٢١

الورقة ٢٠ - أ. د. سمر جورج الديوب- سوريا
مرداد (١) لميخائيل نعيمة

(ملاحظة: تقدّم هذه الورقة انسجاماً مع فكرة تأسيس نهضة اغترابيّة ثانية، تقوم على الفكر، كرافد مهمّ من روافد الأدب الإنسانيّ، وكنموذج لأدب اغترابيّ متعدد الروافد والمواضيع)...

وقع الاختيار على كتاب "مرداد" لنعيمة -تحديداً- لاشتماله على بعد صوفيّ عالٍ، وعدم نيله الحظ الوافي من الدراسة النقديّة، وتأتي هذه الورقة دعوةً إلى الرجوع إلى أدبه رجوعاً يناسب فكره الصوفيّ الشرقيّ الذي وجدنا فيه تقاطعات مع معطيات الفيزياء الحديثة.

١- الفيزياء الحديثة والأدب الصّوفيّ

يجمع الفيزياء والتصوّف أنّ كلاً منهما شكل من أشكال المعرفة، ويلتقيان الأدبَ الذي يصبُّ في المسار ذاته، وتُشتقّ الفيزياء من الكلمة اليونانيّة "فيزيق" φυσική، وتعني محاولة رؤية الطبيعة الجوهرية للأشياء كلّها، وهذا هو هدف الصوفيّ، والفيزيائيّ، والأديب(٢).

إن المعرفة المطلقة التي يسعى إليها الفيزيائي الكموميّ (٣) ، والأديب، والصوفيّ خبرة غير عقليّة، تنشأ عن حال تأمليّة، والكموميّة والأدب عالم من الغرابة، لا يمكن فهمهما بالمعرفة العقليّة وحدها، فهنالك عنصر حدسيّ في العلم، وعنصر عقليّ في الأدب الذي يشتمل على أبعاد روحانية، وصوفية بدرجات مختلفة. وتتجه النظرة العالمية الجديدة إلى وحدة العلوم كلّها: الإنسانية وغير الإنسانية، وتغدو الفيزياء الحديثة جزءاً من نظرة عالمية جديدة، وكذلك الأدب، وقد تأسست هذه النظرة على الوعي

الروحي، فيمكن أن يظهر الأدب في الفيزياء، والفيزياء في الأدب، ويمكن أن تنسجم أفكارهما مع كثير من الأفكار الروحانية. وثمّة علاقة بين الروح والمادّة فيزيائياً، وقد رأت الفيزياء الكموميّة أنّ الوعي والروح موجودان في كلّ مكان يعدّ فراغاً في الكون، فكلّ شيء مكوّن من ذرّات، وتتكوّن الذرّات من جزيئات ذريّة فرعية، هي الطاقة، وأجسادنا -تبعاً لذلك- شكل مكثّفٌ للطاقة، وما الجانب الماديّ الذي نراه ونستشعره إلا جزء من الكون يتمّمه الجانب الروحيّ.

إن للروح فيزياء خاصة بها تماثل فيزياء المادة (٤) وقد توغل الإنسان إلى بنية الذرّة، ووجد فيها حركات اهتزازية تبعث طاقاتها إلى المحيط الكوني، وتتبادل الطاقة مع كلّ ما يحيط بها، ترسل وتستقبل، وهذه الاهتزازات هي الطاقة الكونية، تمدّ المخلوقات بالطاقة، وعالم الروح عالم غير منظور بحواسنا، ويمكن أن ندرك شيئاً من هذا العالم بمعطيات الفيزياء الحديثة، فالإنسان مادة، وروح، وبينهما علاقة وثيقة، وقد أثبتت فيزياء الكمّ أن الروح تبقى بعد الجسد، وأن الوعي البشريّ الذي تمثّله الروح يعدّ نوعاً من الكيان المعلوماتيّ على مستوى الكمّ (٥)

وتنضح مفاهيم الفيزياء الحديثة بتماثلات مدهشة مع الأدب بعامّة، والأدب الصوفيّ بخاصة، فقد سعت الفيزياء والتصوف إلى خلق انسجام في مكونات الوجود، ورأت الفيزياء الحديثة العالم رؤية قريبة جداً من الهندوسية، أو البوذية، أو الطاوية (٦)، وتقول فيزياء الروح إننا نتعرّف إلى الله الكامن فينا عبر التعريف الكونيّ: التعريف الكمّي للذات فكيف تجلّى البعد الروحاني في شخصية مرداد: معلّم الحكمة في الرواية؟

٢- كتاب مرداد والبعد الروحاني

تمثّل شخصية مرداد انتصاراً للجانب الروحاني على الجانب المادي، فقد قدّم مفهوماً للمحبة، وتحدّث عن ثنائيات الخير والشرّ، والروح والجسد، فهدف إلى التجديد المعرفيّ للإنسان، فروايته رواية وعي، يختلط فيها

الوعظ بالمحاورة والتأمل والحكمة، ويظهر مرداد شخصية لا تخضع لقانون الزمان والمكان، إنّه من بُعد أعلى؛ لأنه فكرة، إنه آتٍ في مهمة دقيقة، حين ينجزها يغادر إلى حيث لا يعلم الآخرون، فيقدّم نعيمة صورة مأمولة لإنسان جديد، وعالم جديد

يتجاوز مفهوم الزمان والمكان الفيزيائيَّين، والأنا والنرجسية، ويعدّ كتاب مرداد القمة في تفكير نعيمة الفلسفيّ، بسط فيه أفكاره عن وحدة الوجود، ومفهوم الزمان، والأبعاد، والارتقاء فوق البُعد الفيزيائي الذي نعيش فيه، وقد كتبه بالإنكليزية، ثمّ تولّى ترجمته إلى العربية بنفسه، وصوّر غير الواقعيّ كأنه واقعيّ. وقد اتخذ من شخصيّة نوح عليه السلام ترجمان أفكاره، وجعل من أفراد أسرة نوح نماذج تمثّل مختلف النزعات البشرية بما تشتمل عليه من ثنائيات الشهوة والطهارة، والكفر والإيمان، أما اسم مرداد في الرواية فهو اسم ملك من الملائكة يمثّل صفاء الروح، ونفاذ البصيرة، وتحرّر الجسد من عقال المادة، فقد غدت ذاته قادرة على تجاوز قيود الواقع.

وتتمثل فكرته الأساسية في أن طريق الحقيقة حافل بالصعاب، والعوائق الجمّة، ولا يستطيع أن يتغلّب عليها إلا من تحرّر من أهوائه ورغباته الأرضية؛ لكي تتحرّر ذاته، وتتّحد بالذات الأزلية الأبديّة الكاملة.

ويمكن أن نعدّ شخصية مرداد ترجمة ذاتية لكفاح نعيمة المضني، وطريقه الشاقّ بحثاً عن المعرفة التي أوصلته إلى نظرته الكونيّة القائمة على وحدة الوجود، والوحدة مع الذات الأزلية. وكان مرداد التاسع الذي دخل إلى الفلك مع نوح وعائلته، وقاده في الطوفان، ولم يره أحد سوى نوح، ويعود ليدخل الفلك بعد آلاف السنين متحدياً سلطة رئيسه شمادم، فيكون معلم الحكمة لرفاقه السبعة الآخرين، ويَظهر علناً، وفي الوقت نفسه يعمل في العالم خفية كما أخبر شمادم بعد أن صعد إلى الجبل متجرداً من كل شيء بمشقة كبيرة.

لقد حصل مرداد على معرفته بالحدس، لا بالتفكير، نظر إلى داخله، وراقب ذاته، فأبصر ما هو فوق واقعه، ومن أراد أن يسلك سبيله فعليه أن يخضع للتدريب مدة طويلة، لأنّ المعرفة عنده تقوم على التجربة، وقد أراد إيصال تجربته، لا وصفها، فلماذا وسم الرواية بـ"كتاب مرداد"؟

٣- مصطلح الكتاب والبعد الصّوفي

الكتابة عند الصوفية ضرب من ضروب العلم بالمعنى، وقد ورد "كتاب" في مؤلفاتهم بوفرة، ككتاب المواقف والمخاطبات للنفّري، وكتاب الفتوحات المكية لابن عربي، ويأتي الكتاب عند ابن عربي في المعنى الموجود في الأصل "كتب" بمعنى أوجب (٧)، وتأكيده مصطلح "كتاب" في العنوان يحيل إلى أثر صوفيّ واضح، وإلى انتساب هذه الرواية إلى إرث ثقافيّ، ويعني ذلك أنه أرسى نوعاً كتابياً خارجاً عن التصنيف، ويمكن أن نعيد فكره إلى ما يُعرَف بالفكر الثيوصوفي، ويعني الحكمة الإلهية، أو المعرفة الإلهية، أو العلم الإلهي، ويرى أصحاب هذا الفكر أن أصدق المعارف لا تأتي من العقل والحواس، بل من قوة الإنسان الروحية التي تصفو بتناسخ الأرواح، والمعرفة.

وتعدّ وحدة الأشياء كلّها أولى التماثلات بين الكموميّة وكتاب مرداد.

٤- فيزياء الروح ووحدة الأشياء كلّها

مرداد -لغة- هو العائد إلى الشيء (٨)، وفي الرواية هو صوت الإنسانية والإيمان الصاخب والهامس، والذي أتى من بُعد أعلى، وحين أنجز مهمته عاد وارتقى إلى ذلك البُعد، إنّه شخصيّة خيالية في واقع افتراضي مع ثمانية رهبان في معبد على سفح جبل الفلك الذي بناه سام بن نوح؛ ليكون أنموذجاً ثابتاً لسفينة خلاص البشر من الطوفان، وقد انحرف شمادم الراهب إلى الماديات، فأضحى مرداد معلّمهم، ونجا من محاولات شمادم للتخلص منه.

يوضّح نعيمة في نهاية الرواية أنَّ الفلك هو أجسادُنا، والربّان إيماننا،

والطوفان نفوسنا المضطربة بأمواج النزوات، وانطلق من أنّ الكون عالم موحّد متجانس إلى أقصى حدود الألفة، فالإنسان ابن العالم الأوسع، لا ابن الأرض، ذلك الجُرم الصغير، والإنسانية نقطة في بحر الكون:

"مرداد: فالكون إذ يعمل عمله إنما يتمّم عملك أيضاً، وأنت إذ تعمل عملك إنما تتمّم عمل الكون كذلك... اذكروا أن الكلمة واحدة، وأنكم كمقاطع في الكلمة، لستم في الواقع غير واحد إذ ليس من مقطع أنبل من مقطع، أو أكثر أهمية منه... وأنتم لا بد لكم من أن تصبحوا كلمات من مقطع واحد إذا ما شئتم أن تتذوّقوا النشوة التي تفوق كلّ نشوة، نشوة محبة الذات التي هي محبة لكل الناس ولكل شيء"(٩)

لا تُنال هذه النظرة الكليّة لدى مرداد إلا بالتأمّل العميق، فحين يعرف أناه يعرف الكون؛ لأنّه جزء من الكون يحمل ترنيمة الحياة كلّها، ويكون التحرر من الأنا الفردية بالتخلي عن الإرادة الجزئية إلى الإرادة الكليّة، والذات الصغرى عنده معبر إلى الذات الكبرى، ويكون ذلك بنكران الذات، وتحمّل المشاق والآلام، ولكي يصل الإنسان إلى الاتحاد بالذات الكبرى لن يسلك طريق العقل، بل المحبة، والرؤيا.

وقد أثبتت الفيزياء الحديثة أن لا شيء يتمتّع باستقلال، وأنّ هنالك كونيّة من العلاقات التي تقوم على الاعتماد المتبادل:"كلّ ما في الكون متداخل بعضه في بعض، فالكون كلّه في الإنسان". وهي نظرة ناجمة من طبيعة الأشياء الكونيّة، وليست منزلقة عليها، أو قادمة إليها من عالم مستقلّ عن العالم الفيزيائيّ (١٠)

يرى مرداد -كالفيزيائيّ الكمّي (١١)- الأشياء متواشجة، وتمثّل مظاهر، أو تجليات للواقع المطلق ذاته، فالانفصال وهم، ولكلّ شيء سمة التغيير الدائم، ويُظهِر الكون واقعاً واحداً روحياً ومادياً معاً، فالعالم نظام من العناصر غير المنفصلة، والمتداخلة، والمتحركة، والإنسان نفسه جزء مكمّل لهذا النظام. ويدعم العلم بشكل مقنع نظرية العالم الأحاديّ

Monistic فيشتمل الجزء على خصاص الكلّ، وكلّ شيء في أيّ شيء، الكثرة في الوحدة، والوحدة في الكثرة. والفكرة القائلة إنّ كلّ جُسيم يتضمّن الجُسيمات الأخرى فكرة صوفية، فيرى الصوفيّ العالم في حبّة رمل، ويرى الفيزيائي العالم في هاردون، ويرى مرداد العالم في ورقة شجرة.

٥- كتاب مرداد والأبعاد الفيزيائية

يرى الفيزيائيون الكموميّون أنّ الكون متعدّد الأبعاد، وأننا نعيش -فيزيائياً- في البُعد الثالث، بُعد الزمان والمكان، الطول والعرض والارتفاع، أما البُعد الرابع فهو بُعد الزمن، ولا يمكن رؤيته، بل يمكن الشعور به، وهو نسبيّ بخلاف الأبعاد الأخرى، ويتكوّن البُعد الخامس من الأبعاد السابقة مجتمعة بشكل غير مقيّد، يمكن الانتقال بينها في الاحتمالات والاتجاهات كلها (١٢)، وفي البُعد الخامس يُرفع الحجاب، ويعدّ البُعد الثالث بُعد الثنائيات الضدّية، فلا يمكن أن ندرك شيئاً إلا مقترناً بضدّه، ويجمع المتضادّين علاقة توازٍ، ويوصل المتوازيان إلى التكامل في بعد أعلى (١٣).

١- ٥- البُعد الثالث وعالم الثنائيات

تحدّث مرداد عن الثنائيات في البُعد الذي نعيش -نحن البشر- فيه، ودعا إلى العبور وراء عالم المتضادات، فالمتضادّان جانبان للواقع نفسه، وجزءان للكلّ المفرد: "مرداد: إنّ عيونكم لمحجّبةٌ بحُجب كثيرة، فأنتم ما نظرتم إلى شيء إلا كان ذلك الشيء حجاباً لكم.. فما الأشياء بأشكالها وأنواعها سوى حجب وقُمط تحجّبت الحياة، وتقمّطت بها، فكيف للعين التي ليست في ذاتها غير حجاب من حُجب الحياة، وقماط من قمطها أن تدلّكم على أكثر من الحجب والقُمط ؟... إنّما تستطيع العين أن تحجب الأشياء، ولكنها لا تستطيع أن تميط عنها الحجب.. أما إذا شئتم هتك الحجب فعليكم بعين غير العين المسلّحة بالأهداب والجفون والمظلّلة بالحواجب.. لذلك لا تنظروا بالعين، بل من خلالها كيما تبصروا كلّ ما وراءها" (١٤).

إنّ العلاقة بين الطرفين المتضادّين علاقة توازٍ، لا تناقض في بُعدنا الثالث، فالطرفان لا يلتقيان، ويحمل كلّ منهما شيئاً من خصائص الآخر (١٥). والإنسان الكامل -على وفق كلام مرداد- هو الذي يجري توازناً بين الضدّين، ونجد هذه الثنائية في عالم ما دون الذرّة، فالجُسيمات قابلة للتحطيم، وغير قابلة للتحطيم في الوقت نفسه، ولها طبيعتان: موجية وجُسيمية، وإحدى الطبيعتين تتمّم الأخرى ١٦ ويستطيع مرداد اختبار البُعد الأعلى بالتأمّل العميق، فيختبر عالماً كليّاً تتوحّد فيه المتضادّات في كلٍّ عضويّ.

والثنائية عند مرداد فرع من الأحاديّة، والكون أحاديّ روحانيّ، وحين يعي الإنسان نفسه يتجاوز الوعي الحقيقيّ للثنائيّة، فالحدس والإيمان والخيال سلّم نعيميّ للوصول إلى المعرفة متجاوزاً وهم الثنائية (١٧)، ومع أنّ الإنسان سجين البُعد الثالث يجد مرداد أنّ سجنه محدود؛ لأنه من جوهر الله، "ألا افركوا أعينكم، واستيقظوا، فأنتم أكثر من تراب، وقسمتكم من الوجود أكثر من أن تحيوا وتموتوا وتنسلوا طعاماً وافراً لأشداق الموت الذي لا يشبع، إنّ قسمتكم هي التحرر من الحياة والموت، ومن الجنة والجحيم، ومن كلّ أصناف المتناقضات التي تولّدها الثنائية، والتي لا تزال في نضال لا رحمة فيه ولا هوادة"؛ وهو تجلّي الله في عالم المادّة؛ لذا أكثر من الحديث عن المحبة الخلاصية، فيحيا الإنسان ليعرف المحبة، وهي مصدر الوصول إلى الأحاديّة، والمحبة شموليّة تعني الانعتاق من أي رباط، في حين أن الحب يرتبط بالألم، فلا تقاس المحبة الحقيقية بالمحبّة البشرية؛ لأنّها غير مقيّدة بزمان ومكان.

٢- ٥- الارتقاء في البعد

يتحقّق الخلاص عند مرداد/ نعيمة بالارتفاع فوق عالم الثنائيات، العالم المادي الحسيّ المتمثّل في ثنائية الأنا والآخر، فيغدو جزءاً من جوهر واحد؛ ذلك أنّ الإنسان قد تجمعت فيه العوالم كلّها: "مرداد: آه يا

ميكايّون! إنه لأيسر لك أن تزجّ نسراً في قشرة البيضة التي نقف منها من أن تكبّل مرداد بسلاسل الناس، وتحجبه بحجبهم، فأيّ اسم عساه يستطيع أن يدلّ على إنسان لم يبقَ بعدُ "في القشرة"؟ وأيّ بلد عساه أن يسع الإنسان الذي يسع مسكونة؟ (١٨)

وجب إزالة الحجب لتحقيق الخلاص، والارتقاء فوق عالم الثنائيات الذي يحكمنا، وإدراك أنّهما أمر واحد في النهاية "الظلمة والنور، والخير والشرّ"، ويكون الخلاص من ثنائية الظلام والنور مثلاً بقبول الطرفين، وتفريغهما من التضاد، حينئذ ينمو الوعي المتسامي عنهما، وحين أنجز مرداد مهمته ارتقى في البُعد، وغاب؛ لأنه من بُعد أعلى.

وتلتقي أفكارُ مرداد أفكارَ فيزياء الكمّ، فثمة أبعاد متعددة في الكون، وفي البُعد الخامس يمكن للشيء أن يكون في مكانين مختلفين في الوقت نفسه: "إنه لأيسر لك أن تزجّ نسراً في قشرة البيضة التي نقف منها من أن تكبّل مرداد بسلاسل الناس، وتحجبه بحجبهم"، وقد أثبتت ميكانيكا الكمّ أنّ الالكترون يظهر في أكثر من مكان في وقت واحد (١٩) وأنّ الجُسيمات دون الذرّية قادرة على ذلك، فلها طبيعتان: موجيّة وجُسيمية، ومنها يتكوّن جسد الإنسان، وإذا كان لهذه الجسيمات طبيعتان تغيّرت الحالة بحسب تغيّر من يقوم برصدها (٢٠). ونعرف طبيعة المادة المرصودة بعد الرصد أكثر مما نعرفه قبل الرصد؛ لأنّ الجُسيم يتخذ إحدى طبيعتين حين يشعر برصده، فالرصد تشويش؛ لذا يبدو عالمنا مؤلفاً من الوقائع وأضدادها معاً، فحين نرصد الخير نرى الخير، أو ضدّه، ولا نرى الاثنين معاً؛ لأن ضدّه يخفى علينا، وحين نرتقي في البُعد يبدو لنا ما كان خفيّاً، فالبعد الأعلى -كما يؤكد مرداد- توسيع للرؤية بالحدس، فهو نافذة تسمح للإنسان برؤية جزء صغير من الكون، والعقل سيد الماديات، وبالارتقاء ندرك ما لا يدركه العقل.

٣-٥- الزمان المردادي والزمان الفيزيائي

قدّم مرداد فهماً خاصاً للزمان يعلو على مفهومه في بُعدنا الثالث، يتخذ شكلاً منحنياً في دوائر، وهو ما يلتقي بشدة معطيات فيزياء الكمّ: "مرداد: إنّ كلّ الزمان لعمر واحد -يا رفاقي- ما من وقفات في الزمان، ولا ثبات، ولا فيه فنادق تستريح فيها القوافل من عناء السفر وتناول المرطبات والمنعشات. إنما الزمان دوام يلتوي على ذاته، مقدّمته مقطورة أبداً بمؤخّرته، فليس فيه ما ينتهي ويندثر، ولا فيه ما يبتدئ وينتهي. به - الخيال- وحده تعرفون أنّ كلّ ما تبصرونه من تقلّب الأشياء وتغيّرها ليس سوى خفّة يد وخديعة.. تلكم الحواس لا تتناول من الأشياء إلا ما كان ضمن زمان ومكان.. واحد هو سبيل الموت والحياة على دولاب الزمان أيّها الرهبان، لأنّ الحركة في دائرة لن تبلغ يوماً منتهاها، أو تصرف قواها، وكلّ ما في العالم من حركات ليس سوى حركات في دوائر. (٢١)

ليس الزمان الذي يقدّمه مرداد/ نعيمة زماناً فيزيائياً، بل هو ميتافيزيقيّ، فلا تعرف الحياة الانتهاء؛ لأنّها استمرار، ولم تبدأ حياتنا ساعة وُلدنا، ولن تنتهي ساعة وفاتنا، فزمانها سابق لوجودنا الأرضي لكنّ الإنسان يجهل غاية الحياة، ويتوهّم أنّ الموت نهاية، في حين أنّ الحياة والموت متكاملان. وفي الزمن عنده يتداخل الماضي بالحاضر في الآن، فتتحرك ذواتنا بما عشناه سابقاً، وفي كلّ تقدّم نحرز إكمالاً جديداً للطريق التي سلكناها من قبل، وسيظل الإنسان مخفقاً في وصل ماضيه بحاضره، والإفادة من تجاربه السابقة حتى ينعتق كلياً من أدران المادة، ويرقى إلى الروح النقيّة. ويؤكد أنّ الحياة وإن تراءت لنا في خطوط مستقيمة، أو ملتوية لا تسير في الواقع إلا في دوائر، فتتفرّع الحياة حول الإنسان حاملة مظهر الله في كلّ منها، وتعدّ الدائرة أكمل الأشكال الهندسية، لا يوجد فيها بداية، أو نهاية. إنّ الزمن -فيزيائياً- زمن ملتوٍ؛ لأنّه لا نهائي، يسير في كلا الاتجاهين خارج إطار البداية والنهاية، وسيستمر إلى الأبد من ماضٍ لا نهائي إلى مستقبل لا نهائي (٢٢)، ويعني ذلك تشابهاً بين الرؤيتين: النعيمية المرداديّة

والفيزيائية، فلم يأت الكون من العدم المحض، وهو في حال خلق مستمرّ، ففي كلّ آت موت وولادة؛ لذا ينظر مرداد إلى الزمان على أنّه زمان سائل غير مسطّح، فقد وُجد، وسيظلّ موجوداً، ويرى العلماء الفيزيائيون أن كلّ ما نراه في عالمنا محدّد بغشاء Membrane ثلاثيّ الأبعاد، موجود في كون أكثر أبعاداً، وتفترض بعض النظريات الفيزيائية الحديثة وجود أبعاد إضافية حقيقية ملتفّة على هيئة دوائر صغيرة للغاية، لم يتم اكتشافها.

٦- الإيقاع الكونيّ بين مرداد والكموميّة

في نظرة صوفيّة يرى مرداد أنّ الكون ذو إيقاع راقص يهتزّ، وقد سبقه ابن عربي فقال: السماع منشأ الوجود، فإنّ كلّ موجود يهتزّ: "مرداد: إنّ دولاب الزمان ليدور، أما محوره فهادئ أبداً، الله هو المحور في دولاب الزمان، الذي تدور عليه سائر الأشياء في الزمان والمكان، أما هو فلا يدور، ولا يعرف زماناً أو مكاناً، من كلمته تنبثق الأشياء كلّها... في المحور سكينة أبدية، وعلى الإطار حركة صاخبة... ارحلوا من إطار الزمن إلى محوره، وأريحوا أنفسكم من غثيان الحركة. (٢٣)

وفي الفكر الصوفي ظواهر العالم تجليات للمطلق، وهو تجلّ ديناميّ، فثمّة حركة، وتدفّق طاقيّ، وتغيّر فالله هو المطلق، الساكن، الوحيد، وما عداه كلّ شيء يتحرّك، وتُفهم خصائص عالم ما دون الذرّة في السياق الديناميّ الذي يعني الحركة والتداخل والتحول.

إنّ المادة المكوّنة من عالم متناهٍ في الصّغر لا تعرف البنية الأساسية، وهي في حركة دؤوبة، فالطبيعة ليست جامدة، والسكون موجود في الحركة، وهي نظرة صوفية، فالأشياء -كما يؤكد مرداد- دائمة التغيير، ولا مكان للأشكال الساكنة، أو لأي جوهر ماديّ (٢٤) وترى نظرية الأوتار الفائقة في الفيزياء أن لا شيء في الكون سوى الموسيقى، فليست العناصر الأولية للكون جُسيمات نقطيّة، بل هي فتائل أحاديّة البعد، تشبه الحلقة

المطاطية متناهية الصغر، تهتزّ جيئة وذهاباً، ولكلّ وتر عدد من الأنساق الاهتزازية، وكلما كان النّسق الاهتزازيّ أكثر هيجاناً زادت الطاقة (٢٥)

٧- المحبّة والقوّة النّوويّة

أكّد مرداد المحبّة سبيلاً للخلاص، وهي ناموس الله، وصانعة العجائب، ويحيا الإنسان ليعرف المحبة، فهي المصدر والطريق للوصول إلى الأحاديّة، فيندمج المحبّ في محبوبه: "مرداد: المحبّة تجمع، والبغض يفرّق، إنّ هذه الكميّة الهائلة من الصّخر والتراب المعروفة بقمّة المذبح لو لم تكن ممسوكة معاً بيد المحبّة لتطايرت شظايا في الفضاء، حتى أجسادكم -على وهنها- ما كانت لتتفكّك لو لكان لكم أن تحبّوا كلّ خليّة من خلاياها محبّة متوازية قويّة خالصة (٢٦).

إنّ المحبّة التي يدعو مرداد إليها لا تتجزّأ، ترتقي بالإنسان، فيصل إلى قدسيّة السعادة، وفي المحبّة تنزيه للإنسان عن الشهوات، حين يتغذّى الحبّ بالطهر الجسديّ، والفناء الروحيّ، فينعتق من كلّ رباط، المحبة اتحاد، وكأن الإنسان والكون وحدة لا تنفصم؛ لأنّ المحبة وعي.

إنّها قوّة الجذب الالكتروني بين النّواة الذريّة ذات الشحنة الإيجابيّة، والالكترونات ذات الشحنة السلبية، إنّها طاقة المحبّة الخلّاقة، فيبدو كلّ شيء في الكون شبكة ديناميّة من النماذج الطاقيّة غير القابلة للفصل. والتراب -مثل عالم ما دون الذرّة- لا معنى له بوصفه وحدات منفصلة، يتحقّق معناه بالاتحاد بقوّة المحبّة، فالكون كلّه مبنيّ على نظام المحبّة، القوّة النوويّة القويّة التي يقع في قبضتها كلّ شيء بدءاً بالعالم المتناهي في الصغر، إنها بلغة الفيزياء تبادل طاقيّ إيجابيّ، وبلغة الصّوفيّة: "إن أردت أن تبدأ بشيء فعليك بضدّه، ومن أراد أن يأخذ فعليه أن يعطي أولاً "، وهي المحبّة في الخلاص النّعيميّ.

أخيراً: قدّم ميخائيل نعيمة في كتاب مرداد رؤيته حول الخلاص، ولا يتحقّق إلا بالحدس والمحبّة؛ للاتحاد بالمطلق، وذلك كلّه بتأثير ثقافته، ومؤثرات

أدبه المختلفة، وتنقلاته، وقد تبين أنّ ثمة تشابهاً بين الخلاص النّعيمي القائم على الفكر الصوفيّ وأفكار الفيزياء الحديثة.

---

١ ميخائيل نعيمة: ١٩٥٢، كتاب مرداد: منارة وميناء، وضعه بالإنكليزية، ونقله إلى العربية: ميخائيل نعيمة، مكتبة المناهل، دار صادر، بيروت.
٢ المعرفة نوعان: عقليّة، وحدسيّة، والطرفان متضادّان، والعلاقة بينهما علاقة توازٍ تُوصل إلى التكامل، فثمّة طبيعة تكامليّة للعقليّ، والحدسيّ، كما نجد في فلسفة الين واليانغ الصينية القديمة. سمر الديوب، الثنائيات الضدية: دراسة في المصطلح ودلالاته، ص١٦
٣ تبحث فيزياء الكم في العالم المتناهي في الصغر، والذي لا يدرك بالحواس، ويحتاج إلى الخيال لإدراكه.
٤ ينظر: أميت غوسوامي: ٢٠١٦، فيزياء الروح، ط١، ترجمة: د. رمزي صالحة، دار الروافد، بيروت.
٥ فريتجوف كابرا، الطاوية والفيزياء الحديثة، ص٢٣ وما بعدها.
٦ المرجع السابق، ص٢٣
٧... "فالفقر إلى الله تعالى الذي بيده ملكوت كلّ شيء ثابت وموجود، ولذلك الإشارة بقوله تعالى: سنكتب ما قالوا؛ أي سنوجبه.." سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص٩٤٩، نقلاً عن الفتوحات المكية، ٢/٢٦٤.
٨ مرداد مبالغة اسم فاعل من الفعل "ردد"، بمعنى الرجوع إلى الشيء، ابن منظور، لسان العرب، مادّة ردد
٩ الرواية، ص ٧٠
١٠ فريتجوف كابرا، الطاوية والفيزياء الحديثة، ص٩.
١١ الطاوية والفيزياء الحديثة، ص٢٩
١٢ برايان غرين، الكون الأنيق، ص ٢١٠
١٣ الثنائيات الضدّية: دراسة في المصطلح ودلالاته، ص٥٥

١٤ الرواية، ص ٥٠-٥١
١٥ الثنائيات الضدية: دراسة في المصطلح ودلالاته، ص١٦ وما بعدها
١٦ الطاوية والفيزياء الحديثة، ص ١٤٠
١٧ يرى محمد شفيق شيا أنّ طبيعة الكون أحادية مهما تبدّل، أو تشكّل، أو تنوّع، والخلاص عند نعيمة كفاح لمواجهة الثنائية لصالح الأحاديّة. فلسفة ميخائيل نعيمة، ص١٠٤
١٨ الرواية، ص٧٥
١٩ يوجد الالكترون والنيترون في أكثر من موضع في الوقت نفسه، ففي عالم الكمّ لم نعد نتحدّث عن هنا أو هناك، بل نتحدّث عن هنا وهناك، والالكترون الذي يتخذ مداراً حول النواة من الممكن أن يكون في أكثر من مكان في الوقت نفسه. أمير أكزيل، التعالق أكبر لغز في الفيزياء، ص٩.
٢٠ مع القفزة الكمومية، ص ١٠٠
٢١ الرواية، ص١٣٦- ١٣٩
٢٢ المرجع السابق، ص ٦٠
٢٣ الرواية، ص١٣٩
٢٤ لا شيء في حال سكون تامّ، وتعاني الأجسام كلّها الهياج الكمّي مهما بدا الهدوء سائداً الكون الأنيق، ص١٧٢
٢٥ المرجع السابق، ص١٩٦-١٩٧
٢٦ الرواية، ص٩٧- ٩٨

- المصادر والمراجع

-أمير أكزيل: ٢٠٠٨، التعالق أكبر لغز في الفيزياء، ترجمة: عنان الشهاوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
-الحكيم، سعاد: ١٩٨١، المعجم الصوفي، ط١، دندرة للطباعة والنشر، بيروت.
-الديوب، سمر: ٢٠١٧، الثنائيات الضدية: دراسة في المصطلح ودلالاته،

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة.
-شيا، محمد شفيق: ١٩٨٧، فلسفة ميخائيل نعيمة، ط ٣، منشورات الحسون الثقافية، بيروت.
-غرين، برايان: ٢٠٠٥، الكون الأنيق، ط ١، ترجمة: فتح الله الشيخ، المنظمة العربية للترجمة، المعهد العالي للترجمة، بيروت، الجزائر.
-غليك، جايمس: ٢٠١١، نظرية الفوضى: علم اللا متوقَع، ط ٢، ترجمة: أحمد مغربي، دار الساقي، بيروت.
-غوسوامي، أميت: ٢٠١٦، فيزياء الروح، ط ١، ترجمة: د. رمزي صالحة، دار الروافد، بيروت.
-كابرا، فريتجوف: ١٩٩٩، الطاويّة والفيزياء الحديثة، ط ١، ترجمة: حنا عبود، دار طلاس، دمشق.
-مجموعة مؤلفين: د.ت، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض.
-ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي: ١٩٩٤، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت.
-نعيمة، ميخائيل: ١٩٥٢، كتاب مرداد: منارة وميناء، وضعه بالإنكليزية، ونقله إلى العربية: ميخائيل نعيمة، مكتبة المناهل، دار صادر، بيروت.
Kushi, Mitchio, with Edward Esko, OTHER DIMINSIONS Exploring-the Unexplained, ١٩٩٢, Avery publishing Group Inc. Garden city park

الورقة ٢١- مجلّة العالميّة - لبنان
من لبنان إلى العالمية - أدب الرحّالة

عندما أقرأُ تاريخ الأديب المهجري الدكتور جَميل الدويهي، أتأكّدُ أنّ لِحلمي أخًا في هذا العالم، يؤمن إيماني بأهَميّة الانتشار على مساحة الكوكب الأزرق، برّاً وبَحرًا وجوّاً، حتى أقاصي الأرض. تَجربتان متشابِهتان، واحدة أدبيّة وواحدة إعلاميّة وفنيّة، والاثنتان بنتا الفكر الواحد، زارِع الموهبة والطموح.

إنطلقتْ مَجلّة العالميّة التي أسّستُها في العام ٢٠٠٥، طفلةً صغيرةً تَحملُ رسالةً كبيرة، وتتحدّى ذاتَها لتجتازَ بِها المسافات البعيدة. ومن أجل ذلك اختارت في كتاب معموديّتِها اسمَ: "العالميّة".

إسمٌ كبيرٌ قد يفوق قدرة الأحلام، ولكنّ الأحلام الصغيرة تتحقّق مع الجميع، والأحلام الكبيرة تَحتاجُ إلى قدرةٍ تفوق المألوف. وأنا اعتدتُ أن أحلمَ وأحقّق أحلامي التي أسعى إليها بكلّ قواي.

إخترتُ اسم العالميّة، كي أجوبَ العالم، مفتّشًا عن الانتشار اللبناني المبدع، لأستضيفه على صفحاتِها، كي تكون العالمية صلةَ وصلٍ بين لبنان والمهجر. وحقّقتُ حوالي ثلاثين رحلةً إلى العالم، فضمّت مَجلّة العالميّة روّادًا من لبنان ينتشرون في كلّ مكان. وآثرتُ فتحَ دفاترهم وسردَ قصصهم وحكايات هجرتِهم من لبنان على مَرّ الأجيال. فأضاءت العالميّة على العديد من المبدعين اللبنانيين في العالم، واستنتجَتْ أنّ لإبداعهم سببين لا ثالث لَهما، وهُما:

- الأوّل: اللبناني المبدع يستطيع أن يتفوّق بكفاءته خارج لبنان، بينما في

لبنان هو بِحاجة إلى وساطة الزعماء.
- الثاني: اللبناني المبدع في الخارج يَحترم القانون لأنّ القصاص موجع، أمّا في لبنان فيتلاعب بالقانون وتُدعى شطارة، وإلاّ لا يصل.
- وفي غياب الدولة اللبنانية، في كلّ الأزمنة، يُبدع اللبناني على الصعيد الفردي، فيقود سفينةً بِمفرده، ويُحلّق بطائرةٍ هو وحده قبطانُها، ويتّكل على نفسه، لأنّ يد الدولة لم تَمتدّ لإنقاذ أحلامه من الغرق، لا في الأزمنة الغابرة ولا في زماننا الحاضر.
- زرتُ أوروبا وأميركا وكندا وآسيا، وكتبتُ عن حضارات الشعوب، من حضارة الهنود الحمر في أميركا في Plaimouth Plantation والهنود الحمر في نياغرا كندا، حتى رجالات التاريخ في أميركا وأوروبا، وحضارة الأنباط في الأردن، وغيرها من حضارات... إيمانًا منّي بأنّ أدبَ الرحّالة المهجري هو الذي يعني الثقافة بأسلوبٍ سردي وصفي مصوَّر من أرض الواقع. وهنا يتلاقى أدب الرحالة المهجري الذي قامت به مَجلّة العالمية، مع أدب جَميل الدويهي الفكري الذي قام به ضمن مشروعه الاغترابي في أستراليا.
- ويومَ قام جَميل الدويهي بزيارة لبنان لتكريم مبدعيه، كانت "العالمية" أوّل مَن واكبَ هذا المشروع الاغترابي، للإضاءة على إنْجازٍ تغفلُ الدولة القيام به، وهي تتخبّط لِحماية الفساد والمفسدين من طاقمها الذي يُمعن في إغراق السفينة، وعلى متنها شعبٌ كامل من الرهائن.
- في ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٨ نالت العالميّة جائزة "الملكيّة الفكريّة للصحافة العربيّة" من الكويت، عن مسابقة شاركتُ بِها فحصدتُ النجاح، بين ٢٢ دولة عربية شاركت في المسابقة.
- وفي ٦ تَموز ٢٠٠٩ حصلتُ على تكريم رئيس الجمهورية اللبنانية يومها العماد ميشال سليمان.
- كما حصلتُ والعالمية على جائزة الأديب الدكتور جَميل الدويهي "أفكار اغترابية"، وكانت حافزًا لتشجيعي على متابعة النشاط الفكري الأدبي

والإعلامي على السواء، في سبيل نشر الثقافة والإبداع على مساحة العالم.
إعتمدت مَجلّة "العالميّة"، إنطلاقًا من اسمِها، على التطواف في العالم، تَحت عنوان أدب الرحّالة المصوَّر، فزاد قرّاؤها في لبنان والعالم.
وبما أنّ الله خصّصني بالعديد من المواهب، استطعتُ أن أُطلَّ على العالم كأديبٍ وقصصيّ وشاعر ومسرحي في عدّة كتب نشرتُها:
١- جزءٌ من الله... أنا
٢- أحبُّكِ في الزمن الممنوع
٣- ديمقراطيّة نَحو السلام
٤- داني وآيات الكِبَر
٥- إبتسِم دائمًا
٦- رغم الخطوات الثقيلة
٧- معلّم الحقّ في زمن الباطل
٨- النور الساطع
كذلك هناك كتب جاهزة للطباعة عندما تسمح الظروف.
وقمتُ بتأليف وإخراج وتقديم العديد من الأعمال المسرحية والإذاعية والتلفزيونية.
واليوم، أعددتُ ألبومًا غنائيّاً من كلماتي وألحاني وغنائي، ومن إنتاج مَجلة "العالمية"، لأجوبَ به بلدان الانتشار اللبناني، حاملاً مع كلّ أغنية قضيّة وطنيّة أو عاطفيّة أو اجتماعيّة هادفة. هي رسالتي من ضمن الرسالات الفكرية، وبِمواكبة مَجلة "العالميّة".
قصّة التواصل مع الانتشار اللبناني في الخارج قصّة واسعة ومتشعّبة.
دكتور جَميل الدويهي حَملَ الأدب في حقيبته، ونَحن نَحمل الصحافة والأدب والفن، لنلتقي مع لبناننا المنتشر في بقاع الأرض، فنعيد ثقة العالم بنا، بعد أن سرق السياسيّون أمانات الشعب وأعمار الناس ومستقبل الوطن.

الورقة ٢٢: الأديبة عائدة قزحيا حرفوش
تكريم النّجوم الاغترابيّة، جنود اللغة العربيّة
المنتشرين في أقاصي الأرض

الوطن ليس أرضًا بل هو روح... فلو كان أرضًا لَنَسِيَهُ كلّ المهاجرين والمغتربين ولَما شعروا بالغربة والحنين، وهم الواجدون أرضًا وبلادًا منحتهم جنسيّتها والأمان، وحضارة تحترم حقوق الإنسان، وفيها كلّ مقوّمات العيش الكريم وما يُرضي طموح الإنسان.

وهأنذا أبحث اليوم، في هذا المؤتمر الاغترابيّ عن حروفٍ عذراءَ كي أعبّرَ بوساطتها عن قدسيّة جهاد الأدب المهجريّ، وأخصّ بالذّكر الأدب الدُويهيّ كباحث عن إبرة في أطنان من التّبن، وفي نيّتي ألّا أبخس حقّ جهادكم المقدّس في معركة كربلاء اللّغة حتى ينتصر حقّ الحرف العربيّ اللبنانيّ، إذ جعلتم وطن الاغتراب أندلسكم، تُخصبون جنائنَهُ بعبير تقطير عرق إيمانكم بلبنانيّتكم وعروبتكم أزاهيرَ شعرٍ ونثر وحكمة وفلسفة ، يسكر المرء بجمالها وإتقانها وأصالتها، حيث لا خوف على اللّغة العربيّة ما دامت تتغذّى من لبن عصافيركم الاغترابيّة، ومن نسر الإبداعات الدّويهيّة.

جئتُ اليوم أشارك في هذا العرس الثّقافيّ، في مهرجان الكلمة لأرفعَ قبّعتي احترامًا للأقلام الاغترابيّة الّتي ترفرفُ أعلامًا لبنانيّة اعتزازًا وشموخًا في كلّ مكان، وإكبارًا لروحهم العربيّة.

أمّا أنتم، شعراءَ وأدباءَ الرابطة القلمية: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، إيليّا أبو ماضي، نسيب عريضة، رشيد أيّوب، عبد المسيح حدّاد، ندرة حدّاد، أمين مشرق... فَتَحيّة كبرى لأرواحكم ووقفة عزّ لأدبكم، فلترقد

نفوسُكم بسلام ولتطمئنَّ في مثواها الخالد في أدبنا الّذي نقتات منه زادنا اليوميّ، اطمئنّوا، فقدِ انبعثَتْ رابطتُكم القلميّة مع ورثةٍ حافظوا عليها وأعادوا إحياءها من جديد، وها نحن نحتفل بعودتها ونشعر بفرح العيد.
ولا يسعني في هذه المناسبة إلّا أن أكرّم بدوري تلك النّجوم الاغترابيّة، جنود اللغة العربيّة المنتشرين في أقاصي الأرض، يذودون عن اللغة بسيف حروفهم، ويرفعون لواء وطنهم عاليًا أينما حلّوا، وأقدّم لكم وللوطن لبنان درع الشّكر والمحبّة والتّقدير والامتنان، كما يسرّني أن أقدّم لـ"جبران خليل جبران" درعًا بشريّا من لحم ودم وروح، قد بذل النّفس والنّفيس، وأفنى ذاته بين الكتب والكراريس، وكرّس حياته مجاهدًا في ساح الفنون الأدبيّة على أنواعها، وأهنّئه بالقول: نَمْ قرير العين يا جبران إذ تقمّصتَ فصرت دويهيًّ لبنان.
ذلك النّاسك الدويهيّ في محراب اللّغة العربيّة، حيث عَبَدَ الله في صومعتها فتوّجَتهُ نبيًّا في محرابها.
وإنْ صحّ القول فالأدب الدّويهيّ ليس أفكارًا اغترابيّة، بل هو فلسفة وطن عالميّة. وكأنّي مع العائلة الدّويهيّة أسترجع أسطورة آدم وحوّاء، إذ حمل الكاتب والشّاعر المبدع "د. جميل" زهرته المريميّة وخرجا من الجنّة، ثمّ راحا يصلّيان معًا ويبتهلان ويتصوّفان في معبد الحرف، مجاهِدَيْن ساعِيَيْن وقد حملا وطنهما زوّادة، وحنينهما عبادة، حتى شابت فيهما الرّؤوس ولم تشِبِ النّفوس، وقسَتْ عليهما الظّروف فأينعت في أدبهما الحروف.
عذرًا أيّها المهاجرون عذرًا... لقد دعوتكم منذ نعومة حروفي للعودة إلى الوطن... دعوتكم وفي قلبي مرارة الشّوق إليكم، وفي عينيَّ دمعة أسًى، دعوتكم وفي حلقي غصّة ألم وحرقة، وفي نبضي لهفة وشوق.
عذرًا أيّها المهاجرون لأنّي رجوتكم وتمنّيت عودتكم بحرارة، وسال دمع قلمي تكرارًا وأنا أواسيكم في غربتكم وأناديكم للعودة إلى وطنكم ولكثرة ما نشجت حروفي رجاءً عدتم...

فهرولت إليكم أضمّكم، أعانقكم وأقبّل الأرض تحت وطء أقدامكم، وأنهيت لقائي بكم بأن رفعت يديَّ إلى الله أشكره على عودتكم سالمين استجابة لرسالة كتبتُها لكم في موضوعي الإنشائيّ الّذي طلبَتْهُ منّي أستاذة اللّغة العربيّة في المرحلة التّكميليّة.

عذرًا.. وألف عذر.. لقد ساوَمتُ على عودتكم بحيازتي على أعلى علامة إنشائيّة ونيلي جائزة وميداليّة. وعلت هتافات التّهنئة وراحت أيادي رفاقي ورفيقاتي وأساتذتي تصفّق بفرح، كيف لا وقد أحرزتُ نصرًا مُبينا حين أعدتُ في موضوعي التّعبيريّ كلّ المهاجرين؟

عذرًا أحبّائي المهاجرين إذ خدعتكم عندما صوّرت لكم لبنانَ كما أرجوه أنْ يكون، لا كما هو كائن.

يا لَأنانيّتي! دعوتكم لتشبعوا من خيرات الوطن ونحن هنا جائعون، في قلوبنا غصّة وفي عيوننا دمعة... دعوتكم لترتَوُوا من ينابيعه العذبة، ونحن هنا نغسل وجوهنا بدموع القهر والعزاء...

صوّرت لكم أحراج وطنكم الخضراء، وخبّأت عنكم أحراجه الفحماء.

عذرًا وألف عذر، صوّرت لكم الثّلج فوق صنّين، وخبّأت عنكم صور أبنائه العارين، صوّرت لكم نور الشّمس والضّياء، وأخفيت عنكم عتمة قبورنا الظلماء وحلكة الكهرباء.

عذرًا... لم أكن أدري أنَّ الغربة سماء الوطن وأنتم أقمارها ونجومها وكواكبها.

لم أكن أدري أنّ الشّعراء والأدباء هم قادةُ الشّعوبِ في مملكةِ الفكرِ والإصلاحِ والتّطوير، وأنّهم نسماتُ الفصولِ ورياحُ التّغيير، وأنّهم عُشّاق الكلمةِ، وحماة اللّغةِ العربيّةِ. وأنّهم سراجُ النورِ في عتمةِ دّيجورِ الجهلِ ولوحاتُ الجمال في طبيعة الخيال.

بوركت حناجر أفئدتكم، وصرخات أقلامكم وهتاف حروفكم ومناجاة الله في اشتياقكم. فأنتم سفراء قلوبنا إلى العالم.

حفظكم الله وأدامكم ذخرًا وذخيرة لنا وللّغة العربيّة وللبنان.

الورقة ٢٣ - د. عماد يونس فغالي
الأدب المهجريّ، تأثيره في المهجر أو في الوطن؟
مقاربة سوسيو أدبيّة
"أفكار اغترابيّة" نموذجًا.

مقدّمة:

ما وعيتُ على نفسي يومًا إلاّ منجذبًا إلى العربيّةِ لغةً وأدبًا. صدّقوني إن قلتُ لا أزال حتى اليوم أجهلُ أسبابَ ميولي إليها منذ اليفاع. في كلّ الأحوال، تدرّجي فيها كان مدرسيًّا أوّلاً وأساسًا. أذكرُني منذ البدايات، أحبُّ اللغةَ العربيّة قواعديّتَها وفقهَها، ثمّ أدبَها.

كانتْ منظومة تعليم "العربي" تتضمّن نهجًا عُرف بمصطلَح "الاستظهار". في ذهني لم يكن مهضومًا عند التلاميذ. لكنّي خلافًا أحببتُه. القائم على حفظ القصائد استظهارًا، وتسميعها للمعلّم شفهيًّا في الصفّ. وكان المعلّمون يهتمّون لمن يتبيّنون فيه موهبةَ الإلقاء. من هنا بدأتْ قصّتي مع الأدب المهجريّ.

كنتُ في الأوّل متوسّط، اليوم السادس أساسيّ. معلِّمُنا الأستاذ نزيه يزبك. وكانت قصيدة "يا ثلج" للشاعر المهجريّ رشيد أيّوب، عضو الرابطة القلميّة. حفظنُها استظهارًا، وبرغبةٍ لإيقاعيّتها اللافتة. لكنّي أذكرُ أنّي اهتممتُ لمناسبتها، وليدةَ شاعرٍ هاجرَ إلى الولايات المتّحدة الأميريكيّة، الثلجُ هناكَ أعاده إلى شتاء قريته في لبنان، وما يرافقه من منظومةٍ معيشيّة وسوسيو-عائليّة.

اهتممتُ لِما رافق القصيدة من ظرفٍ ومشاعر. اهتممتُ لأنّ القصيدة ابنةُ

قصّة. بيئتها لبنان، وطني، الأرض التي أعيش فيها، تعلّقتُ بها. وها هو الشاعرُ المهجريّ يحنّ إلى حيث أعيش أنا وأنمو.
من هنا قلت، بدأتْ قصّتي مع الأدب المهجريّ. هو ليس قطعةً من الأدب. هو رحلةٌ فيه شائقة. ساقتني عبر الزمن منذ عهد رشيد أيّوب، بدايات القرن العشرين، ورستْ بي يومًا ليس ببعيد، في ميناءٍ شططتُ منه على نهضةٍ اغترابيّة، لا ثانية، اسمحوا لي أن أقول، بل معاصرة وحاليّة اسمها "أفكار اغترابيّة للأدب الراقي".
بين النهضتين، تفاعلٌ وتأسيس. تفاعلُ الأدب مع مهجريّته، وتفاعلُ الأدباء والمتلقّين مع مفاعيل الأدب المهجريّ وتأثيراته. ومن جهةٍ أيضًا، تأسيسُ أدبٍ مهجريٍّ لعالم اليوم، أو في زمننا الحاضر. هذا التأسيس، له ظروفه ومعطياته، عساني أخوضها من خلال نموذج بحثي هذا: "مشروع أفكار اغترابيّة للأدب الراقي" في سيدني أستراليا، لأطرحَ أشكاليّتي فيه: تأثير الأدب المهجريّ في المهجر أو في الوطن؟

الأدب المهجريّ، هويّةً واصطلاحًا:

الأدب المهجريّ هو كلّ نتاجٍ أدبيّ يكتبه أديبٌ لبنانيٌّ أو عربيّ عمومًا، ساكنٌ خارج وطنه الأمّ، يعيشُ في مهجر. الأدب المهجريّ مكتوبٌ بلغةِ الأديب الأمّ في الأساس، لكن ليس في الضرورة.
أدب المهجر، اصطلاحًا، هو نتاجُ أدباء وشعراء عرب ولبنانيّين هاجروا من أوطانهم إلى دول أميركا الشماليّة وأميركا الجنوبيّة في الفترة بين ١٨٧٠ الى ١٩٠٠، لأسبابٍ اقتصاديّة أو أمنيّة أو حتى سياسيّة.
كان معظم أدباء المهجر من سوريا وفلسطين ولبنان. وكان تواجدهم الأكبر في الولايات المتحدة والبرازيل وكندا.
"أدباء المهجر" حسب قاموس المعاني، "جماعات من العرب المسيحيّين، هاجرت من سوريا إلى كندا وأمريكا الجنوبية والولايات المتّحدة. فقد نقلوا اللُّغة العربيَّة وآدابها إلى تلك المهاجر البعيدة، فأنشأوا أدبًا يعبّرون به عن

مشاعرهم وعواطفهم ويتحدَّثون عن غربتهم وحنينهم إلى أوطانهم، وأصبح أدبُهم مدرسة كبرى من مدارس الأدب الحديث".

تقول الباحثة مريم عزيز خاني في مقدمة بحثٍ لها سنة ٢٠١٤: "يُطلَق مصطلح المهجر على شعبة الأدب العربيّ الحديث الذي نشأ في البلدان الأوروبيّة والأميركيّة عند عدد من الأدباء العرب الذين هاجروا في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين إلى هذه البلاد".

انطلاقًا ممّا تقدّم، يتكوّن الأدب المهجريّ، نشأةً واصطلاحًا، منذ بدايات القرن العشرين، في الأميركتين خصوصًا. الأدب المهجريّ اللبنانيّ بارزٌ لِما أعطى اللبنانيّون كمًّا من نتاجٍ أغنى المادّةَ نوعًا وعددًا.

هاجر اللبنانيّون إلى الأميركتين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واستوطنوا البلاد التي أمّوها، لا ليتحوّلوا أبناءَها، بل لينقلوا إليها ما حملوه من إرثٍ شرقيٍّ ولبنانيّ نشأوا فيه وحافظوا عليه، ليتكوّنوا جماعاتٍ خاصّة، وإن أخذوا في النمط المحلّي سلوكًا معيشيًّا ومهنيًّا، بقوا في تقاليدهم أوفياء لتراثهم ومنظومتهم القيَميّة التي حملوها معهم.

على المستوى الأدبيّ والفكريّ عامّةً، تشكّل الطابعُ المهجريّ أيضًا على المستويَين الفرديّ والجماعيّ. فالأديب المهجريّ حمل يراعَه يخطّ بمدادٍ أحمرَ، يدبّجُ خوالجَ قلبه ومشاعره الدافقة. تراه لا يكتب إلاّ وطنه، ذكرياتٍ وحنينًا. منها يروح إلى النظُم المجتمعيّة في مرسلاتٍ إنسانيّة، حملَ نفسه لأجلها نبيًّا. والتقى بأترابه من أدباء وشعراء على المبادئ والتوجّهات نفسها، فشكّلوا جماعاتٍ أسّستْ لما يُسمّى اليوم النهضة الأدبيّة الإغترابيّة. شائعٌ التعريف بها منذ الرابطة القلميّة خصوصًا في الولايات المتّحدة الأميركيّة والعصبة الأندلسيّة في أميركا اللاتينيّة. لكنّ نتاجَ كليهما الأدبيّ، امتاز بنسبته إلى الأفراد فيهما. هاك "النبيّ" لجبران، و"مرداد" لنعيمة...

في شكلٍ عامّ، كما أوردتُ أعلاه، هذا الأدب خُطّ بالعربيّة، لكنّ مؤلّفاتٍ عدّة صدرت باللغات الأجنبيّة وتُرجمت لاحقًا.

يحضرني ههنا تساؤلٌ: هل الظروف التي أدّت إلى الهجرة، في طليعتها المناخات السياسيّة والتضييق العنصريّ وقد أقول المذهبيّ والانتمائيّ في شكلٍ عامّ، جعلت أدباءَنا المهجريّين، يعبّرون في قولاتهم الأدبيّة، عن معاناتهم بلا مألوفٍ إبداعيّ ؟

لماذا كانت نهضةٌ اغترابيّة ؟

صحيحٌ كانت في المهاجر، الحركةُ الأدبيّة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس. وكانت شبكةٌ علائقيّة بين روّاد الأدب هناك. تكوّنت حركةً فاعلة بخصائصها وتأثيراتها في المساحات الجغرافيّة التي نشأت على أرضها وعملت في مساحاتها، ولكنّ مفاعيلَها تخطّتْ كلّ حدودٍ مكانيّة، وعادتْ إلى أرضها الأمّ تُغْني عطاءاتِها. تلقّفها الوطنُ الأساس أدبًا قائمًا في ذاته ونهضةً وإن اغترابيّة، تؤسّسُ لحركةٍ فكريّة فوق الحدود المكانيّة والزمنيّة على السواء! في هذه اليوم، يمكن القول إنّ هجرةَ الأدمغة تؤول إلى الخير وتعود بالفائدة. ولا ضيمَ إن كان امتدادُ الوطن في أقطار العالم.

امتدادُ النهضة وتأسيس!

إن كانت نهضةٌ اغترابيّة أولى في الثلث الأوّل من القرن العشرين، يحلو للباحثين تحديدُها بين السنتين ١٩١٦ و١٩٣١، أي سنوات قيام الرابطة القلميّة ونشاطها المهجريّ، أيُّ واقعٍ يعترف بانحلال النهضة، لأجل ارتحالِ روّادها من عالمنا وتوقّف إصداراتهم.

ما كتبوه وانتشر، لا ينى يملأ مكتباتِنا، ويتصدّر مطالعاتنا ومنابع تفكيرنا، مصادرَ أبحاثنا ومراجعنا. كلّ ما بقي منهم، امتدادٌ لنهضتهم، ينهل منها الأديب والشاعر، ليبنيَ أدبه اليوم على ما أرسَوه في الأمس.

وإذا عدتُ إلى مقدّمتي أعلاه، بان لي وللقارئ، كم فعل الأدبُ المهجريّ في المجتمع التربويّ والأدبيّ على مستوى الوطن المقيم. إنّي درستُ نتاجَهم، هؤلاء المهجريّين، وتمرّستُ أديبًا على فكرهم، نهجًا ومضمونًا. وهذا حالُ أترابي. إنْ أقلْ أسّسوا، أقصدْ في ذات الفعل امتدّوا. بتعبيرٍ آخر، رسخ

نتاجهم امتدادًا في المخزون الأدبيّ العامّ على المستويين الزمنيّ والتاريخيّ. الوطن الأمّ يفخر حتى اليوم بانتماء أدباء المهجر المصنّفين عالميّين إليه. ويتغنّى بما قدّموه للعالم من زخارف محليّة، مجتمعيّة وقيميّة ووطنيّة... كما أبناء الجاليات اللبنانيّة والعربيّة، تفاخر هي الأخرى بمحافظتها على التراث الوطنيّ الأمّ وعيشه في مغترباتها، انطلاقًا من تدوينه على يد أعلام القلم وأرباب الكلمة. يبقى أن أشير إلى زمنيّة النصّ المكتوب، التي لا حدود لها. النصّ المكتوب عابرٌ كلَّ زمان، باقٍ على الدوام، في قيمته ومفاعيله.

لا يمكنني الفصلُ في الواقع بين مفهومين هنا تكلّمتُ عليهما: امتداد النهضة الاغترابيّة الأولى، وتأسيس نهضة جديدة. كأنّما القولُ إنّ الامتداد هو التواصل، فلا انقطاعَ إذًا في الأدب أو في النتاج الأدبيّ على الوجه الدقيق. لا تزالُ الهجرة من وطننا إلى المهاجر مستمرّة، وأصحاب القلم يستوطنون الغرب لأسبابٍ قد تتغيّر أو تبقى هي هي، لكنّ الثابت، أنّ المِدادَ يسيل مترَعًا، نازفًا كلّ حنينٍ على معيوشٍ يأبَون عنه انسلاخًا!

هم اليوم أدباؤنا الحاليّون في المهجر، امتدادٌ طبيعيّ لأسلافهم في بدايات القرن العشرين في ما يكتبونه، لغةً وخصائصَ ومضامين. لكنّ تأسيسًا لنهضةٍ جديدة لا بدّ قائمة ومستمرّة.

الأدب المهجريّ اليوم:

تقوم حركاتٌ أدبيّة في أيّامنا على امتداد المهاجر التي عرفناها في النهضة الاغترابيّة السابقة. حيث يقوم أحبّةٌ بنشاطٍ أدبيّ وفكريّ متنوّع في الولايات المتّحدة الأميركيّة، كمثل "غرفة ١٩" ورائدتها الأديبة اللبنانيّة إخلاص فرنسيس. وفي كندا مع الحركة الإبداعيّة كندا والعالم لرئيستها الأديبة رندة رفعت شرارة. وفي أستراليا، "مشروع الأديب د. جميل الدويهي أفكار اغترابيّة للأدب الراقي" و"بستان الإبداع" لسيّدة الحنين كلود ناصيف حرب. يتميّز أدبُنا المهجريّ اليوم بتفاعله الفوريّ مع المتلقّي، في بلاد المهجر

نفسها وعبر العالم قاطبةً. ولستُ في حاجةٍ لشرحٍ وافٍ. يكفي ذكرُ النشر على مواقع التواصل الاجتماعيّ، ليهبّ المهتمّون إلى القراءة والتفاعل الأدبيّ والإنسانيّ والاجتماعيّ على السواء. أقول هذا وأنا أستحضر الدوافع الخاصّة بكلّ حالةٍ إلى ردّات فعلٍ عبر المواقع، من خلال التعليقات المُتاحة وتنوّعها، معبّرةً عن المشاعر الخاصّة بكلّ متفاعل، وعلاقته بالناشر والمنشور. ولن أستفيض.

الأدب المهجريّ اليوم، كما في كلّ زمان، ينقل صورةَ الأديب الواقعيّة في معيوشه اليوميّ على الأرض التي استقبلته وحمتْه. وتنقل كذلك صورتَه المشاعريّة في انسلاخه عن أرض الوطن، حنينًا وحُلمًا، وألمًا في أحيان. لكنّ الصورةَ اليومَ تختلف. فالانسلاخ قائمٌ صحيح، لكنّ سهولةَ التواصل وتقنيّاته، تجعلُ الحضورَ الاغترابيّ المتبادل مع الوطن، أقوى وأفعل. ما يخفّف وطأةَ البُعاد قليلاً. ويبدّل في نوعيّة المضمون الأدبيّ الذي يرافق التطوّر في الواقع الحاليّ.

"أفكار اغترابيّة" نموذجًا:

في عَودٍ إلى عنوان مؤتمرنا هذا، أروح في مشروع "أفكار اغترابيّة للأدب الراقي" نموذجَ "النهضة الاغترابيّة الثانية - لإبداعٍ من أجل الحضارة والإنسان". هو المشروع أطلق المؤتمر من فيض دعوته ونشاطه الفاعل لبلوغ الهدف الذي يتلمّسه عبر فعاليّاته الفكريّة والخبراتيّة.

د. جميل الدويهي، أستاذٌ جامعيّ وباحث أكاديميّ، أديبٌ وشاعر. في شخصه ومن مكانته، يستطيع القيام بدور رجل النهضة حيث يعمل. لكنّه في قناعتي ومعرفتي به، فُطرَ على الإبداع في محبّته للإنسان ورقيّه. من هنا لم يتكلّفْ عناءً في توجيه مؤتمره نحو "الإبداع من أجل الحضارة والإنسان". هذا هدف كلّ مشروعه ونشاطه، صرف العمرَ والقدرات، وتكبّد الألم والمعاناة راضيًا، لأجل ورود أرض الميعاد هذه.

غادر د. جميل أرض لبنانَ مكرَهًا، يحملُ قلمه "زادًا له في السفر"، كافيًا

ومكتفيًا. راح من هنا أديبًا جميلاً، يرافقه الأديم اللبنانيّ مادّةً أدبيّة في كلّ نبضٍ يشعره فيؤتيه. هناكَ في القارّة البعيدة، تجلّى كما هو في نقائه الكلمة، لم يتغيّرْ ولم يتوقّف، داعيةَ حضارةٍ وإنسان في ملء.

لكنّه أبى أن يفعلَ وحيدًا. التقى الأتراب من المقرّبين أوَّلاً. أهل البيت أَوْلى بالمعروف. ثمّ اكتشف البراعمَ الواعدة وأطلقها. وراح يجمع الأحبّة من أهل القلم في محيطه المهجريّ. نشرَ النتاجَ الشخصيّ والآخريّ بالزخم نفسه. أقام الأمسيات الشعريّة والمهرجانات الأدبيّة، فتكوّنت فكرةٌ تأسيسيّة، تعمّدت مشروعًا باسم "أفكار اغترابيّة للأدب الراقي". وانطلق كلُّ راقٍ منذ الأدب في الإنسان لأجل إنسانيّته، وبان المشروعُ رسولها على المدى. في سنواتٍ ستّ، ناهز عدد الإصدار الكتبيّ المئة، الغيريّةُ ميزتُه. أصدر لأدبائه دفقًا كأنّما يُصدِر لشخصه، بالفرح نفسه لدفعهم نحو قمّة عطائهم. أقامَ المشروع جائزةً معنويّة باسم "جائزة الأديب د. جميل الدويهي" السنويّة، تُمنح لمبدعين على امتداد العالم، في المجال الفكريّ والأدبيّ والإعلاميّ. هكذا راح المشروع في المنحى العالميّ للأدب الراقي.

صيف ٢٠١٩، شدّ رائدُ "أفكار اغترابيّة" ومعاونوه الرحال، وانطلقوا في عَودٍ إلى بدء، نحو الوطن الأمّ، لبنان. كأنّما ليعيدوا الحنين إلى جذوره. عادوا في نشاطٍ ثقافيّ لم يهدأ. نعم، دلاليٌّ توجّههم إلى لبنان. بانَ المشهدُ فعلَ حجّ فكريّ بامتياز. كلّ ما نشأ في أستراليا، أحياه المشروع في لبنان. الجائزة مُنحتْ حضوريًّا لمبدعين على أرض الوطن، ووُقّعت الكتب الصادرة في المهجر في مسقط رأس مؤلّفيها وبين أهله.

والتقى الأدباء المهجريّون بزملائهم المقيمين الذين تبادلوا معهم الفكرَ عبر الأثير، فكان اللقاء حول الكلمة، لا أدبيًّا وحسب، لكن مجتمعيًّا وإنسانيًّا خصوصًا. صارت المعرفةُ بينهم واقعيّة، ما سمح لكلا الطرفين تصويب تخميناته تجاه الآخر. وتوضّحتْ صورة تلقّي أيّ نشاطٍ متبادل وحقيقة التفاعل معه وفق الأصول والنتائج.

توأمة وشراكة:

في "لقاء" عضوٌ إداريٌّ فاعل التقى د. جميل الدويهي قبل هجرته الأخيرة إلى أستراليا. تعرّف به في جامعة سيّدة اللويزة وكان الدويهيّ أستاذًا فيها، أثناء مؤتمرٍ كان الأخير يرأس إحدى جلساته. توطّدتْ العلاقة بين الأديب سليمان يوسف ابراهيم والدكتور الدويهيّ، وتعاونا أدبيًّا على مدى سنوات، ما أسفر عن حصول الأديب ابراهيم على جائزة الدويهي العام ٢٠١٧، ليكون أوّلَ لبنانيٍّ مقيم يُمنحُها.

من يعرف سليمان يوسف ابراهيم، يصدّقْ كم يحبّ، بل كم يسعى لينالَ من يستحقّ في نظره، ما يتمتّع به هو. هكذا رشّح ابراهيم رئيس "لقاء" للجائزة فنالها العام ٢٠١٨، وبدأ التعارف الفعليّ عبر التواصل الإلكترونيّ بين رئيسي "أفكار اغترابيّة" و"لقاء" أثمرَ مباشرةً تعاونًا فكريًّا وثقافيًّا من خلال أنشطةٍ متبادَلة، جعلتْ "لقاء" يقيمُ احتفالاً بقدوم الوفد الاغترابيّ إلى لبنان، تكريميًا لمؤسّس المشروع وصحبه، على مسرح المكتبة الوطنيّة في بيروت، وفي حضور مديرها العام الدكتور حسّان العكره.

هذا التبادلُ الفكريّ الذي صدر عنه خمسة كتب حتى الآن، ويهيّئ الدكتور الدويهي لكتابين إضافيّين (حتّى تاريخه)، وَلدَ شراكةً عالية، عمل الطرفان على توثيق عُراها وتثبيتها بتوأمة خاصّة التقيا على مبادئها وأسسها كافّةً. بحيث يشاركُ كلّ فريقٍ بأيّ نشاطٍ يقيمه الفريق الآخر دعوةً وتنظيمًا وحضورًا... هكذا صارا جناحين لطائرٍ واحد يحلّق في سماء الفكر ويسبح في فضاء الثقافة، يقدّم لعالم اليومِ مساحةً من علو، تمكّن لكلّ باحثٍ في المجال أن يسمو ويغتني!

هذه التوأمة المتجسّدة شراكةً في "لقاء أفكار" الطرفَين، هي في رأيي وتوجّهي على السواء، علامةٌ فارقة في الأدب المهجريّ اليوم، وتأثيراته المباشرة في المهجر والوطن، على الصعيدين الأدبيّ والاجتماعيّ. فالتبادلُ الفكريّ بين المهاجر والمقيم، إذا توافر له التناغمُ الإنسانيّ بين روّاده

والفاعلين فيه، لا بدّ يؤتي نتائجَ باهرةَ الثمار. مؤتمرُنا هذا دليلٌ حسّيّ على التعاون والتبادل القائمَين، يسهّلُ عمليّة الإفادة المستدامة وإيصال المرسلة والأهداف. وإذا نسيتُ، لا أنسى تحريرَ المجلّة الإلكترونيّة "أفكار اغترابيّة، أدب وثقافة"، التي يشاركُ في أسرة تحريرها عددٌ كبير من أعضاء "لقاء"، ولبعضهم زاوية ثابتة يكتبونها في كلّ عدد.

نهضة اغترابيّة ثانية:

تكلّمتُ أعلاه على عدم انقطاعٍ للنهضة الاغترابيّة التي قامت بدايةَ القرن العشرين. قلتُ الحالةُ استمرارٌ وتأسيس. ما ربّما لم يكنْ بين النهضةِ هذه وما نتلمّسُه اليوم من نهضةٍ ثانية، هو فعلاً ما يمكن تحديده بالحركات الأدبيّة، أقصد الجماعيّة. في الوقت، كانت الرابطة القلميّة، وكانت العصبة الأندلسيّة. جماعتان أدبيّتان، تفاعلتْ كلّ واحدةٍ في أعضائها بنشاطٍ أدبيٍّ شعريّ، ولكن بتبادلٍ فكريّ عالي الصوت والمفاعيل. هذه الحركة الفكريّة في الاغتراب خلقت يومها نهضةً فكريّة طالت المهاجرَ التي تواجد فيها روّادُها، وارتدّتْ بإيجابيّتها على الوطن الأمّ. هذا جغرافيًّا، أمّا في الزمن، فلا نزال بعد قرنٍ خلا، ننعم بما أرسوه من قواعدَ فكريّة وأسسٍ أدبيّة لم يخْبُ وهجها.

بعد تلك المرحلة، لم تتكوّن في المغتربات حركةٌ أدبيّة جماعيّة. والنهضةُ تحتاج منذ ماهيتها إلى أرضٍ جماعةٍ تمتدّ فيها وتنسحبُ على الملأ. لكنّ أدباءَ وشعراءَ ومفكّرين من لبنان والعالم العربيّ، غمروا العالم بعطاءاتهم في المجالات كلّها. من هنا، كانت خبراتُهم منصّاتٍ تأسيسيّة لِما يمكن أن يكوّنَ نهضةً جديدة.

وكما ذكرتُ أيضًا، قامت في بداية القرن الحاليّ جماعاتٌ أدبيّة في أميركا الشماليّة، تعمل اليوم بنشاطٍ أدبيّ يجمع المغترب بالمقيم، عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ، فيُرسي مخزونًا أدبيًّا متنوّعًا، ويجمع الكلمة بالفنّ، خصوصًا الرسم. وتصدر الحركةُ الإبدعيّة كندا والعالم نتاجَها السنويّ في

عملٍ توثيقيٍّ تكنولوجيٍّ فنيّ عقب نشره الدوريّ المشكور. أمّا "غرفة ١٩" فإلى الأمسيات والندوات الفكريّة، تصدر مجلّتَها الإلكترونيّة الجامعة. كم جميل!

وأعود إلى نموذج ورقتي "مشروع أفكار اغترابيّة"، لا لأعدّد تكرارًا ما أنجز ولا يزال. أعود لأميّز في تعدّديّة نتاجه، بابًا واسعًا لنهضةٍ اغترابيّة جديدة. لا أقولُ بحصريّة "أفكار اغترابيّة" في تكوّن النهضة، بل فقط بتنوّعِ الأسس التي يقدّمها. وفضلُ المشروع وصاحبه يعود أيضًا لطرحه فكرة التأسيس لهذه النهضة الجديدة، من خلال طرح أهدافٍ يسعى مؤتمرُنا إلى بلوغها. من استطلاع رأي المعنيّين من أصحاب القلم والاختصاص حول إمكانيّة تأسيس للنهضة الجديدة، و"الوصول إلى ورقة حواريّة مشتركة... تقوم على الفرادة والتنوّع والخروج من نمطية النوع"، ولا يكتفي. هو يتطلّع إلى "إبداعٍ لأجل الحضارة والإنسان".

هذا تطلّعٌ شامل، يسعى إليه مشروع "أفكار اغترابيّة" في أستراليا مع الدكتور جميل الدويهي. لكنّه لا يتمّ إلاّ بالشراكة مع الحركة الأدبيّة عبر العالم. في شراكةٍ عن قناعة مع جميع الأطراف التي سمّيتُها في أميركا، مع بستان الإبداع في سيدني و"لقاء" في لبنان. ولكن مع كلّ حركةٍ أدبيّة ناشطة في أيّ مكانٍ في العالم، رابطةً أدبَ المهجر بالأدب المقيم، فتستقيم النهضةُ وتكون القيمةُ للكلمة تفتحُ للفكرِ مساحاتِ الإبداع.

خاتمة:

"لإبداعٍ من أجل الحضارة والإنسان". وتبقى النهضة الاغترابيّة تنظر الإبداعَ غايةً، في كلّ مضمارٍ تخوضه. الإبداعُ قمّةٌ في الجمال والدهشة، هنا أدبًا وفنًّا، وهناك علمًا واختراعات. في هذه كلّها، الإبداع فكر لأجل حضارةٍ وإنسان، لأجل حضارة الإنسان، يصلُ قمّتَها فيبلغَ ملأه.

الأدبُ المهجريّ كيانٌ أدبيّ نشأ يومًا هويّةً واصطلاحًا، تشكّلَ نهضةً

إبداعيّةً، قالت في تشعّباتها كلّ مألوفٍ من عاديّات المجتمع الاغترابيّ، ومشاعر أبنائه حنينًا وذكريات، ونشدتْ تطلّعاتهم الحياتيّة روَوا مدادَهم رؤىً وأحلامًا بطرائقَ غير مألوفة.

نهضةٌ اغترابيّة تأسّستْ عرفًا في الربع الأوّل من القرن العشرين، امتدّتْ في تأثيراتها على الزمن لتبنيَ صروحًا لروّادٍ حاليّين، يُعلونَ لواءَها اليوم من جديد، على أعمدةٍ من أسسٍ معاصرة، تحاكي مجتمعَ اليوم في أهله ومنظومة معيوشهم، لتمتدّ على نتاجهم الأدبيّ الذي يُنشدُ إنسانيّتَهم في أحوالها تميّزاتٍ ومحرّمات.

النهضةُ الاغترابيّة، وليدةُ أدب المغتربين، ابنةٌ دائمة لوطنٍ أمّ يفخر بأبوّتها، يتفاعلُ في جمالات نتاجها الفكريّ الأصيل، ينتقلُ بها إلى أقاصي المعمورة، تبني له حيثُ تكون بيتًا، يرثه المقيم وينشأ عليه.

هذا في اختصار، ما حاولتُ عبر ورقتي هذه الإضاءة عليه. مقاربةٌ سوسيو-أدبيّة لأقول إنّ الأدبَ مرآة المجتمع، كلّ نهضةٍ تنقل في أدبها، المجتمعَ إلى إبداعٍ يطالُ حضارةَ الإنسان الراقية حياةً وقيمًا تنظر إلى فوق وتجذب متى ارتفعت كلّ أحد!

الورقة ٢٤ - الشاعرة فرات إسبر- سورية مقيمة في نيوزيلاندا
أنهار العطش

السفرُ لم يكن من الأحلام ، ولا زوادة الفقراء . ولأن الأرضَ منبسطة ومنخفضة فهي ليست عادلة.
المطر غزيز. الرعودُ تُرعب . العواصفُ تُرهب الروحَ . أمواج البحر ترتفعُ حتى تصلَ إلى آخرِ درجة مِن الحلم.
أن تعيشَ المرأةُ في مناخٍ غير مناخها، كمن يأتي بالجِمال من الصحراء ليضعها في حديقة مِن الزهور، أو كمن يأتي بماعزِ الجبال ويضعها على شاطيء البحر.
ما حدثَ كان اختلافًا غيَّر الجغرافيا، حتّى أشعة الشمس لم تجد صدعاً للدخول في أقصى درجات الشمس إشراقاً.
الرومانسية مذبحة، والعاطفة فخٌ لصيد البهجات. فمن خرج في هذه الطرق، لن يسلكَ بها إلى منفذٍ أو إلى طريق منقذٍ. وبعد هذا، من الذي شاء، أمشيئته أم مشيئتها ؟
امرأةٌ في غيبوبة، استفاقت منها مرة على وجه قمرٍ منير أضاء الكون، والفيقة الثانية كانت على عطرِ زهرةٍ. من يومها لم تدرك العالم إلا بقمرٍ وزهرة.
مرتِ الحياةُ بالخيارات التي توقع في المهالكِ. أن نعيش يعني أن ندخلَ بئر النسيان.
اصرخي أيتها الشجرة العارية، اصرخي الآن، لا أحد يراك في الخريف ، لا أحد يسمعك.

الوصف صعبٌ، التعبير عنه أصعب.
مضت بحياتها إلى مشرحة، وعلى جثث الأيام مشت.
ما هو الحب ؟ كانت تسأل نفسها، وتجيب: يعني أن تموت غبياً. وماذا عن الزهرة والقمر في هذا الليل الحالك ؟ كانا يضيئان الغيب!
كيف لنا أن نقيسَ الحياة بمقاييس الحكمة ؟
الحكمة، أن تنام مقتنعاً في رعبٍ وخوفٍ مثل قنبلة ترتعد وحيدةً، لا تريد أن تَقتلَ على الرغم من شراستها في بلادٍ ذكروها في المديح والهجاء، ذكروها في الحروب والغزوات، ذكروها في التاريخ والآثار ولكنها كانت عجفاء لم تُرضعْ أولادها ورمتهم في فطامِ أبدي.
بين إدراك ومستدرك، وقعتُ وغمرني ماءٌ غزيّر حتى اختنقت، وتجاوزت موتي حتى انتهيت، و قمتُ.
أيها الحلم مزقْ ثوبك... اخلعْ قلبك. إنني لا أجيد غير ذمك. وهكذا بدأت الرحلة:
مفوضية اللاجيئن تتصل وتعتذر عن أمريكا التي رفضت قبولنا كلاجئين إليها، وأيضا كندا والدنمارك والسويد. يا إلهي لماذا تضيق أراضيك بنا، نحن الغرباء الذين لا نملك وطناً ولا هوية ؟
أتذكر أمّ جبران خليل جبران، تلك البطلة المحاربة في رحلةٍ قطعتها عبر البحار، وأعزي نفسي بها وأقول: لا بدَّ أن يأتي يوم ويأتي معه الحلم الذي نحلمُ به.
بعد فترة طويلة قاربت الأشهر قطعنا الأمل في سفر نحلمُ به لترميم حياتنا في عالم وأوطانٍ لم تمحنا سوى الهشاشة والغياب والنفي، ومع ذلك نبكي عليها بحرقة الحنين إليها.
أيها الوطن ما أوسعك وما أضيقك!
نسينا الموضوع وبقينا نتابعُ حياتنا، التي يكبر فيها الأولاد، بلا هويةٍ ولا جواز سفر ، إلى أن جاءنا الغيثُ بهاتف من المفوضية العامة للاجئين،

تقول لنا فيه : "مبروك لقد تمّ قبولكم للسفر إلى نيوزلندا". ولكن يا الله أول مرة أسمع بها. كيف هي ؟ أين تقع ؟ ما لغتها ؟
نظرتُ إلى أطلسِ العالم، كان واسعاً وكبيراً، وكانت نيوزلندا في أسفله كسمكة صغيرة وُلدتْ لتّوها وتخشى أن تبتلعها الأسماك الكبيرة التي تحيط بها المياه على مداها وجانبيها، وإن تهنا في الطريق إليها لا شيء سوى الغرق، يا الله!
حزمتُ الحقائب، وتركت خلفي الماضي بما فيه حتى الملابس، لم أحمل منها إلا ما نرتديه وملبساً واحداً للطريق، لأن المسافة كما قالوا لنا بعيدة بعيدة وقد لا نصل . كان علينا في ذلك الزمن أن نقطعَ ثلاثين ساعة من الطيران إليها.
وإلى مطار دمشق الدولي توجهنا، ودعونا الله أن لا يوقفنا طارئ أو حاجزٌ.
هبطنا في مطار البحرين، كان هبوطنا الأول وتجربتنا الأولى في الطيران.
كنت أمسك بأولادي، كل واحدٍ منهم أشدُّ على يده بقوة خشية أن يضيعوا مني في زحمة المطارات، وقد كنت لأول مرة أسافر بعيداً، إلا في خيالي والحلم الذي تحقق.
في مطار البحرين وعلى الدرج الكهربائي المتحرك الذي أصعد إليه أول مرة حملت ابنتي، وعلقتُ يدي بجوانبه خشية السقوط، ولكن كعب حذائي علق في الدرجات المتحركة، ووقعت أرضاً، مما اضطرني إلى خلعه وبقيت حافيةً.
وهكذا أقلعت الطائرة في رحلة من خيال الإنسان، كنّا نقرأ عنها في الخيال العلمي بالسفر نحو الفضاء أو ا لمجهول، حقاً كان هذا السفرُ سفراً في المجهول الغامضِ الأعماق.
كنت سعيدة، وقلبي يحدثني عن الأحلام التي صارت حقيقة، عن المجاهيل البعيدة، وأتذكرُ أمّ جبران خليل جبران، كاملة رحمة، وأقول : هي كانت في زمن الأسفار في البحار، وأنا في زمن الأسفار بالطيران، لا بد

أن هناك فرقاً... وأستمدّ القوة منها والشجاعة، فكان بيني وبينها صلة قرابة روحية منحتني أشد طاقاتها قوةً وعمقاً، كي أستعيدَ أنفاسي في هذه الرحلة المجهولة.

وبدأتِ الحياة بترتيبٍ جديدٍ واشارات جديدة. كان عليّ أن أغسل عذابات الماضي بحلاوة المستقبل وجمالية المكان والبشر وتحقيق ما عجزنا عنه في منفى الوطن الأول.

كاملة رحمة عزائي في اختلاف الزمن والثقافات. وبدأنا في رحلة اللغة وغرابتها، فالفرنسية التي درستها لم تنفعني في بلاد الغيوم البيضاء التي وصلها جايمس كوك قبلي.

نيوزلندا بلادٌ واسعةٌ وأرضٌ خضراءُ وسماءٌ بيضاء ،ومحيطات تسّورها وكأنها امرأةٌ على مستوى رفيع من الجمال والزهو، تحرسها الحدائق والأشجار، وما شجرة "بوهوتوكاوا " إلا شجرة الأرواح، أرواحُ من نحب، نعلقهم فيها كما يفعل الماورية سكان نيوزلندا الأصليون. وبدأتُ بتعلم اللغة الانكليزية، كنت كالببغاء لمدى شهور، أردّد كلماتٍ لا معنى لها وأعيدها وأفكك حروفها وألفظها خطأً، وإلى اليوم ما زلت لا أجيدها كما أولادي وأتأتئ.

كنت دائماً أفكر بجبران ومي زيادة والشعلة الزرقاء، التي كانت بينهما وحملاها إلى أجيال وأجيال، وما زال وهجها يتدفق في قلوب محبي الأدب. وأسألُ دائماً وعبر هذا المحيط: هل من الممكن أن يكون ما بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهادي شعلة زرقاء أخرى تنير بوهجها على عالم الأدب ومحبيه ؟

علاقة جبران خليل جبران ومي زيادة والرسائل المتبادلة بينهما تعتبر مشروعاً ثقافياً وأدبياً بحد ذاته، ما زالت إلى اليوم باقية كفاعل ومؤثرٍ أدبي في العلاقات الإنسانية والفكرية، ولكن مع الأسف لم يتّوج هذا الحب باللقاء، وإنّما انتهى إلى مصيرٍ مؤلمٍ وحزين، حيث أتهمتْ مي زيادة بالجنون ودخلت المصح، ومات جبران بمرض السل إذ لم يتم اللقاء قطّ.

يقول الكاتب الكبير جميل الدويهي : "إلى اليوم لم يوجد من يؤسس لمرحلة ثانية وجديدة لما بعد جبران خليل وخليل نعيمة والرابط القلمية" . نأمل أن نجد امتداداً لهذه الرابطة عبر البعد الآخر الجغرافي لا الأمريكي فقط إنما الأسترالي النيويلندي، وإلى ما وراء المحيطات شرقاً وغرباً، ليتجدد هذا الإبداع المهجري برايةٍ جديدة وأقلام جديدة تحت سماء أدب اغترابي جديد له سماتٌ مبتكرة، و يحمل بصمة الماضي القديم الأصيل.
نحن البشر نتشكلُ من دمعة وابتسامة، من حنين وجنون وأشواق، كتلة الروح فينا هي هذا الشعور الإنساني بكل ما نحمله من صدق ومحبة.
ما أودُّ التركيز عليه ولجانب ٍمهمٍ في قناعتي، أن أدباء المهجر لهم فضلٌ كبير في إحياء روح الآداب العربية واللغة العربية وإيصالها إلى بقاع الأرض، ومنهم كما ذكرت جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما من الذين اسسوا الرابطة القلمية.
تعرفت على كتبِ جبران خليل جبران وتفتحت عيناي على ما كتبه في "دمعة وابتسامة".وعلى روائع رسائله مع مي زيادة "الشعلة الزرقاء"، وهو ما حاولت أن تقلده غادة السمان في رسائلها المتبادلة مع غسان كنفاني، والتي ادعتْ بأنه هو من كان يرسل إليها رسائل الحبّ.
ولكن مهما كتب من رسائل أديبة عبر تاريخ الأدب، لم ولن يصل إلى قيمة وأهمية الرسائل المتبادلة بين جبران ومي، كونها كانت تحمل هموم الشرق والغرب عبر هذا التواصل الروحي بينهما، حيث كانت في صالونها الأدبي تفتح الحوارات الثقافية ما بين الشرق والغرب، بكل ما يرسله جبران في رسائله، وكان من أهم رواد صالونها الأدبي عباس محمود العقاد وطه حسين وغيرهما من كبار كتاب مصر في تلك المرحلة.
أعود إلى كتاب "النبي"، كتاب جبران خليل جبران الذي وصلني هدية أعتز بها من الأستاذ الجليل عدنان حسين عوني، العراقي الذي يعيش في نيوزلندا منذ سنوات طويلة. تشرفت بمعرفتهِ ضمن اللقاءات الأدبية

والفكرية التي تقوم بها الجالية العراقية العربية في نيوزيلندا.
قال لي الأستاذ عدنان عوني، رحمه الله : "عندما أقرأ لفرات إسبر أتذكر جبران خليل جبران". ابتسمتُ وشكرتهُ وقلت له: هذا شرف لي أن تذكرني مع جبران خليل جبران.
مرتِ السنوات وتقريباً ما يزيد على ثلاث سنوات، لأحظى بمكاملة تلفونية، يقول لي فيها الأستاذ عدنان عوني رحمه الله، إنه قد تلقى هدية ثمينة من ابنته سهى عوني التي كانت تزور لبنان، وقبل أن أعرف ما نوع الهدية طلب مني أن أوافق على قبولها، لأنه لم ير أحداً يستحقها مثلي، فوافقت دون أن أعلم نوع الهدية، كوني أحمل له كل التقدير والأحترام، وكانت المفأجاة أنه أهداني كتاب "النبي" لجبران. وها هو الأستاذ جميل الدويهي يعيد لنا أمجاد الكلمة بدعوته لي للكتابة عبر مشروعه الأدبي الراقي، ليجمعنا في شوق الوطن والحنين والمنافى وجزرها، ضمن مشروع أدبي راقٍ ِأعتزُ بالمشاركة معه، بهذه الورقة الأدبية التي تحمل في طياتها رحلة السفر الطويل بين الأرواح والأجساد... بين المنافي والأوطان. وما لنا من الوطن إلا الذكرى، وما لنا من المنافي إلا المستقبل لنختم بالشعر الذي هو حال العرب، فما بين الأطلال والأطلال يموت شاعر أو يُنفى شاعر.
من وحشتي أرصع حياتي بالأحجار الكريمة وأصرخ لجبران خليل جبران :
أيها النبي،
أنهار من العطش ما بين قصابين* وبشري*
وكانت مي صديقة المنفى والدروب
فيا أيّها الوجد اختصرني بالمعاني لا بالحروف
كل ليلةٍ أنام على ظلمتي وأعدُّ الجروح .
*بشري مسقط رأس الشاعر جبران خليل جبران، لبنان.
*قصابين مسقط رأس الشاعرة فرات إسبر، سورية.

الورقة ٢٥ - د. فوزي عساكر -لبنان
الثورة الدويهية الأدبية المهجرية
"أفكار اغترابية" قلب لبنان في جسد الإنسانية

في حين أنّ كثيرين يهجرون الوطن الصغير هرباً من ضائقة العيش، فيستثمرون في كل ما يكسِبهم المال، وهذا ليس خطأ - هناك آخرون يهجرون لبنان ليصيروا قلب لبنان في جسد الإنسانية، مع أنها ليست تجارة مربحة مالية، ولا تغني صاحبها، إنما في ثقافة لبنان، وتخلّد صاحبها، بعد أن ينسى العالم أباطرته وأغنياءه وحتّى حكامه المتسلطين.

أمام هذا الواقع، وفي معرض هذا الخيار الصعب، يبرز الكبار المميزون الذين يعيشون بعد موتهم، على أوراق كُتب النهضة والتاريخ. والأديب اللبناني العريق الدكتور جميل الدويهي، اختار بجرأته وكفاءته ووزناته السماوية، أن يعيش خالداً في كتب التاريخ المهجري، عنواناً ورمزاً لموسوعة لبنان الفكر.

الأديب الدويهي من سلالة رجالات لبنان، وكما كان البطريرك الدويهي علامة فارقة في حياة لبنان، هكذا جميل الدويهي علامة فارقة في حياة الاغتراب اللبناني.

هاجر من لبنان، ولم ينس أنه أرض الكرامة والإبداع والحرف والقديسين. وفيما كان يكتب ملحمة إبداعه المهجري، توقف قلمه عند الحرف الضائع، الذي هو الأساس في تركيب جملة الإبداع... فراح يفتش عن هذا الحرف الضائع ليكمل ملحمته، فلم يجده في أستراليا كلها. قفل ورجع إلى لبنان، إلى بلاد انطلاقة الحرف، فوجد ذلك الحرف الضائع بمريمته التي كانت

بذاتها الحرف الضائع، ومعها أكمل ملحمة الإبداع!
إنطلق الدويهي ومريمه، الزوجة الفاضلة، وكوّنا عائلة فكرية من مبدعي لبنان في المهجر الأسترالي. وكلما احتاجا إلى الأحرف الضائعة، كانا يتوجهان إلى لبنان ليجمعا أصداف موركس الفكر والإبداع، حتى غدت عائلتهما الفكرية مرجاناً وياقوتاً من لبنان والوطن العربي، على وسع مساحته الجغرافية والفكرية.
مع الدويهي نشأ مشروع الأدب المهجري الجديد "أفكار اغترابية للأديب الدكتور جميل الدويهي"، في العالم الجديد. ولا نبالغ إن اعتبرنا أن جميل الدويهي و جبران خليل جبران، أخوان من أب واحد هو لبنان، ومن أم واحدة هي الدولة اللبنانية التي تهجّر أبناءها في كل الأزمنة، وتخرب أعشاشهم، متناسية أنهم طيور بأجنحة، تستطيع أن تحلق على مساحة الكون. فكما كان جبران خليل جبران شعلة لبنان في أميركا، هكذا جميل الدويهي شعلة لبنان في أستراليا. هذا هو الأدب المهجري، أجنحة محلّقة تغمر القارات، وتنثر اسم لبنان ورود اً فوق الجبال والسهول والبحار.
مع جميل الدويهي، حضارة جديدة في العالم الجديد. خلق النادي الفكري الذي لا ينتسب إليه إلا أصحاب الكفاءة والإبداع. إنه دولة الثقافة التي تضم مبدعين من لبنان والعالم العربي، لا وزراء ونواباً ومسؤولين ضعافاً، جاؤوا مطية لمشغّليهم، يتزينون بالألقاب مع فراغ الألباب. جميل الدويهي زرع حديقته بأجمل الورود التي لا تتشابه بأشكالها، ولا بألوانها ولا بعطرها، كي تكون سيمفونية متعددة الأبعاد، تذهل القارئ سطورها و بين سطورها.
الأدب المهجري العريق، هو جامعة لبنان الفكرية الثقافية، القادمة من أرض الموهبة والإبداع. ومبدعو لبنان كالنجوم، لا حاجة لأن تقدم فيهم سيرة ذاتية مع توصية سياسية، إنما أنوارهم وحدها تشهد لهم. وما فعله الدويهي هو الإبداع بذاته، جمع النجوم ورسم حولها خطًا ليحصد مجرة النور ويكتب بها اسم لبنان.

لا أستطيع أن أقول إنّي نجمة من مجرته، كي لا أدعي أن لي فضلاً في الإشعاع والنور. ولكن أستطيع أن أقول إن الدويهي غمرني بتكريمه لي كأديب لبناني لي كتب منشورة ثمانية... حتى الآن، والعديد الآخر بعد أن يتعافي لبنان من وباء سياسة الإفقار.

غمرني الدويهي بتكريمه، فأضفى عليّ من بهاء نور معرفته وثقافته وتواضعه، فوجدت نفسي في أحضان عائلته الفكرية المهجرية، مشروع الأديب جميل الدويهي الفكري المهجري "أفكار اغترابية للأدب الراقي".

ما أجمل أن تنمو في أرض لا تمت بشمسها ومائها وترابها، وتحتفظ بعطرك، فتجمعه في قوارير الوفاء، وتنثره، مع كل العطور التي تجمعها، لتعطر الفكر البشري، فيبدع أو يقدر الإبداع!

وهكذا أنا أشعر في حديقة الدويهي، أنني تلك الزهرة الصغيرة، إحدى أصغر الزهور، في حديقة العطر الذي يحيي ويجترح الأعاجيب.

جميل الدويهي اختار الطريق البعيد والصعب. وكما في كل العصور، قدر الكبار أن تضيق بهم بلدانهم الصغيرة، التي تتزعمها الأشواك فتخنق الورود. لهذا تهجر الورود لتذكر العالم بوطن القديسين والمبدعين، وتبقى زعامة الأشواك تعيث فساداً في جسد الوطن الضعيف، وتصلب أجساد من اختاروا البقاء في حديقة الأشواك، على نار العدالة ترحم الحديقة من الحريق بفضل وجودهم بين تلك الأشواك.

جميل الدويهي اليوم، أنت جبران الأمس، وبما تحمل من أحرف الجمال في اسمك، أكمل مسيرة كتابة ملحمة الجمال، مع مريمتك والنجوم الذين جمعتهم من لبنان والعالم العربي، لأتك تقوم بكتابة سيرة لبنان الحقيقي، الذي لا تحرقه نيران حكامه، فرماده مؤهل لولادة جديدة، في كل الأزمنة.

الورقة ٢٦ - الأديبة كلود ناصيف حرب - سيدني:
أفكار اغترابيّة بيتي ومدرستي وأعتزّ بأنّني نشرت أعمالي منها

بدأت تجربتي مع مشروع الأديب اللبنانيّ المهجريّ د. جميل الدويهي، منذ عهد قريب. فقد كنت أكتب خواطر متفرّقة، وأنشرها على فايسبوك، قبل أن أنضمّ إلى المشروع، شريكة في فكرة أدبيّة مضيئة، انطلقتْ من أستراليا، بعد عودة الأديب د. جميل الدويهي من لبنان في أواخر عام ٢٠١٣. وهذه الفكرة التي توهّجت في مخيّلة الدويهي، ما لبثت أن أصبحت حركة عالميّة، تجاوزت القارّة التي نعيش فيها إلى القارّات البعيدة، وباتت أستراليا، التي كانت أدبيّاً، قارة شبه منسيّة في أقاصي المحيط، على كلّ شفة ولسان، فليس غريباً أن تصبح مدينة سيدني عاصمة للثقافة العربيّة (تعبير الناقد والأديب نبيل عودة). وليس غريباً أيضاً أن يكون "أفكار اغترابيّة" محطّ أنظار النقّاد والباحثين والمؤسّسات الثقافيّة، التي ترى في المشروع شريكاً، أو توأماً، أو صديقاً من الأصدقاء الكبار.

وأفكار اغترابيّة، هو مدرسة، ليس للأدب فقط، بل للفكر، والذوق الرفيع، والإنسانيّة المبدعة، والحوار الحضاريّ. وكتابات الدويهي كلّها تصبّ في هذا الإطار، فقد كتبَ كثيراً عن المحبّة، والعدالة، والتسامح، والإخاء الإنسانيّ... غير أنّ كتاباته ليست جافّة، بل أدبيّة راقية، ذات شعريّة أخّاذة... فتحوّل النثر عنده إلى حديقة ملوّنة، فيها من كلّ أنواع الزهور والنباتات. والذي يتصفّح أعمال الدويهي يجد فيها متعة سحريّة، فتجذبه العبارة، والتركيبة السهلة الممتنعة، والنصّ الهادف. فليس عند جميل نصّ ليست له غاية. ولا نعثر على ترف عنده، فهو يعتبر أنّ للأديب رسالة. يقول:

"الشاعر الذي لا يشعر بآلام الناس ليس شاعراً... والمبدع الذي لا يفهم أنّ الكلمة حقّ وعدالة ليس مبدعاً... والكاتب الذي يبيع ضميره من أجل حفنة من المال... ويتمسّح على أبواب القصور من أجل وسام أو رتبة فارس... لا هو فارس ولا هو يستحقّ أيّ وسام. والمفكّر الذي يتجاهل صرخة الشعب ويصغي لصوت النظام هو خارج على قوانين الفكر... ولا ينتمي إلى محيطه".
فكيف لا ينتمي أحدنا إلى هذه المدرسة؟ وهل هناك أشرف من يكون الإنسان شاعراً، ومفكّراً إنسانيّاً في الوقت ذاته؟
وهل يمكنني أن أبتعد عن مدرسة الإبداع الحقيقي، التي تعتبر الأدب منصّة للتبشير والرقيّ الحضاريّ، وكُتُب الدويهي "في معبد الروح"، "تأمّلات من صفاء الروح"، "رجل يرتدي عشب الأرض"، هكذا حدّثتني الروح"، "بلاد القصرين"، "الذئب والبحيرة"، "طائر الهامة"، و"حدث في أيّام الجوع"... هي صرخات من أجل الحقّ والعدل واحترام الروح الإنسانيّة؟
كيف لا أنضمّ إلى مَدينة، وإلى عدّة شعراء وأدباء يسيرون على الأرض، ويرفعون رؤوسهم إلى سماء النبل الإنسانيّ؟
وعليّ هنا أن أشرح كيف أنّ الرجل يكون عدّة رجال في وقت واحد، وأستخدم المقارنة التي قد تكون ثقيلة على السمع أحياناً، لكن لا بدّ من قول الحقيقة، مهما طال الزمان. وسيكون غريباً فعلاً، وخارجاً على المألوف، أن نتجاهل ظاهرة التنويع التي اختصّ بها الدويهي وحده، فيما كثيرون يكتبون نوعاً واحداً لا يحيدون عنه. فالطموح الدويهي أبعد من النوع، وهو لا يركن ولا يهدأ، بل يسهر الليالي الطوال، ويكتب كلّ يوم بطريقة مختلفة، حتّى أثار العجب، وأطلق ثورة عارمة على الجمود، فاستحقّ لقب العبقريّ اللبق الذي وصفتُه به، وعبقريّته تأتي من الفرادة، ومن تحليقه في سماء عالية بجناحين لا ينكسران ولا يتعبان.
ولكي لا يقال إنّني أتحدّث بعاطفة، ألفت النظر إلى موقع "أفكار اغترابيّة"على الإترنت، وفيه العشرات من كتب الدويهي، تتوزّع بين

الرواية، والقصّة القصيرة، وأدب الأطفال، والفكر، والدراسة الأكاديميّة، والشعر بأنواع ثمانية، والتأريخ، وباللغتين... وكلّها تثبت صحّة ما أقول، وتدلّ على غنى غير مألوف، وتميّز حقيقيّ من غير ادّعاء... والحقيقة عندما يعلنها الدويهي لا يخجل بها، ولا يعتبرها من سمات التعجرف أو الغرور، فاسمعه يقول: "عندما يعرض إنسان إبداعه أمام الآخرين، فإنّه يمجّد عمل الله فيه، ولا يتقصّد الإيذاء والضرر... فاللصوص والكذبة، وشاهدو الزور، ونابشو القبور لا ينشرون بضاعتهم في عين الشمس، بل يحجبون أفعالهم لكي يشعروا بالأمان. أمّا صانع الجواهر، والرسّام، والشاعر، والنحّات، والخيّاط فإنّهم يعرضون أعمالهم بفرح، ولا يخافون من العقاب، بل ينتظرون من الناس أن يغتبطوا بأعمالهم ومآثرهم". من هذه الفكرة، التي يعارض فيها الدويهي أولئك الذين يطلبون من المبدع أن يختبئ، أو أن يطفئ قناديله المشعّة، ويقارع مَن يجهدون لتحييد الأنظار عن المنجزات الرفيعة، قرّرت أن أكون جزءاً من مشروع "أفكار اغترابيّة" للأدب الراقي، الذي أعتبره الآن بيتي الثاني، وأهلي وعشيرتي. وفيه التقيت بأصوات إبداعيّة هيّأ لها المشروع طريق الظهور والتألّق. وقد دخل إلى المشروع كثيرون، فنشروا أعمالهم، وشاركوا في الأمسيات والمهرجانات الكبرى، ثمّ أنشأوا حالات خاصّة بهم. وهذا لا يهتمّ به الدويهي، لأنّه يؤمن بحرّية الرأي والتفكير والاختيار. وبقينا نحن الملتزمين بفكرة، والمخلصين لأديب مختلف، فحضورنا في أفكاره ليس عابراً، بل نحن نعبر معه إلى آفاق جديدة، وإلى رؤية أدبيّة لا تقوم على التقليد والتكرار المملّ، والنوع الواحد. وهو يحترم مَن يكتبون نوعاً واحداً، وفي الوقت نفسه لا يجد عيباً في أن يطوّر الأديب نفسه، ويطرق أبواباً أخرى، ويغيّر ثيابه بحسب الفصول والشهور. وإنّني أكتب نوعاً واحداً، هو النصّ الشعريّ العامّيّ، ومثله الفصيح، إلى جانب النقد الأدبيّ أحياناً، تحت أنظار الأستاذ الدقيق والمعياريّ... والدويهي يمدّ لي يد المساعدة، ويقدّم لي النصح، ويلفتني إلى

الصور والتراكيب والرموز التي ترفع النصّ إلى مستوى مرموق... وبكلّ صدق وشفافيّة أعترف بأنّ "أفكار اغترابيّة" هو الذي قدّم إليّ مفتاح الدخول إلى عالم الأدب، ولولاه لما كنت أقدمت على أيّ خطوة مهمّة في هذا المجال. فقد أشركني الدويهي في مهرجاناته الكبرى، في سيدني وملبورن، وكان وقوفي على المسرح في احتفاليّات الدويهي، كمقدّمة ومشاركة في الإلقاء من نصوصي ونصوصه أيضاً... وأسمّيها مهرجانات لأنّها مختلفة عن الأمسيات الأدبيّة التي تقام عادة، من حيث التنظيم والترتيب، والحضور الكثيف، والفعاليّات الأدبيّة والفنّيّة... والأهمّ أنّ الدويهي يقدّم كلّ سنة مجموعة كبيرة من كتبه هدايا مجّانيّة إلى الحاضرين. وليس غريباً أن يحدث هذا التطوّر في حركة الأدب المهجريّ في أستراليا، نهضة عالية الهمّة. وفي اعتقادي أنّ الجميل مشروع عمل متواصل، لا دعائيّ، ولا ادّعائيّ، كما هو يعترف بأعمال الآخرين، بشرط أن تكون أعمالاً جليلة، تليق بالمؤسسات، بل تليق بمن يقودون المدارس والمنتديات والمذاهب الأدبيّة.

من خلال معرفتي بالأديب الدويهي ومشروعه المضيء، لاحظت أنّه يرفض المساواة في الإبداع، من أجل تأسيس حالة أدبيّة مغايرة لما هو مألوف، فعلى الرغم من أنّ الدويهي مفكّر إنسانيّ، يؤمن بالقيَم النبيلة، والمساواة من بينها، فهو يعتبر أنّها أساءت إلى الحركة الأدبيّة، وأحبطتها... وقد أثبتت أعمال الدويهي المختلفة الأنواع نثراً وشعراً وفكراً وتأريخاً وباللغتين... واقعاً جديداً، وفتحت العيون في أصقاع الأرض على أدب جديّ وفاعل، ينطلق هذه المرّة من القارّة الأستراليّة، يطبعه التنوّع الفريد، وهو غير مسبوق في أيّ حالة أدبيّة مشابهة. من هنا أهمّيّة المشروع، وخصوصيّته... وببساطة هو بذرة قد تنتج أو لا تنتج، ولكنّه قدوة يمكن الاهتداء بها، في كلّ الأقطار، إلى واقع أدبيّ وثقافيّ رائد. كما هو دعوة إلى الأدباء في جميع الأمكنة لكي يخرجوا من النمطيّة إلى عالم أوسع، فليس من أحد عاجزاً عن التعلّم وتطوير نفسه. وإذا كان هناك من

يقولون: إنّ الأدب من نوع واحد يعيش، فالدويهي يقول إنّ الأنواع المتعدّدة تعيش أيضاً، وتترافق، وتضيء أكثر...
وكانت رحلتي بين "أفكار اغترابية" و"بستان الإبداع" الصفحة الإبداعية التي أنشأتها في عام ٢٠٢٠ - وهما حال واحدة- رحلة غنية وخصبة، فقد انتقلت من إعلامية إلى أديبة، وتوّجت رحلتي في الإعلام بين لبنان وأستراليا بنقلة نوعية، غيّرت حياتي، وجعلتني أنظر إلى نفسي في مرآة الأدب بجدّيّة واهتمام. ولست وحدي ممن استفاد من مدرسة الدويهي، بل جامعته السامية، فهناك العديد من المبدعين الذين نشروا أعمالهم من خلال مشروعه، فسهر عليهم، وساعدهم، وقدم لهم ساعات وساعات من العمل التطوعي، فقط من أجل الحضارة والإنسانية.
وأعمال الدويهي مشرقة كالشمس، وقد بلغ ما كتب عنه منذ عام ٢٠١٤ أكثر من ١٧ كتاباً. وأخذ على عاتقه طباعة كل كتاب ينشر عن "أفكار اغترابية"، وما أظهره من إبداعات، على نفقته الخاصة، وهذا دليل على أنّه لا يأبه بالمال، بل يهتم بالإبداع، ويعطي أولويّة مطلقة لأدب اغترابي من أستراليا إلى العالم، ونحن معه... ومن جهتي، فإنني أعتز بأنني نشرت من أفكار اغترابية، وتحت مجهر الدويهي، مجموعة كتب: "كلمات من أعماق الحب"، "عيناك مرفأ لحنيني"، "نغمات على قيثارة الحنين"، "بدموع الورده كتبتلّك: وهيك بحبّك"، "وقائع الجلسة الحوارية حول كتابي كلمات من أعماق الحبّ"، "جميل الدويهي عبقري لبق عميد أدب المهجر"، "هذا الأديب من بلادي... كتبتُ عن جميل الدويهي"، "حروف لا تموت - كتبوا عن سيدة الحنين كلود ناصيف حرب"، وفي الجعبة أيضاً "قمر البحيره سهران ناطر مواعيدي"... وقد منحنى العبقري اللبق لقب "سيدة الحنين" وحصلت على النسخة الأولى من جائزته الإبداعية، وهما أيقونتان أعتز بهما ما حييت، كما لقّبتُه بالعبقريّ اللبق، وعميد أدب المهاجر، لأنّه يستحقّ فعلاً كلّ تقدير وتكريم.

الورقة ٢٧ - الدكتور كلوفيس كرم - أميركا:
ما تقدمونه في حقل الثقافة والإبداع
خدمة للبنان والانتشار وللأمة العربية جمعاء

قلائل هم اليوم الذين يتذكرون رمزية قصة ابنة ملك صور أوروبا "المخطوفة" وأخويها قدموس وفينيكس. أوروبا ما زالت حية وقلم قدموس ما زال يحفر الحرف إبداعاً وجمالاً.

أوروبا اليوم هي "أفكار اغترابيّة" تتمثل بجمال وبهاء الشمس الطالعة من فوق جبال لبنان، وقدموسها د. جميل ميلاد الدويهي الذي أبى إلا أن يعود بأخته المخطوفة أوروبا - "الغربة"، شمس الكلمة الحرة إلى شواطئ صور العصية على نبوخذنصر، والاسكندر المقدوني، وداريوس الفارسي، وإلى ربوع العز وبيادره في كل أرجاء الوطن.

"أفكار اغترابية" ربانها دويهي قدموسي يرجع إلى شواطئ الوطن، من غربة طويلة وأليمة، بسفينة محملة ومثقلة بأرجوان الشعر وأجاجين نور وحبر حرّية. بحارتها جبابرة من بلادي وعمالقة مردة حوّلوا أقلامهم إلى مجاذيف حالمة، ونثروا على الموج أشعاراً وصواري، صلاةَ توبة وعودة، وهتفوا للريح الطالع من جوف البحار: هلمّوا ليوم الحصاد، إلى موطن الجمال والغلات، إلى حضن بلادي المجروح، إلى بيادر العز والكرامة.

د. كلوفيس يوسف كرم فخور بأن يكون من بحارة سفينة الاغتراب، سفينة "أفكار اغترابية"، السفينة التي تعود إلى الوطن بالثقافة "المخطوفة"، بأوروبا الجميلة مع قدموسها الكبير، مع الدويهي...

زغرودة أدبية كزغرودة بنات جبيل في يوم قيامة أدونيس مع طلوع الفجر...

وسيقوم من سُباته مهما طالت الأيام ودار الزمن، وما دام في لبنان حبر وقلم.
باسم اللجنة الثقافية التي أترأسها في الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم، أتقدم من صاحب مشروع النهضة الاغترابية الثانية الدكتور جميل الدويهي الإهدني وكوكبة أدباء المهجر الجديد، بأحر التهاني لما يقدمونه في حقل الثقافة والإبداع، خدمة للبنان والانتشار وللأمة العربية جمعاء. أخذ الله بيدكم د. جميل، مع أمل اللقاء بكم حالما تسمح الظروف، لتقديم جائزة "قلم قدموس" لكم، باسم الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم . والله وليّ التوفيق.

الورقة ٢٨ -المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات - سيدني

تطمح المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات لأن تكون ساحة حوار ثقافي فكري، تطرح فيها كل المعتقدات والإيديولوجيات، لتتفاعل في ورشة من التداول والنقاش المنفتح على مختلف الآراء والتطلعات. فما كان هواجس لمجتمعنا المشرقي، يتحول إلى قناعات وضمانات تدرأ عن شبابنا شر التشرذم والتشتت والضياع. إنها ورشة تعتمد كل أساليب التفاعل الحضاري وصولاً إلى ترسيخ نمط عيش مشترك يحافظ على تنوعه وغناه الفريد.
لقد حبانا الله برسالات سماوية وكنوز طبيعية ومقدرات عقلية أهّلتنا لريادة كونية، فأطلقنا الحرف وابتدعنا الرقم، ووضعنا أسس العلوم المادية، وألهمنا العالم مفاهيم الإنسانية الحقة.
انطلاقاً من هذه الوقائع، تداعت نخبتنا المنتشرة في أستراليا، لتأسيس جمعية "المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات" ومن دير مار شربل تحديداً، وعلى جدول أعمالها تحقيق الأهداف التالية:
• تعزيز الروابط الثقافية بين المجتمع اللبناني وكل المجتمعات الأخرى انطلاقاً من الحضور الاغترابي.
• تنمية العلاقات الشبيبية وتعزيز أطر التلاقي وتقديم نموذج تعايشي بين الطوائف والمذاهب والأديان.
• تنظيم ندوات ومحاضرات وتظاهرات فكرية وفنية وأدبية وعلمية (تظهر هويتنا المشرقية المتميزة والسباقة).
• مواكبة ورشة التلاقي الشرق أوسطي، وتخصيص حضورنا في دول العالم حيث هناك جاليات لبنانية وعربية لها نشاط مكثف، يشمل النواحي

الثقافية والعلمية والبيئية.
• وضع خطة عمل تهدف الى توأمة الجمعيات والنوادي والهيئات، خاصة الإعلامية منها مع مثيلاتها في دول العالم، خصوصاً تلك التي تشهد حضوراً لبنانياً ومشرقياً باراًا.
• إيلاء المواطنية اللبنانية الأهمية اللازمة وتشجيع الشبيبة اللبنانية الأصل على استعادة دورها الوطني من خلال تثبيت حضورها الفاعل في ورشة إعادة النهوض بلبنان والسير به في ركب الحضارة العالمية.
للقيام بهذه الورشة والاضطلاع بحسن تفاعلها تشكّلت "المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات" من شخصيات دينية، تربوية، فكرية، علمية، إقتصادية، نقابية، إعلامية وفنية... على مستوى يؤهلها لخلق مناخ استيعابي يتناسب وطموحاتها.
فمنذ سنة ٢٠١٧ بدأنا بتنظيم اجتماعات مكثفة ولقاءات على المستوى الروحي والثقافي والفني والاجتماعي، وعقد لقاءات روحية مع كل المرجعيات الدينية، إسلامية ومسيحية.
وعلى المستوى الفني، شاركنا المؤسسات الأسترالية العربية للموسيقى في نشاطاتها الفنية. وعلى المستوى الثقافي، شاركنا مشروع "أفكار اغترابية" لمؤسسه الدكتور والاديب جميل الدويهي في كل النشاطات والأمسيات الأدبية الحاشدة في أستراليا ولبنان، وكانت لنا كلمات في عدة مهرجانات أقامها مشروع "أفكار اغترابية في سيدني"، كما شارك وفد من "المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات" في حفل تكريم الأديب د. جميل الدويهي في ملبورن، ٣٠ أيلول ٢٠١٨، بحضور القنصل العام اللبناني د. زياد عيتاني، كما شارك وفد من المؤسسة في أول زيارة يقوم بها وفد أدبي من مشروع "أفكار اغترابية" إلى كانبرا، بدعوة من الصديق الأستاذ محمد برجاق منسق تيار المستقبل، في ٤-٣-٢٠١٩، حيث تم تكريم أدباء من سيدني بدروع تقديرية.

وشاركت المؤسسة أيضاً في حفل تكريم الأديب د. جميل الدويهي في سيدني، ٤ نيسان ٢٠١٩، من قبل لجنة خاصة، برعاية النائب من أصل لبناني د. جهاد ديب. وكذلك في حفل "قصائد للبنان"، ١٣ تشرين الثاني ٢٠١٩، الذي دعا إليه مشروع "أفكار اغترابية"، حيث ألقى شعراء قصائد للبنان تحت علم وطنهم الواحد والجامع.

وكان الحدث الأهم على الصعيد الثقافي التحضير وإنجاح زيارة الوفد الاغترابي إلى لبنان في آب ٢٠١٩ ، حيث توجه رئيس المؤسسة الأستاذ جوزيف سكر والأديب د. جميل الدويهي على رأس وفد اغترابي ثقافي من مختلف القارات إلى لبنان، وكانت لنا عدة لقاءات إذاعية وتلفزيونية، وأقيمت للوفد تكريمات في مختلف المناطق اللبنانية، واستضافت بلدية سن الفيل حفلاً كبيراً، رعته وزارة الثقافة اللبنانية، وبتنظيم من نادي الشرق لحوار الحضارات في لبنان، حيث قدم الأديب الدويهي جائزته الإبداعية إلى ٢٠ أديباً ومبدعاً من لبنان والعالم.

وكانت الزيارة التاريخية للوفد المشترك بيننا وبين "أفكار اغترابية"، تحت مظلة التوأمة بين مشروع الأديب الدويهي ونادي الشرق لحوار الحضارات. وهي توأمة مباركة، لما بين المؤسستين الكبيرتين من قواسم مشتركة، أهمها الحوار الحضاري والتلاقي بين مختلف الثقافات، ومد الجسور بين لبنان المقيم ولبنان المغترب.

وشاركت المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات أيضاً في العديد من الأمسيات والنشاطات الثقافية، وكانت لها كلمتها في تلك الفعاليات، إضافة إلى حضور ندوات للمنتدى الثقافي العربي في سدني، والمشاركة والحضور وتشجيع إصدارات كتب الأدب للعدد من المبدعين في الجالية في سيدني.

وعلى المستوى الرسمي قامت المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات بزيارات وتبادل الآراء من أجل دعم لبنان إلى كل من السفير اللبناني ميلاد

رعد في كانبرا والقنصل العام في سدني شربل معكرون.
منذ تأسيس المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات ونحن نعمل يداً بيد من أجل نشر ثقافة الحوار وقبول الآخر، بعيداً عن الشعائر الدينية والسياسية. أكثر من ثلاث سنوات مضت ونحن نسعى سوياً الى إحياء الأمل والوقوف مع أهلنا وإخوتنا في لبنان لنساهم معهم في تفعيل دور الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية بهدف تعزيز وتطوير آليات الحوار، والسعي لحل الخلافات والنزاعات واحترام حرية الرأي والمعتقد بين مختلف مكونات المجتمع الأسترالي واللبناني لما فيه الخير العام والمصلحة الوطنية.
لقد تمكنا سوياً من تحقيق العديد من الأهداف المباشرة وغير المباشرة، ولعل أبرزها ما تم تحقيقه في لبنان من نشاطات أدبية واجتماعية، والمساعدات المادية التي قدمتها جمعيتنا بهدف دعم العائلات التي تضررت جراء انفجار مرفأ بيروت.
ولقد وضعنا خطة عمل سنعمل بها معا يداً بيد لكي نرفع اسم الجمعية عالياً ونحقق أكبر عدد ممكن من الأهداف. وتتضمن خريطة العمل عدة نقاط أهمها: إنشاء مركز للجمعية، والتحضير لحفل سنوي، وإطلاق منشور أو كتيب خاص بنشاطات الجمعية، وإنشاء موقع الكتروني خاص بها. والعمل على تكريم شخصيات فنية وثقافية بارزة في أستراليا ولبنان، وللتحضير لماراتون سيدني بالتنسيق مع ماراتون بيروت ونادي الشرق لحوار الحضارات، وتأسيس مجلس أمناء، والتحضير لزيارة وفد شبيبة أسترالي إلى لبنان، واستقبال وفد نادي الشرق لحوار الحضارات من لبنان، وإقامة حفل أنزاك داي، ويوم تعارف للعائلات. ولعل أهم مشاريعنا المستقبلية هو غابة أرز الرب في جبال سدني Blue Mountains من ضمن مشروع "أرز الرب أرز لبنان في كل البلدان". ويتم التحضير لهذا المشروع من خلال تشكيل لجنة تضم فعاليات من الجالية اللبنانية وبمساعدة لجنة أصدقاء غابة الأرز في لبنان.

كما يجري العمل على إقامة مباراة في الشعر العربي، يشرف عليها رئيس اللجنة الثقافية الأستاذ رجب سليمان. وسيتم الإعلان عنها في كافة الوسائل الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي.

رئيس المؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارات: جوزيف سكر

نائبة الرئيس؛ فدوة كبة

أمين السر: محمد الديراني

أمين الصندوق: رفيق الشامي

ورؤساء اللجان والأعضاء في مجلس الأمناء والمستشارون.

الورقة ٢٩ -المركز العربي الأميركي للثقافة والفنون -ديربورن أميركا
جسر ثقافي عربي

ليس غريباً أن تُسمّى مدينة ديربورن، في ولاية ميشيغان الأميركية، بالعاصمة اللبنانية أو حتى العربية، في الولايات المتحدة الأميركية. فقد تكون هذه المدينة، التي يتشكل غالبية سكانها من المهاجرين العرب، المدينة الأميركية الوحيدة التي لا تحتاج إلى التحدث فيها باللغة الإنجليزية من أجل قضاء حوائجك. فأينما تجولت في شوارعها تجد أسماء المحلات والمتاجر والمكاتب والعيادات الطبية والمختبرات مكتوبة أيضاً باللغة العربية. وفي ديربورن أيضاً تشعر وكأنك في قرية من قرى لبنان، أو أي بلدة عربية أخرى. فالناس هنا أحضروا معهم، من حيث هاجروا، عاداتهم وتقاليدهم ولم يتخلوا عنها، رغم مرور أكثر من قرن من الزمن على تواجدهم هنا.

مدينة ديربورن تختصر قصة نجاح المهاجرين، الذين وفدوا إليها في البدايات للعمل في مصانع فورد للسيارات. الصورة الآن باتت أوسع بكثير. وحكاية النجاحات باتت مثيرة للدهشة والإعجاب. قد يتفاجأ الزائر بالأعداد الكبيرة من الأطباء والمحامين والقضاة من أصول عربية. حتى أن معظم المستشفيات الكبيرة في المنطقة تغص بالكثير من هؤلاء الأطباء. كما قد يتفاجأ الزائر بأنه يندر وجود مؤسسة إدارية أو سياسية أو إدارة رسمية في المدينة إلا وفيها واحد أو أكثر من الأجيال الجديدة من أبناء المهاجرين العرب وأحفادهم. فرئيسة المجلس البلدي في ديربورن مثلاً هي من أصل لبناني. ولا يغيب عن البال أن نذكر أن المدينة أصبحت مقصداً للكثيرين

ممن يتدفقون عليها من مدن وولايات أميركية أخرى ليتسوقوا من متاجرها ومحلات الحلوى اللبنانية الشهيرة، أو ليتذوقوا من مطاعمها أشهى المأكولات اللبنانية واليمنية والعراقية والسورية.
هذه المدينة، تشتهر أيضاً بالكثير من المؤسسات العربية الثقافية والدينية والإجتماعية. ومن أشهر معالمها المتحف الوطني العربي الأميركي، الذي يُعتبر المتحف العربي الوحيد في الولايات المتحدة الأميركية. ولقد بات في ديربورن معلم ثقافي آخر، إنطلق خارج حدود المدينة والبلد بكامله ليصل إلى حدود الكون القصية. إنه المركز العربي الأميركي للثقافة والفنون.
هذا المركز أعلن عن ولادته قبل أكثر من أربع سنوات، وبالتحديد في العشرين من شهر نيسان (أبريل) ٢٠١٧، تيمناً باليوم نفسه الذي تأسست فيه بشكل رسمي في مدينة نيويورك الرابطة القلمية، رابطة جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة... وغيرهم، وذلك سنة ١٩٢٠. وكانت البدايات في إطلالات متواضعة عبر المنتدى الثقافي في ديربورن والميكروفون المفتوح في ديربورن. وبعد قمنا بتأطير هذه الأنشطة من خلال تأسيس هيئة موسعة، هي هذا المركز، الذي نحتفل اليوم بذكرى ولادته الرابعة.
المركز العربي الأميركي للثقافة والفنون هيئة ثقافية عربية فاعلة، مقرها في مدينة ديربورن بولاية ميشيغان الأميركية. ونسعى من خلال أنشطتنا الثقافية إلى مد جسور التواصل بيننا وبين الشخصيات الفكرية والأدبية، والمنتديات والهيئات الثقافية في مختلف الدول، العربية وغير العربية، لإقامة تعاون بناء يجمعنا معاً، غايتنا الوحيدة تعزيز الثقافة العربية، وإبقاء تراثنا العربي، لغة وثقافة، حياً وفاعلاً ومؤثراً، والحفاظ على هويتنا العربية. ففي نهاية الأمر، هويتنا هي نحن. وإذا خسرناها خسرنا أنفسنا. ولا بد أن نتذكر على الدوام أنه لا يفيدنا في شيء أن نربح العالم كله ونخسر أنفسنا. إننا نعمل بجد وجهد حتى لا تنسى أجيالنا الجديدة لغتنا الأم، ونصوّب نحو

تراثنا الجميل والرائع كي لا يضيع.
صحيح أننا احتفلنا قبل عدة أشهر بالذكرى السنوية الرابعة لانطلاقتنا. لكننا كبرنا كثيراً في سنوات يسيرة. وقامتنا باتت شامخة تكاد تطاول السحاب. وساعدنا في ذلك فضاء إفتراضي مفتوح، مكّننا من إنجاز ما لم يكن ممكناً، أو ما لم يخطر ببالنا من قبل. وها نحن الآن يُشار إلينا بالبنان. ولو جربتم البحث عبر محركات البحث الإلكترونية عن الرابطة القلمية أو مؤتمر وادي الحجير على سبيل المثال، لكان اسمنا في الطليعة. بحوزتنا، أيها الأحبة، آلاف عدة من تسجيلات الفيديو للأنشطة التي قمنا بها، يمكنكم مشاهدتها عبر صفحتنا في اليوتيوب أو الفايسبوك.
قبل انتشار وباء كورونا كنا ننظم نشاطاً ثقافياً وفنياً كل أول أربعاء من كل شهر، وذلك في مسرح المتحف العربي الأميركي في ديربورن. لكن الوباء، رغم أنه زعزع أركان الدنيا بأسرها، فتح لنا فضاء وسيعاً نطل به على الكون كله. وقد اتسع نشاطنا بشكل ملحوظ. إذ صرنا ننظم، إضافة إلى ندوة الأربعاء الشهرية، أمسيات شعرية وثقافية متنوعة كل يوم سبت من كل أسبوع تقريباً.
ومن الإنجازات الرائعة التي حققناها حتى الآن، أننا استطعنا تنظيم أمسيات شعرية وندوات ثقافية على الهواء مباشرة من ثماني عشرة دولة عربية هي التالية: لبنان، سوريا، فلسطين، العراق، الأردن، الكويت، المملكة العربية السعودية، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، سلطنة عمان، اليمن، جمهورية مصر العربية، السودان، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، وليبيا. ولا يتبقى أمامنا لإكمال العقد العربي سوى أربع دول هي قطر وجيبوتي والصومال وجزر القمر. ونتمنى التواصل مع شعراء ومثقفين من هذه الدول. ولا ننسى أن نذكر أيضاً أننا نظمنا أمسيات شعرية مباشرة من أوستراليا. كما أقمنا احتفاليات ثقافية في الذكرى المئوية لولادة الرابطة القلمية، والذكرى المئوية لمؤتمر وادي الحجير، وحول الشيخ

خليل بزي، وفي ذكرى رحيل الفنان الياس الرحباني، وتحية حبّ لبيروت على أثر انفجار المرفأ فيها، وتحية حبّ لفلسطين وللسودان.
كما نظمنا ندوات فكرية متسلسلة تحت عنوان الهوية العربية، باللغتين العربية والإنكليزية، استضفنا فيها العشرات من المفكرين العرب في الوطن العربي وفي المهجر، أبرزهم الدكتور زيد الفضيل، والبروفسور طارق العريس، والدكتور طارق رمضان، والدكتور مصطفى تاج الدين، والأستاذ عون جابر، والدكتور هاني بواردي، والدكتور أحمد سالي، وأحمد سعد زايد، والدكتور عبد الله السيد، وأسامة السبلاني .
ولعل من أبرز الشعراء والمفكرين والفنانين العرب الذين استضفناهم في نشاطاتنا نذكر: الشاعر والمفكر المغربي الدكتور محمد بنيس، الشاعر اللبناني العربي الدكتور محمد علي شمس الدين، فنان الشعب ابن البلد أحمد الزين، الشاعر السعودي الكبير جاسم الصحيح، الفنان اللبناني جورج خباز، الشاعر اليمني ياسين البكالي، المخرج الكبير روجيه عساف، والإعلامي الكبير الدكتور سامي كليب، ومن مصر الدكتور جمال مرسي، والدكتور شكري صابر، والدكتور وسام المليجي، وأماني حسان، ومن الأردن الدكتور حكمت النوايسة، والدكتورة مها العتوم، والدكتور راشد عيسى، وعلي الفاعوري، ونادیا حمدان، ومن عمان عائشة السيفي، ويوسف الكمالي، ومهدي اللواتي، والدكتور مشهور العصفور، ومن أستراليا الدكتور جميل الدويهي، ومريم رعيدي الدويهي، ومن تونس المنصف الوهايبي، وأمال موسى، ومحمد الغزي، ومن سوريا إباء إسماعيل، ومردوك الشامي، وديمة قاسم، وحسن الراعي، وصفاء رزوق، ومن الإمارات شيخة المطيري، وأحمد محمد عبيد، ونجاة الظاهري، والدكتور طلال الجنيبي، ومن لبنان الدكتور نبيل الخطيب، والدكتور حسن بزي، ووسام شرف الدين، وكامل بزي، ورائد شرف الدين، وعدنان بيضون، وعباس الحاج أحمد، ومحمد فرحات، ومحمد البندر، وأحمد وهبي، وعلي

دهيني، والدكتورة كريستين عجروش، وحنان فرفور، وأسيل سقلاوي، وسارة الزين، والدكتورة يسرى البيطار، وحنان شرارة، وآيات جرادي، وزينب عقيل، وفاطمة الساحلي، وتنديار الجاموس، وسوسن بحمد، وهيفاء الأمين، وكميليا يوسف، ومصطفى سبيتي، وفاروق شويخ، وبلال دياب، وأنطوان سعادة، والدكتور سلطان ناصر الدين، والدكتور مهدي منصور، وحسن الرفاعي، وحسن المقداد، والدكتور داود مهنا، وفؤاد دهيني، والدكتور هاشم نور الدين، وخليل عاصي، وابراهيم شحرور، ومارون أبو شقرا، ومارون الماحولي، ونعمان الترس، والدكتور عدنان جابر، ومحمد حمود، وياسر سعد، وعلي جواد، والدكتور عباس يوسف، وعبد النبي بزي، والدكتور يحيى الشامي، والدكتور محمد مسلم جمعة، والدكتور قاسم سمحات، ووليد مرمر، والدكتور علي حسن، وعلي السيد، ومايكل إبراهيم، وزياد نصر، وناصر الحاج، وهادي الدبق، وعلي الأتات، وفيكتور غنام، ونبيل حمود، وجمال بيضون، وصبحي سعد، ومحمد شرارة، ونبيل الشعار، وحسين هاشم، وزياد عقيقي، وندى أبي حيدر طربيه، والدكتورة إنعام الأشقر، والدكتور وجيه فانوس، وعلي سليمان، والدكتورة أميرة عيسى، ومحمد الديراني، وكيلدا عيد، والدكتور عماد برو، ونديم شعيب، وجوزف عون، ويوسف قانصو، ووليد مرمل، وصبحي غندور، والدكتور نسيب فواز، والدكتور كمال شهيب، والدكتور علي الطقش، ورامي كنعان، ومريم خريباني، ويوسف زرقط، وسليم علاء الدين، والدكتور علي بري، ومروان فرج، والدكتور علي حرب، والدكتور رامز الحوراني، والدكتور عبد الكريم قبلان. ومن البحرين آلاء الغريفي، وناصر زين، وعلوي الغريفي، وأحمد العلوي، والدكتور قاسم عمران. ومن الجزائر الدكتورة زينب الأعرج، ومحمد أمين حجاج، وسمية محنش، وبشير غريب. ومن العراق الدكتور عبد الإله الصائغ، وعلي السندي، ومصطفى العمري، والدكتورة لبنى الجادري، والدكتور ناصر الحجاج،

والدكتور فارس التميمي، وإسراء العكراوي، وخالد الحسن، ونجاح العرسان، وأسامة جمال الدين، وعلي أديب، والدكتور عباس كاظم، والدكتور قاسم عمران، وجليل خزعل، ومهدي البابلي، والدكتور فائق الأسدي، وقحطان المندوي، ويوسف القاموسي، والمصيفي الركابي، وجابر الشكرجي، وعماد القاموسي، والفنان نشوان فاضل، والفنان خالد قمر، والدكتور صبري مسلم حمادي، والدكتورة وجدان الصايغ، وروجيه إيلياز. ومن السعودية يحيى العبد اللطيف، وحوراء الهميلي، وحبيب المعاتيق، وأمير المحمد صالح، وناجي حرابة، وإبراهيم حلوش، وتهاني الصبيح، وكاظم علي الخليفة، والدكتور رضى المبيوق. ومن السودان إبتهال تريتر، وأسامة تاج السر، ومناهل فتحي حسن سالم، والواثق يونس، وزكريا مصطفى أحمد الحسن، والدكتور محمد عبد الواحد، وبحر الدين عبد الله، وأسامة سليمان، وعماد البليك. ومن موريتانيا السفير محمد ولد الطيب، والدكتورة مباركة بنت البراء، وجاكيتي الشيخ سك. ومن الكويت الدكتور عبد الله السقاي، والدكتور محمد الصايغ، وحسين العندليب، وهاشم الموسوي، والدكتور عبد العزيز القطان، ومن فلسطين الدكتور هاني بواردي، وعامر زهر، وإسماعيل نور، وأحلام أكرم، وبشير شلش، ومروان مخول، وعفاف خلف، والدكتور عماد شبلاق. ومن اليمن علي بلعيد، وشايف الزوقري. ومن ليبيا غادة البشاري، والدكتور جمعة الفاخري، والدكتور جمعة عبد العليم، وعمر عبد الدائم.

إننا إذ ننظر الآن إلى أكثر من أربع سنوات مضت، نشعر بالفخر والدهشة على حد سواء. فخر بما تم إنجازه. ودهشة لأن حجم هذه الإنجازات أكبر بكثير من عمرنا الزمني. كأننا لسنا أبناء سنوات أربع، وإنما أربعين سنة.

وفي هذا الإطار نوجّه نداءنا الحميم إلى الأدباء والمفكرين العرب، والمنتديات والهيئات الثقافية، كي نتواصل معاً، لنشبك أيدينا وقلوبنا وهممنا، ونعزز مكانة اللغة العربية وآدابها حيث نكون. ولنضع في اعتبارنا

قناعة مفادها: إذا كانت السياسة عامل تفرقة، فإن الثقافة عامل جمع. فتعالوا إلى الثقافة. إن منصتنا الإفتراضية هي منبر مفتوح للمثقفين العرب أينما كانوا. تواصلوا معنا، ففي جعبتنا الكثير الكثير.

وأختم بالتعريف بهيئتنا الإدارية التي تتكون من: السفير الدكتور علي عجمي رئيساً، العميد السابق لكلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية الدكتور نبيل الخطيب نائباً للرئيس، السيد وسام شرف الدين أميناً للصندوق، السيدة حنان شرارة أمينة للسر، إضافة إلى الأعضاء: الدكتور هاني بواردي، الشاعر علي السندي، الأستاذ عبدالله العوامي، الدكتور وسام المليجي، السيدة إكرام زرقط، والأستاذ علي أديب.

وفي النهاية نقول: إذا كانت مدينة ديربورن عي العاصمة اللبنانية أو العربية في الولايات المتحدة الأميركية، وإذا كان المركز العربي الأميركي للثقافة والفنون معلماً جميلاً من معالمها، فلدينا طموح جدي كي نجعل من هذه المدينة عاصمة للثقافة العربية في هذه الأصقاع النائية من الأرض.

السفير الدكتور علي عجمي
رئيس المركز العربي الأميركي للثقافة والفنون
١ كانون الثاني ٢٠٢٢

الورقة ٣٠ - الأديبة مريم رعيدي الدويهي - أستراليا:
مقارنة بين الرابطة القلمية وأفكار اغترابية - نظرة عامة

من الصعب أن يقتحم أحد موضوعاً كهذا، وقد يكون من الممنوعات أو "التابو"، وسيقول قائل: أين الثريّا من الثرى ؟ والمقصود بالثريّا الرابطة القلمية، وبالثرى "أفكار اغترابية". وما عناصر الشكّ والتردد والحذر التي تحيط بمسيرة "أفكار اغترابية" ودورها، سواء من مشتغلين في الأدب أو إعلاميين ومؤسسات، إلا وجه من وجوه الصدمة الإيجابية التي أحدثها المشروع، ومن الصعب الاعتراف بها تلقائياً. والإشادة بوقعها ومداها. بيد أن الحقائق تثبت بالمقارنة، وليس بالكلام العشوائي، والتسخيف المسبق لكل بارقة، أو أيّ محاولة اكتشاف جديدة...

نعم هناك فرق، فالرابطة القلمية تأسست في ظروف مختلفة، سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وفي أواسط الحرب العالمية الأولى، أي في عام ١٩١٦، وتفكّكت في عام ١٩٣١، بعد موت جبران خليل جبران، رئيسها وزعيم مدرستها الأدبية. وكان للرابطة مجلس إداري، جبران رئيساً، ميخائيل نعيمة مستشاراً، ووليام كاتسفليس أميناً للصندوق... وكانت تضم أعضاء أيضاً، منهم نسيب عريضة، رشيد أيوب، عبد المسيح حداد، ندرة حداد، وإيليا أبو ماضي... و"أفكار اغترابية" تأسست عام ٢٠١٤ (بعد حوالي مئة سنة)، مؤسسها واحد هو الأديب د. جميل الدويهي، وهي ليست مؤسسة، وليس فيها أعضاء ثابتون، بل هي فكرة طرحها الدويهي، وأصبحت إطاراً لعمله الثقافي، وتعاون معها عدد قليل من أدباء وشعراء في المهجر الأسترالي، وعدد أكثر في العالم الخارجي. وهذه الفكرة تختصر عالم

الدويهي الإبداعي، القائم على تعدّد فريد في الأنواع، واللغة المهذبة السامية التي ترفض الابتذال والانحطاط. بل هي جاءت، كما يخبر بنفسه، بعد انفعاله وتأثّره الشديد في عام ٢٠٠٩، أمام قامة أكاديمية في لبنان، قرأت شعراً من أستراليا ضُربت به الأطناب، وسأل الأكاديميّ مستغرباً: هل هذا هو شعركم ؟! كما هي ردّة فعل الدويهي على ضآلة النثر ونمطيّة النوع الواحد، وعلى تحَشّد النقد، بشكل غريب ومثير للريبة، وراء نصوص باهتة ليس فيها ما يميّزها، أو يضعها في مرتبة أعلى من مراتب الإبداع. وعلى الرغم من أن كاتبة هذه المقالة والأديبة كلود ناصيف حرب، تمثلان حيّزاً كبيراً ومهماً من المشروع، فهذا لا يعني أنه منفصل عن مبدعين آخرين، لهم مكانتهم وقد اهتمّ بهم الدويهي ونشر أعمالهم، واعتزّ بقاماتهم، وهم أصدقاء أوفياء له ولمسيرته، ويفتخر بهم دائماً.

كانت الرابطة القلمية تبدع في عصر فقير تكنولوجياً، أما "أفكار اغترابية" فاستطاعت أن تبرز سماتها وتجلياتها الإبداعية بشكل أوسع من خلال الفايسبوك، وموقع "أفكار اغترابية" للأدب الراقي، وهذا الأخير ليس منتدى مفتوحاً لكل من يريد، بل منصّة رفيعة، تنشر لمبدعين.

وكانت الرابطة القلمية تنشط في مجتمع عربي قليل العدد في أميركا الشمالية، أمّا "أفكار اغترابية"، فمجتمعها العربي واسع وعريض، وهذا يفسّر الحشود التي تشارك في مهرجانات الأدب الراقي التي أقامها الدويهي في سيدني وملبورن، كما نجح في تشكيل وفد اغترابي لزيارة لبنان في آب - أيلول ٢٠١٩، حيث كُرّم الوفد في عدة مناطق، ووُصفت تلك الزيارة بالتاريخية، وغير المسبوقة في العلاقة الأدبية بين لبنان المقيم ولبنان المغترب.

وقد يسأل سائل: لماذا لم يتحوّل "أفكار اغترابية" إلى فكرة جامعة في أستراليا ؟ والجواب يتعلق بظروف ثقافية وإعلامية، من الصعب (الآن) الكشف عنها، لكنّ المؤكد أن قطبة مخفيّة كان لها دور فاعل في جعل

"أفكار اغترابية" ذات طبيعة مستقلّة، ولا تلقى التأييد العارم. وقد جاءت في فترة تميّزت بشيوع شعر الزجل، والقصيدة النثرية، والشعر العموديّ. أما باقي الأنواع الأدبية فقليلة جداً، والنثر يظهر بين الحين والآخر، قصصاً قصيرة أو روايات، بعيداً عن اهتمام الناس وذوقهم الأدبيّ.
الرابطة القلمية كانت أكثر تمثيلاً في مجتمعها المتعطش إلى الكلمة، و"أفكار اغترابية" أقل شعبيّة وخصوصيّة، بسبب شخصية صاحبها الذي يميل إلى العمل الفرديّ، وأيضاً بسبب مواقف منها، فالثورة وقلب المفاهيم وتجاوز الخطوط المرسومة، هي طعن للواقع وانقضاض عليه.
وفردية الدويهي تشبه فرادته، بل هما حالتان متكاملتان. وقد رأى صاحب "الأفكار" أن منزله واسع لكنه قليل الزوّار، فارتأى أن يكون هو صاحب البيت، والزائرين جميعاً، وجعل نفسه عدة رجال في وقت واحد، وكان مخيّراً بين أن يستسلم للضغوط الهائلة التي نزلت عليه، أو يتابع مع قلة من المؤمنين برسالته، فاختار الطريق الأصعب، البقاء في ساحة يطوّقها سياج شائك، متسلحاً بإيمانه، ومعرفته، وأصالته الأدبية.
فإذا كان جبران ونعيمة ورشيد أيوب وإيليا أبي ماضي أصحاب الشعر العمودي، وقلّما كتبوا غيره، فالدويهي صاحب لثمانية أنواع، هي الشعر العمودي، شعر التفعيلة، الشعر المدوّر، الشعر المنثور، الزجل، التفعيلة العامّية، المدوّر العامي، والنص العامي الشعري. وللعدل والحقيقة نقول إن الشعر العمودي كان الشعر الوحيد المعروف في زمن الرابطة القلمية، أما في عصر الدويهي فالأنماط تعددت، وكانت ثورة في الشعر قد حدثت بعد انحلال الرابطة القلمية بسنوات قليلة، وابتكر مبدعون في لبنان والعراق ومصر وسوريا ودول عربيّة أخرى أنماطاً شعرية جديدة (في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي)، استفاد منها الدويهي، واستخدمها ليغْني تجربته ويثبت أنه عدّة شعراء في شاعر.
وإذا كان جبران ونعيمه قد كتبا القصّة القصيرة، فالدويهي كتب ثلاث

مجموعات منها، "أهل الظلام"، "من أجل الوردة"، و"الحافلة والولد ممكن". وطوّر الدويهي لغة القصّة، من واقعية إلى رمزية فسوريالية، وهو أبعد الناس عن رومنطيقيّة جبران وروحانية نعيمه الغارقة، فالدويهي يؤمن بتوازن المادّة والروح، الخير والشر والنور والظلام... ثم أضاف الأديب الدويهي إلى تجربته القصصية ٤ رويات (حتّى تاريخه) هي: "الذئب والبحيرة"، "طائر الهامة"، "الإبحار إلى حافّة الزمن"، و"حدث في أيام الجوع". الأولى تتناول واقعاً في عالمنا العربي، والثانية تخوض في الواقع اللبناني، والثالثة أسترالية المنبت والجذور، والرابعة رمزيّة — واقعية، تعكس ما يحدث في لبنان اليوم من مأساة الفقر والجوع واستهتار الحكّام بالقيم.

وقد تعاطى جبران ونعيمة بالنقد الأدبي، غير أن كتاباتهما في هذا المجال لم تكن أكاديمية، بل انطباعية. وفي قارّة أخرى، كان الدويهي يكتب الدراسات النقدية المحكمة والأكاديمية، التي احتضنتها، على قلتها، كتب جامعية ومجلات متخصصة. نقول "على قلتها" لأن الدويهي ليس متفرغاً، فبين أسفاره الكثيرة، وعمله الإعلامي، وهموم الحياة، والنشر، من أين له أن يكتب عشرات المقالات ويضيفها إلى رصيده الثقافي والعلمي؟

وعندما نقارن بين مقالات الدويهي الأكاديمية، وما ينشره غيره من أساتذة كبار، يتبيّن لنا أنّه مقصّر في هذا المجال، عدديّاً على الأقلّ.

أما "فكر" الرابطة القلمية، فكان جسر الإبداع المشرقيّ وعموده الفقري في أميركا الشمالية، بل هو المحور الأساسيّ الذي بنيت عليه الرابطة، وأخذت شهرتها، واعترف الدارسون بدورها الكبير في إغناء التراث المهجريّ وقيمته، ومَن منا لا يعرف "النبيّ" و"المجنون" و"العواصف" و"السابق" و"التائه" لجبران، و"مرداد" نعيمة، وقصيدة "الطلاسم" لأبي ماضي؟ ومَن منّا في أستراليا لم يسمع بكتُب الدويهي: "في معبد الروح"، "تأمّلات من صفاء الروح"، "رجل يرتدي عشب الأرض"، "هكذا حدّثتني الروح"، "بلاد

القصرين"، و"أفكار خارج العزلة"؟ وكما أسّس جبران مدرسة أورفليس، في موازاة لمدينة غولونغازا، مدينة الشاعر ويليام بلايك، "النبيّ" الآخر، وأنشأ ميخائيل نعيمة مدينة "مرداد" القيم الروحية، فإنّ الدويهي بنى في أستراليا مدينة القيم الخالدة، وقد وضعتُ بنفسي كتاباً عنها، بعنوان "فكر جميل الدويهي ومدينة القيم الخالدة"، وبرهنت بالنصّ أنّ الدويهي يسعى إليها، في سبق مهجريّ جديد، هو ببساطة "الفكر" الذي يرتقي الدويهي إلى عالمه، ويشحنه بطاقة من ثقافته ورؤاه الفلسفية القائمة، فالدويهي في مسيرته الإبداعية كتب الشعر والنثر، ورفع النثر إلى مرتبة الفكر السامي والمجيد، وهذا تفرّد غير مسبوق في الأدب المهجريّ في أستراليا.

نحن لا نقول إن هذه المنجزات تساوي تلك التي ظهرت في أميركا أيام الرابطة القلمية، فليس هناك ميزان دقيق للفصل بين عمل وآخر، وقد يقلّل كثيرون من أهمّيّة منجزات الدويهي، ويجدون في "معجم عربيّ" واسع، كلمات لا حصر لها للإيحاء غير الصحيح بأنّ أعماله باهتة، ومقلّدة، ولا ترقى إلى مستوى الزجل أو الشعر المنثور، وهما نوعان سائدان في المغترب الأسترالي، وكأنّهما القالب الذي كسره الله بعد أن أعدّه بعناية وإتقان.

لكن من الضروري الاعتراف بأن في أستراليا رجلاً يعمل ويتعب ويسهر، ويقدم أعماله في مختلف مجالات الأدب مجاناً، ويصرف من صحته وماله، من غير حساب، وكل همّه أن يؤسس نهضة اغترابية ثانية (التسمية للدكتور كلوفيس كرم – أميركا والأستاذ محمد العمري – سيدني أطلقاها حصراً على مشروع أفكار اغترابية). ومن أوجه التشابه بين النهضة الأولى التي أطلقتها الرابطة القلمية، ومشروع أفكار اغترابية في سيدني، تُعتبر تسمية "النهضة الاغترابية الثانية" لباساً مناسباً لمشروع الدويهي، وخير توصيف له...

وعلى الرغم من أن الدويهي، كتب أيضاً التاريخ، والمقالات الصحفية التي

تجاوزت الآلاف، وأعد برامج تلفزيونية، بحكم عمله الإعلامي المتعدد أيضاً، ووضع حتى الآن خمسة كتب بالانكليزية (جبران كتب حوالي ١٠ كتب بالانكليزية)، وترجم، وصنّف، وحبّر المقالات النقديّة والأدبية، فلا يزال يشعر بأنه ينحت الجبل بإبرة، ويلاحظ أنّ هناك غابة تطوقه، عليه اجتيازها كما في الحكايات، وعليه أن يزيل الخطوط المرسومة، لكي يتجاوز ويحلق إلى البعيد. ولعلّ كلمة "تجاوُز" هي العنوان الأبرز لأعماله، والسمة التي ميّزته، وجعلته يشعر أنّه يجاهد بصبر، ومعه نخبة من المبدعين والإعلاميين والمؤسسات التي تفهم الأدب، من أجل انتصاره في معركة الوجود.

ولعلّ تتويج مسيرة الدويهي الحافلة بكلّ أنواع الإبداع تقريباً، بجائزة مرموقة تحمل اسمه واسم مشروعه المشعّ، أقلّ ما يمكن أن تقدّمه الجالية العربيّة كمكافأة له، بل أقلّ ما يقدّمه هو لمبدعين أحبّهم وأحبّوه، ورأى كثيرون منهم في رحلته صوب نبتة الخلود وحْياً لهم، وقدوة لأعمالهم ومشاريعم، وربّما كتاباتهم الأدبيّة.

وليس مؤكداً أن أعمال الدويهي ستلقى الاهتمام الكافي من الدارسين الآن، لظروف واضحة للعيان، فمن الأجدى الانتظار مئة سنة أو أكثر، إلى أن تنضج العناقيد في كروم الأفكار الاغترابية، ويقتنع الناس بأنّ أستراليا، القارة البعيدة عن الاهتمام، حدثَ فيها ما لم يحدث في أيام الجوع، أي انتفاضة على السائد والنمطية، واختراق لجدران الخوف إلى برّيّة المعمدان، وكرامة الحضارة والإنسان.

الورقة ٣١- الشاعرة مريم شاهين رزق الله - ملبورن
تجربتي مع الأدب المهجريّ

من قرية هانئة هادية ترتاح على سفوح جبال الشيخ... أتيتُ، طفلة تحلم بالجمال، تعشق الكلمة... تمجد الله في وجه الإنسان، بساطة العيش وطبيعة ساحرة تحيطان بي من كل الجوانب، هدّأت في داخلي عواصف الألم وملأتْ كاس السعادة بتفاؤل لا ينتهي.
كوجه أبي تسكنني الكلمات، ومشاعري بحر عاطفة ونبع ذكريات، من صوت أمي وترتيلة وجودها تعلمت الصدق والوفاء.
من ثلوج الجبل الشامخ، ومن مياهه المترقرقة على صخر النقاء، استمددت عطاءاتي، ولفظت كلماتي، على وقع خطوات شمس المحبة ودفء
النسمات المتسابقة إلى نبضٍ ينغرس في داخلي، على لحن الطفولة، ووجع الشباب لأوقات خلدتها في خلايا الروح.
همساتي أصداءٌ لصوتي الذي لو ارتطم بجدار الوحدة، عاد محلّقاً، متخطّياً جدار المجهول، ليزهر الفرح في مواسم العطاء.
دربي زينته بمصابيح البقاء، ولو أن الحياة بقسوتها قد جارت، وتثاقلت على كاهلي صلبانها ، إلا أنني ما فقدت نفسي ولا أضعت طريقي، أتقمّص زهرة، أختبي في ظلّ فكرة، وأغمس اقلامي بحبر الشوق ومتعة اللهفة لدفء التلاقي.
في بلاد الاغتراب، لم تتوقف قطاراتي، ولا جفّت مواسمي... كانت امتداداً حالماً لكل فصول حياتي... أستقي من بحر قلبي ودفء مبادئي. تجدّدت الأماكن وبقي الوطن حقيبة سفر أطلّ من خلالها على صور وخيالات

سرمدية لن تندثر... مداداً لقلمي ومواسم لفكري ونتاجي الأدبي.
في أستراليا سكن القمر حاراتنا، شارك معنا سهراتنا... أحبة وأوفياء...
نتقاسم لقمة الفرح ونبرّد وجع الجراح... نخلق من الدمعة بسمة دائمة...
ونحوِّل المواسم إلى فصول الخير وسنا المعرفة.
لم يكن اللقاء صدفة... بل في مواكب الفكر ومجالس الأدب كان كلمة واحدة، أحاسيس مشتركة، همّاً واحداً... ومبدأ لا ثاني له... الإنسان - الإنسانية... وأوراقاً ناصعة على سطورها يتربع الوطن بترابه وتاريخه وتأريخه... وذكريات ما انسلخت عن الذاكرة.
د. جميل ميلاد الدويهي... إنسان يعيش الحقيقة ويعشق الحقّ...كاتب، شاعر وأديب، يكتب من مكان الروح ليصل إلى أعماق القلب. أرزة تعانق السماء... تقف في مهب الريح، ثابتة الجذور، تعطي لكل الفصول، وتثمر في كل المواسم... أديب مهجري يثمّن العمل، يقيّم الموهبة وداعم للفكر. يحمل رسالة ويسعى إلى تحقيقها بكل فخر واعتزاز، وعنفوان لا يتراجع عنه. يحاور، يعطي ويأخذ من دون صدّ، الوطن والإنسان هدف لا ينزاح عنه... د . جميل ميلاد الدويهي صديق للجميع وأخ لم تلده أمك، ابتسامة على وجهه تبعث التفاؤل والأمل، وتشد العزيمة، وتدعو إلى المثابرة وبإتقان، لا تهمّه العقبات لو تماثلت في طريقه، ولا يعود من حقل المعرفة إلا وسلاله فائضة بالخير والعطاء والإنتاج... لا تخذله الكلمات ولا تثني عزيمته العقبات... وما أكثرها في بلاد كثُر كتّابها وتنوع فيها العطاء! يقف على جدار مرتفع شامخ الرأس ثابت العزم والعزيمة.
عطاء... محبة لا تجف ولا تخف، شلالٌ للخير، للإنسان، وصدق المشاعر، لا يضمر الا الإخاء والإحترام والتضحية.
التقيته في ملبورن في حفل توقيع لمجموعة من كتبه يخصصها مجاناً لكل من حضر، بسمته عنوانه الدائم ويده ممدودة للجميع، للبناء والعطاء.
"أفكار اغترابية" جمعتنا لحب الوطن، وصياغته أيقونة أبدية في ذواتنا،

تقينا همّ البعد، ووجع الغربة، ووسيلة تنقلنا من مكاننا عبر القارات للقاء أحبة لنا وغوالٍ على متن الكلمة الصادقة، الهادفة، الدافئة نلتقي .
بعدها بدأت المشاركات الأدبية عبر نشاطات شهرية في مجلة "أفكار اغترابية - أدب وثقافة" تصل إليها من أماكن كثيرة... نلتقي مع رواد الكلمة ومبدعيها في قصائد ومواضيع تغني مداركنا وتسعد قلوبنا البعيدة عن مكان الروح، وأرض الأجداد الخالدين.
د. جميل يطلق عليّ القاباً أعتز وافتخر بها... تشبهني وتعيش في ذاتي: ياسمينة الشعر ... شاعرة الياسمين... بخور مريم القصيدة... يثلج صدري وتبقى كلماتي غير كافية في محراب ذوقه وأدبه ولباقته.
في عام ٢٠١٨ وبعد العديد من اللقاءات الأدبية والاجتماعية في ملبورن، وسدني حصلت على جائزة الأديب المهجري د. جميل الدويهي "أفكار اغترابية"، حيث كنت إحدى زهرات هذا المهرجان الممتع الذي أضاف اليّ عبقاً، وشرفني بمعرفة العديد من الزملاء والأدباء، في جو من الألفة والأناقة، جمع أهل الفكر والأدب على محبة صافية ونقاء متبادل.
ستبقى حروفنا وكلماتنا فراشات حب وأمل وتعاون ومحبة، ترفرف في سماء الغربة... وأصواتنا بالحق مدوية... وأيدينا للبناء مرفوعة لتصل إلى كل أرجاء الأرض... وتبقى خالدة إرثاً وقيمة أدبية للنهضة والرقي، وحديثاً للضمير الحي وصرخة للحق.
جميل ميلاد الدويهي، كلمة لن تصمت، رفيق العشاق... صديق المشتاق... وتأشيرة دخوله إلى كل القلوب الكلمة التي كانت متذ البدء ولن تزول، المحبة...
لنشرب من يده كأس الفرح، ونهتف عالياً، يداً بيد نحو عمل مثمر فعّال لأجيال قادمة قد تعي الهدف وتسعى لتحقيق الحلم.
تحية مودة ميسمنة لراعي المؤتمر د. جميل ميلاد الدويهي... ولكل الأحبة المشاركين والمشاركات الكرام... والسلام والوفاء سبيلنا إلى التلاقي.

الورقة ٣٢ - نادي الشرق لحوار الحضارت - لبنان

يطمح نادي الشرق لحوار الحضارات أن يكون ساحة حوار ثقافي فكري، تطرح فيها كل المعتقدات والأيديولوجيات التي هي موضع تنازع وتضارب، لتتفاعل في ورشة من التداول والنقاش المنفتح على مختلف الآراء والتطلعات التي باتت تشكل هواجسَ لمجتمعنا المشرقي، فتحولها إلى قناعات وضمانات تدرأ عن شبابنا شر التشرذم والتشتت والضياع. إنها ورشة تعتمد كل أساليب التفاعل الحضاري، وصولاً إلى ترسيخ نمط عيش مشترك يحافظ على تنوعه وغناه الفريد.

لقد حبانا الله برسالات سماوية وكنوز طبيعية ومقدرات عقلية أهلتنا لريادة كونية، فأطلقنا الحرف وابتدعنا الرقم، ووضعنا أسس العلوم المادية، وألهمنا العالم مفاهيم الإنسانية الحقة. انطلاقاً من هذه الوقائع، تداعت نخبتنا المنتشرة في كل أرجاء الوطن العربي والمشرق والعالم، لتأسيس جمعية "نادي الشرق لحوار الحضارات" وعلى جدول أعمالها تعزيز الروابط الثقافية بين المجتمع اللبناني وكل المجتمعات الأخرى، انطلاقاً من الحضور الاغترابي، وتنظيم ندوات ومحاضرات ولقاءات فكرية وفنية وأدبية وعلمية، تظهر هويتنا المشرقية المتميزة والسباقة.

للقيام بهذه الورشة والاطلاع على حسن تفاعلها، تشكل "نادي الشرق لحوار الحضارات" من شخصيات دينية، تربوية، فكرية، علمية، إقتصادية، نقابية، إعلامية وفنية على مستوى يؤهله خلق مناخ استيعابي يتناسب وطموحاته.

أبرز نشاطات النادي:

١ - استضافة وفد كبير من شبيبة أستراليا لمدة ثلاثة اسابيع بهدف تبادل الثقافات - ٢٠٠٩.
٢ - إقامة مؤتمر "الرؤية الوطنية في حوار الأديان" في المعهد الأنطوني، بالتعاون مع مؤسسة الشيخ محمد يعقوب وبرعاية البطريرك الماروني مار بشاره بطرس الراعي - ٢٠١١.
٣ - إقامة جلسة أدبية مساء كل ثلاثاء في الأسبوع الأول من الشهر ولغاية عشر سنوات، تحت عنوان "منتدى الشعر اللبناني" من إعداد رئيس اللجنة الأدبية والثقافية في النادي الشاعر رفيق روحانا، استضفنا خلالها أبرز الأدباء والشعراء: موسى زغيب، ميشال جحا، وليم حسواني، مارون سعد، أمين زغيب، ماجدة داغر، جورج لطيف، بسام حرب... بحضور عدد كبير من أعضاء وأصدقاء النادي.
٤ - استضافة Monde Tv٥ وتصوير فيلم وثائقي عن لبنان -٢٠١١.
٥ - استضافة وفد من شبيبة كردستان بهدف تبادل الثقافات - ٢٠١٣.
٦ - مشاركة النادي في مؤتمر إعلامي في كرواتيا - ٢٠١٣.
٧- مؤتمر "دور الاتحاد الأوروبي في أزمة الشرق الأوسط" بمشاركة سفير أسبانيا، وبحضور عدد من أعضاء السلك الدبلوماسي - ٢٠١٣.
٨ - مشاركة النادي في مؤتمر إعلامي في سوسة - تونس - ٢٠١٤.
٩ - استضافة رئيس اتحاد الأندية الصحافية الفرنسية والفرنكوفونية جان مارك كانوفا، لأقامة مؤتمر بعنوان "حرية التعبير وانعكاساتها" في أوتيل هيلتون - ٢٠١٥.
١٠ - مشاركة النادي في العديد من المؤتمرات الثقافية في بلدان عديدة منها: فرنسا، بلجيكا، أستراليا، الصين، كرواتيا... أبرزها مؤتمر عالمي تحت عنوان "Debout Citoyen" من تنظيم مقاطعة لياج والأونيسكو بدعوة من رئيس مجلس وزراء لياج ومحافظ المقاطعة - ٢٠١٦.
١١ - إعداد وتنظيم مؤتمر الشبيبة الدولي للسلام ٢٠١٦ الذي تضمن وفوداً

جاؤوا من نحو ٣٠ بلداً عربياً وأجنبياً، زاد عددهم على ٣٠٠ شخص عدا الإعلاميين.
١٢ - إقامة احتفال تكريمي لأدباء وشعراء لبنانيين من مختلف دول العالم ضمن وفد مشروع "أفكار اغترابية للأدب الراقي" برئاسة الأديب والإعلامي د. جميل الدويهي ٢٠١٩. وذلك في مبنى بلدية سن الفيل، وبرعاية وزارة الثقافة اللبنانية، حيث قدّم مشروع "أفكار اغترابية" جائزته السنوية إلى ٢٠ مبدعاً من لبنان والعالم. وتمت زيارة الوفد المشترك بين "أفكار اغترابية" والمؤسسة الاجتماعية لحوار الحضارت - سيدني برئاسة المهندس جوزيف سكر رئيس المؤسسة، في إطار التوأمة بين نادي الشرق لحوار الحضارات ومشروع "أفكار اغترابية".
١٣- إقامة مؤتمر حواري ثقافي ديني في إقليم كردستان - العراق تحت عنوان "الديانات السماوية: بين حرية التعبير والعيش المشترك"- ٢٠١٩.
١٤ - إقامة لقاءات حوارية ثقافية تحت عنوان "لدولة المدنية" بالتعاون مع المجمع الثقافي الجعفري للبحوث والدراسات الإسلامية وحوار الأديان منذ العام ٢٠٢٠.
١٥. شارك النادي في المؤتمر الدولي الذي أقيم في إيران "العتبة الرضوية المقدسة" تحت عنوان "الإمام الرضا عليه السلام والأديان" بهدف التبادل الثقافي، ممثلاً بنائب الرئيس الإعلامي إيلي السرغاني - ٢٠٢١.
١٦ - إقامة العديد من الندوات الثقافية والحوارية، أبرزها "الإعلام المرئي وأثره على السلام" - ٢٠١٥ شارك فيها وزير الإعلام رمزي جريج، وسفير أستراليا غلين مايلز، سفير البرازيل خورخي جيرالدو قادري، السكرتير الأول في السفارة المصرية نادر زكي ممثلاً السفير الدكتور محمد بدر الدين زايد، ورئيس بلدية الدكوانة ورئيس مجلس الأمناء في النادي المحامي أنطوان شختورة... وندوة"دور المرأة في صنع السلام" - ٢٠١٦ برعاية وزيرة المهجرين القاضية أليس شبطيني وبحضورها، تخلله كلمة لكل من سفيرة

كندا في لبنان ميشيل كاميرون، سفيرة هولندا هستير سومسن، سفيرة الهند أنيتا نيار، الأميرة حياة وهاب أرسلان. تميزت هذه المؤتمرات بحضور أكثر من ٣٠ سفيراً أجنبياً وعربياً يمثلون دولهم رسمياً، بالإضافة إلى عدد من الشخصيات الرسمية، الدبلوماسية، الدينية، القضائية، الثقافية، العسكرية، التربوية، الاقتصادية، الفنية والإعلامية...

١٧ - تكريم عدد من الشخصيات الفنية والأدبية والاجتماعية، على سبيل المثال: نقيبي الصحافة والمحررين - ٢٠٠٨ ، الفنان الراحل وديع الصافي - ٢٠٠٩، رئيسة " ديوان أهل القلم" الدكتورة سلوى الخليل الأمين - ٢٠١٤، الفنان الكبير وجدي شيا - ٢٠١٤، الإعلامية رحاب زين الدين - ٢٠١٤، الشاعرين الدكتور مروان كساب والأستاذ المبدع جان كرم - ٢٠١٧، الشاعر رفيق روحانا - ٢٠١٧، والإعلامي بادرو الحجة - ٢٠١٧، الرائد البيئي الدكتور بديع أبو جودة - ٢٠١٩، النائب الدكتور فريد البستاني - ٢٠٢٠.

١٨ - التنسيق مع العديد من السفارات الأجنبية: (أستراليا، الصين، روسيا، بلغاريا، رومانيا، الهند، البرازيل، هولندا...) في لبنان، بهدف التوأمة مع الأندية الثقافية والإعلامية في تلك الدول.

الورقة ٣٣- الأديبة نجاة الشالوحي - لبنان:
حول رواية "حدث في أيّام الجوع" للأديب د. جميل الدويهي

الأدب تعبير عن عواطف الانسان وافكاره، او عن شخصيته. والقصة من أهم فنون الأدب التي يبث فيها الكاتب هواجسه ومشاعره بسعة خياله، وقوة لغته بقالب أدبي بديع.
استحوذت القصة اهتمام الدكتور جميل الدويهي، فقد كتب ٤ روايات، هي "الذئب والبحيرة"، "طائر الهامة"، الإبحار إلى حافة الزمن"، و"حدث في أيام الجوع"... وقد علمت أن الأخيرة التي صدرت ضمن ١٨ كتاباً من أفكار اغترابية في العام الماضي، هي قيد الترجمة إلى اللغة الإنكليزية.
الرواية هي أداة مثلى للكشف عن تجربة الأديب الإبداعية والإنسانية، وفيها يصوغ أدباً جمالياً يرتقي إلى مستوى التأثير وانتزاع الاعجاب، ويحمل هموم الوطن وأبنائه. وفي قصته بعنوان "حدث في أيام الجوع" يصور أديبنا تجربته الإنسانية بحرارة، ودفق، وقلق، واندفاع، وحماسة. فأدبه إنساني يتصف بالعمق والقوة والشمول والتنوع والتعدد والاختلاف، يعتلي به قمة الهرم الادبي الابداعي.
و"حدث في ايام الجوع" لها أبعادها التعبيرية والمعنوية والجمالية، وتتميز ببنيتها اللغوية المتينة، وتشكل البنية الداخلية دوراً أساسياً في ترجمة انطباعات الأديب ورؤاه. فيعمد إلى حشد اللغة العميقة في صور مؤثرة ومتنوعة التركيب، موحية في دلالاتها ورمزيتها ليتيح المجال لقراءات متنوعة ومختلفة نظراً إلى إختلاف تأثيرها على المتلقي. هذا من جهة الأسلوب. أما في المضمون، فالدويهي يحمل الوطن في أدبه كما في قلبه،

فالأدب عنده أداة لتحرير الوعي وتحرير الجماعات. فهو يعلن ثورته على أهل الثروات الذين ينفقون أموالهم على البذخ متخلين عن الفقراء و المحتاجين من أبناء الوطن: "انقسم أهل البلاد إلى سارقين كبار، وهم جلّة القوم وأصحاب القرار، وسارقين صغار، هم الحفاة، العراة، الفقراء، والكادحون المشرّدون، الذين مسحوا الأرض بعرق أجسادهم، واجتاحوا الأرصفة بثورتهم الصامته، وملأوا السماء بشكوى لا تكاد ترتفع من شدّة الذلّ والمهانة. وما الفرق بين غنيّ يزداد غنى... ومعدم يزداد حاجة؟ الأوّل يمتلك القوّة ليتمتّع بالحياة، والثاني يمتلك الضعف، ويرضى بالفتات لكي يبقى على قيد الحياة" (ص ٣٨). ويصرخ عبدالله بالثورة والتمرد: "سأحطّم هذا الحديد بأصابعي لكي أتحرّر... إنّ قطّاع الطرق أكثر كرامة منّي! لأنّهم يرون الشمس، ويتنشّقون الهواء، ولا حدود لأفكارهم!" (ص ٦٤).

إن الكاتب هو الذي يدعو على لسان عبد الله إلى المواجهة وإيقاظ روح الغضب. ويعلن أن "الجوع لا وطن له، ولا هوية، يدخل من كل باب ويبسط جناحيه الأسودين على البشر، ليحوّلهم إلى أعواد هزيلة، تسير في الشمس والعاصفة، وترفع أصواتها الضعيفة إلى السماء، متضرّعة ولاهثة" (ص ٥). إنّها صورة حيّة لزمن يخالف الزمن الذي تشير إليه القصّة في إطارها التاريخيّ.

أما رجال السياسة، فكان لهم النصيب الأوفر من النقمة، والانتقاد اللاذع، وهم يمثلون قوة إجتماعية وسياسية بارزة النفوذ في المجتمع اللبناني، يتحكمون بالمصير، ويرسمون مستقبل الوطن بما يناسب فسادهم: "لو أنّ الدولة التي نحيا في ظلالها، تعتبرنا شيئاً مهمّاً، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه... نحن في نظرهم عدد من الرؤوس التي تلفحها الشمس، ويضربها الهواء، كما الأعمدة... أو كما الفزّاعات في الحقول... أما نرى كلّ يوم كيف يتباهى الحاكم بأثوابه الفضفاضة، وبقصوره، وأمواله وخدمه... وقد حوّل البلاد إلى ملكيّة خاصّة له ولأسرته... والأمم العظيمة لا يكون أبناؤها

أرقاماً، بل يكونون حُكّاماً على الحاكمين" (ص ٢٢).
وتتكرر مثل هذه النبرة الغاضبة في كثير من مفاصل القصّة، في محورها السياسي. ولكن هل هذا هو المحور الوحيد؟
لقد أفرد الدويهي جزءاً من قصته لقضية المرأة واضطهادها في المجتمع، فالقصة لها وجه آخر إجتماعي صارخ. ولأن الدويهي عرف المرأة وعذبه الظلم الذي تعانيه، ولانه أحس بمدى استبداد الرجل بها، كانت حرّية المرأة تؤرقه فيكتب عنها بحرقة. فسلمى الرمز، هي مثال المرأة الضعيفة جسداً وروحاً، تبيعها أمها لمنصور، فيعرضها للبيع من أجل الكسب المادي: "سلمى لم تتغيّر، فقد كانت منذ صغرها كئيبة، وجسدها نحيل، وكانت دائماً عرضة للمرض. وقد باعتْها والدتها لمنصور، فتحوّلت حياتها من جحيم إلى جحيم أكثر لهيباً وعذاباً...كانت سلمى أشبه بسلعة... تجارة رابحة... وما أقبحها من تجارة زهيدة!" (ص ٧٠). وهنا يلتقي الأدب الدويهي مع الأدب الجبراني في الدفاع عن المرأة وحرّيتها، وتقدير مكانتها في المجتمع وفاعليته، فلنسمع إلى سلمى في تمردها ورفضها لتسليع جسدها الطريّ: "أطيعك في كلّ شيء، فأنا امرأة عاقلة ومتواضعة، ومن أسرة فقيرة... لا مكان للتعجرف عندي، ولا تتوق نفسي إلى الشرّ ومعاندة شريكي في الحياة. هي كلمة واحدة: الموت... الموت ولا الذلّ بعد الآن" (ص ٩٩).
وتشبه سلمى في قصّة الدويهي سلمى كرامه في "الأجنحة المتكسرة" التي كانت ضحية التحالف الأبوي -الكهنوتي الظالم. أما سلمى في "حدث أيام الجوع" فكانت ضحية الطمع_ تحالف الأم والعريس_ (وزفت الموؤودة إلى رجل يكبرها بكثير من السنوات) ولكن الدويهي أبى أن تستسلم المرأة في قصّته لقدرها الأسود، وهي ترمز إلى كل امرأة عانت الظلم والقهر والاستعباد، فثارت على جلادها، ومزقت شرنقة العبودية: "اندفعت سلمى بجسارة وقوّة، فطوّقت عنق منصور بقميص أخيها، وشدّته إلى الوراء... فسقط الحجر من يده... قاوم كثيراً، وهي تشدّ وتشدّ... نهض عبدالله عن

الأديم. فصرخت به: أتركه لي... ثمناً لكرامتي... لا شأن لك في هذا... تضاءلت عزيمة منصور... ولم يفلح في الخلاص من القميص التي تقبض على عنقه، وكانت سلمى تلفّ رجليها النحيلتين حول جسده، فدار في حلقة مفرغة وهي لا تزيح عن ظهره... لم يكن سهلاً عليه التخلّص من المصير المحتوم... لوّح بقبضتيه إلى الوراء، ثمّ ترنّح وانهار، فسقطت هي معه، وبقيت على إصرارها، حتّى تلاشى... واختنق" (ص ١٠٠-١٠١)... ثمن للكرامة هو ما طالبت به سلمى، وهو ما حصلت عليه بعدما تخلصت من جلادها، بصورة لا تخلو من العنف... لكنه عنف مبرّر ويتمّ لا ثأراً لشرف، بل دفاعاً عن النفس، فمنصور الزوج كان عازماً على قتل عبدالله، شقيق سلمى بحجر كبير، لولا أنها أجهزت عليه لمنعه من قتل أخيها.

إن مجموع أعمال الدويهي صرخة في وجه الإنسانية، تضع الإصبع على الجرح، تحاكي الغامض والخفي، تفتح أبواباً موصدة. وكأن الدويهي، في كل ما يكتبه يحاول أن يفتح عوالم من الجمال الانساني، هو الذي عانى ألم الفراق عن الوطن، وعلى الرغم من مرارة الغربة، حمل لبنان وآلام شعبه في وجدانه كما في أدبه، فالقصّة "حدث في أيام الجوع" جرت وتجري اليوم، على الرغم من محاولة الأديب التغطية على الزمن، وإيهام المتلقّي بأنّها حدثت في زمن غابر. فكل ما يجري فيها يشبه ما نعانيه اليوم في وطن جريح يئنّ شعبه من الجوع والمرض والحرمان.

تعددت إبداعات الدويهي بين العامية والفصحى والقصة القصيرة، عازفاً أعذب الألحان بالأحاسيس والأفكار الحكيمة، ومحققاً ثورة في الأدب المهجري الحديث. فجميل هو رائد الثورة والتمرد، يسعى إلى خلق أدب مهجري عظيم يليق بعظمة لبنان. وما رواية "حدث في أيام الجوع" سوى لبنة في بناء أدبه الذي يرتفع يوماً بعد يوم، ويثبت أن الأدب المهجري يلتمع من جديد في تجلياته ورؤاه ومواكبته لقضايا الأوطان والإنسانية جمعاء.

الورقة ٣٤- الشاعر وسام زيدان - ملبورن:
تجربتي مع الأدب المهجري

لقد كان الإنسان وما زال وسيبقى المحور الأساس ونقطة الإرتكاز، خاصة في سلوكه المزاجي وارتباطاته بأمور الحياة، الخارجية منها والباطنية، والتي هي الأهم مع الكائن الأسمى الله، لتتبلور عندها مظاهر وجوده وقيمته المعنوية في المجتمع على شتّى الصّعُد (الإبداع الأدبي، الثقافي...)، فينتج عنها العمل الخلاّق الذي هو الأعمق اتصالاً بطبيعته، وهي منبثقةٌ من ذات عاقلة تزخر بالفيض الفكري المتميّز والحسّ الإجتماعي. وتنصهر في الإنسان طاقات خلاّقة متلازمة مع جوهره ووجوده. وعليه تظلّ هذه الروح تائهة في مجاهل الحياة حيث هي، لتذوق معها الفرح والحزن، البهجة والأسى، السعادة والألم... تلك أمور تلازم الإنسان حيث كان، وفي أيّ مكان وُجد فيه، فنراه كلما أمسك بحالة معيّنة لتبلغ نفسه الأماني، تفلت من بين أصابعه حالة أخرى نقيضة لما سبقها.

تلك هي مسيرة الإنسان في دورة الحياة في وطنه، في تنقّلاته وترحاله، وخاصة في غربته، فالغربة سلاح ذو حدّين: معاناة وصبر، إيمان وفعل خلقْ... فهي أكبر من مجرد كلمة تقال، بل هي دائماً منبر التناقضات، فبقدر ما تفتح أفاقاً جديدة لقاطنها بقدر ما يعاني الإنسان في مجاهلها مرارة العيش وشظف الحياة وصعوبة التحدي من أجل البقاء... هكذا تبدأُ رحلة الأدب والأدباء في بلاد الإغتراب، رحلة البحث والإستكشاف، علاقة العقل مع الكلمة، وعلاقة الروح مع المطلق، فمع الكلمة تأنسُ الأرواح وتزكو النفوس وتطمئنّ القلوب، وتنبت الطمأنينة في الضمائر والسرائر، وتفيض

العقول بخزائن الفكر... الكلمة والإنسان يعتبران ظاهرتين متلازمتين منذ بدء الوجود، وفي حال حصل انفصال بين هذين الجوهرين نتج عن ذلك العدم.
من هذا المنطلق، فإن تجربتي الشاقة مع الإغتراب هي التزام مع الذات، فالذات البشرية هي ذاتها في أيّ مكان حلّت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.
جئت إلى أستراليا العظيمة وفي جعبتي الكثير من الأفكار الدّفينة، والهواجس المتأرجحة بين النجاح والفشل، والخوف والرجاء، وغيرها من الأمور النقيضة للأحلام الوردية المبعثرة بين نوافذ الكلمات التائهة في دائرة المجهول، والهائمة على مشارف الخيبة والطمأنينة...
تركت وطني لبنان رغماً عني، وكغيري من الذين تركوا أوطانهم، أطلقوا علينا يومها تسمية "مهاجرين"، فأصبحنا بعدها مشرّدين، هائمين في دائرة الغموض.
نفضتني أحلامي على رصيف الغربة، من بلدة رويسة البلوط ، المتن الجنوبي... جئت طائراً على أجنحة الطموح، حاملاً سيف الكلمة، فسرت في مواكب الحياة، ممزّقاً الأمس بأفكاري المتحرّرة، منطلقاً إلى الروح الأعلى، باحثاً عن ذاتي في كل فكرة وكلمة، ناثراً عمري وروحي بين أحشاء السطور، ساكباً عصارة قلبي حروفاً مرصّعة بحبر الفؤاد...
جئت من وطن يريدني عدداً ورقماً مضافاً إلى قائمة التائهين، لذلك مزّقت نقاب التردد، وانطلقت جاعلاً المحبة ركيزة حياتي، والصبر بلسم جروحي، فسلكت درب المعرفة أبحث بين دفات الكتب عن خفايا الحياة ومظاهر الوجود... قرأت للأدباء والشعراء، وعاينت كتاباتهم... انغمستُ بأرائهم فأيقنت أن لأدباء وشعراء المهجر الدور الطليعي في نشر المعرفة والثقافة في بلاد الاغتراب، حيث وضعوا مقاييس جديدة، ومفاهيم جديرة بالإهتمام والوقوف عندها، فأخذت كتاباتهم ومواضيعهم الحيّز الأبرز من الدراسة

والتحليل عندي، وربما عند الكثيرين من أقراني وزملائي الشعراء والكتاب. وهذا دليل واضح على أهمية أدباء الاغتراب وتأثيرهم على حركة النهضة الفكرية، وفي بناء شخصيتي ومسيرتي الشعرية المتعطّشة لبلوغ أرقى درجات التقدّم والرقي في مجتمع أنتمي إليه، وهو بدوره ينتمي للمجتمع الكوني الشاسع. ومما لا شك فيه أن تلك النهضة الجبّارة التي أرساها الأدباء المهاجرون أسهمت كثيراً في توفير التقدم الروحي والمعنوي لعامّة الناس. وفي معرض تحليلي لهذا الإندفاع الجبار لدى معظم الأدباء المهجريين، وجدت أنّه يعود إلى الجذور الممتدة في التاريخ القديم والمعاصر، تاريخ المفكر الحرّ، انطلاقاً من تراثه وإرثه المعنوي...
تلك المزايا والنوافذ نحو التاريخ دفعت بمعظمهم إلى خلق واستنباط أفكار رائدة، تمتصّ أريج الوعي من رياض المعرفة، فكتبوا بذلك أسماءهم بأحرف من نور في سجل الوجود، إيماناً منهم بأنّ ذاتهم الفردية جزءٌ من الذات الحقة أو الكلّية. لقد حملوا مشاعل الحرية والعلم، نافضين غبار الجهل، وقيود الأنانية في مجتمعات أتوا منها، وتركوها رغماً عنهم، ليس كرهاً بها، بل كانوا وما زالوا ثائرين على المفاهيم الضيقة التي قيدتهم في وقت من الأوقات، وأطبقت على سلوكهم العقلي، فانطلقوا في بلاد الاغتراب إلى فضاء الحرّية، حرّية المعتقد والرأي. هذا الشغف الفكري والإبداعي في توجّهاتهم إنما هو لتأدية رسالة العقل المدرك المشرق النيّر، والإنعتاق من نير التخلف والبحث عن الحقيقة، والعشق اللامتناهي للعلم والمعرفة. وحسبي، واستناداً لما ذكرت فإن تجربتي في بلاد الاغتراب تنسجم مع هذا التوجّه الفريد لتلك النخبة ولمفهوم الكلمة، والذي ارتبطت به مسيرتي الأدبية والشعرية مذ كنت يافعاً، وصولاً إلى حاضري المُنشغل في الآتي. مع ذلك المفهوم ومع الأوفياء للكلمة وحقها علينا، بدأت تتكشّف خفايا ذاتي الحالمة المنشغلة بجوهر العلم، ومزايا الفكر، وجوهر الحياة... كل تلك العوامل أيقظت في عقلي ونفسي شعور التحدّي، متخطياً حدود

الوقت وقيد التردد. وهذه التجربة التي خضتها بمفردي لم تكن سهلة. لقد انتابني القلق، ولكن الطموح كان وما زال رفيقي، فتسلّحت بالإيمان، وبذلك النور الآتي معي منذ ولدت.

أما الناحية المهمة التي لفتت انتباهي وربما غيري من الأدباء في بلاد الاغتراب وتحديداً في أستراليا، هي التفاعل والتناغم الحضاري بين بلد المنشأ والبلد المُضيف، عبر نشر الفكر والإنتاج الأدبي، حيث فُتحت لنا آفاق جديدة ووحدة فكرية، فأظهرتا الوجه الحضاري للوطن الذي أتينا منه، وبصورة مغايرة عما تفرزه بعض وسائل الإعلام من شوائب وصفات مشبوهة بحقّ المبدعين. وهنا يظهر دور الأدباء في بلورة الصورة الحقيقية وإظهارها على نحوٍ يتوافق والقيمة المعنوية لناشري الفكر المنغمسين في بحور الإبداع، من أجل خلق مجتمع أسمى وأرقى وأبهى...

وعليه فإن هذا الترابط الفكري بين المجتمعات والتناغم الفكري خلقا في نفسي حالة فريدة، حددّتُ من خلالها الهدف الأسمى لشخصيتي، ولتطوير نظريتي لمفهوم الحياة الشامل العميق، يقيناً مني بقدسية الكلمة وعظمتها كمفهوم حضاري، وصيغة أزلية يتجلى فيها الوعي، كجسر عبور باتجاه الرقي الروحي والمعنوي. وككل أديب ومفكر وشاعر، نسجتُ لروحي مملكة فكرية أنتمي من خلالها إلى مجتمع نموذجي متحضّر فتح أبوابه للكثيرين، فكان العالم الجديد المُختلف بكل المقاييس، حيث التقيت مع النخبة من حاملي القلم وأرباب المعرفة، وناشري الفكر في المهجر الأسترالي، والذين حققوا حركة فكرية راقية ونموذجية، عبر رؤية مستقبلية فريدة لمفهوم الحياة.

أما إذا كنت سأتحدّث وأسرد قصص المبدعين في المهجر الأسترالي، فلا غضاضة من ذكرهم والحديث عن معظمهم، ولكن إنصافاً وتقديراً، لا بد لي من الوقوف بكل محبة وتجرّد أمام مبدعٍ ومفكر من بلادي، عبقري ومجدّد، لا بل رائد التجديد بين أواخر القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، وهو

برأيي عميد المُفكرين المُحدثين، وصاحب التجربة الأوضح والأجدر في مسيرة أدبية متكاملة، ألا وهو الشاعر والأديب والمؤرخ الكبير الدكتور جميل الدويهي، صاحب مشروع "أفكار إغترابية" للأدب المهجري والذي حمل على منكبيه وعلى عاتقه عبء الحداثة الأدبية وخاصة الشعرية، ففتح باب البحث عن تجليات الفكر إيماناً منه بالعطاء الراقي، ومسيرة الإنسان المعرفية الطويلة الشاقة، وكأني به أصبح محور الوعي وقطب الثقافة والمرجع للتطور والإبداع الأدبي، وإذا قلت عنه بأنه الأب الروحي لمعظم الشعراء والكتاب المبتدئين، فتلك حقيقة ناصعة وجليّة للعيان، وليست مبالغة... نعم وألف نعم، فإن الدكتور جميل الدويهي ارتقى بتفكيره المتحرّر من الأنا الفردية ليصبح الشاهد على ولادة جيل جديد من الشعراء والمبدعين، جديرة بالاهتمام، آخذاً بعين الإعتبار القدرة الخلاقة لدى هذا الجيل الجديد الواعي. كيف لا وهو العارف بمفهوم العلاقة الجدلية بين الإنسان ومجتمعه؟ فمن خلال تلك العلاقة القيّمة كانت له نظريّاته الخاصة والمضيئة، حيث يحقق الكل ذاته ويبني شخصيته بثقة وعنفوان.
ومع تلك المسيرة كانت للدكتور جميل الدويهي جائزة تحمل اسمه وهي "جائزة الأديب د. جميل الدويهي "أفكار إغترابية" للأدب الراقي"، وقد شرفني الحصول على تلك الجائزة لسنة ٢٠١٨ عن مدينة ملبورن، وهذا هو أعظم دليل على تواضعه وحبّه لأبناء مجتمعه ولأهل الفكر والأدب، فلا يميّز بين عرق وعرق، وبين جنس ودين... إن الحديث عنه لا ينتهي هنا، فمن يقرأ الدكتور جميل يقرأ حالة فريدة وميزة في مجالات الأدب والشعر، وخاصة التجليات الفكرية في قراءاته العميقة للحياة والوجود.
ختاماً، تحية محبة وتقدير للدكتور جميل الدويهي في المقام الأول، ولكل الذين ساهموا في تطور مفهوم الفكر، وناضلوا بالقلم، ورفعوا شأن العلم، للحفاظ على القيم المعنوية في حياة البشر، سائلاً سبحانه وتعالى أن يفيض بنور المعرفه على خلقه، لما فيه خير الإنسان والإنسانية جمعاء.

الورقة ٣٥ - الباحث يوسف جورج الحداد* - سوريا
البناء الأسطوري عند أدباء الرابطة القلمية
(جزء من رسالة ماجستير بإشراف الدكتور جودت ابراهيم* - جامعة البعث حمص)

إنّ هذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء مجدداً على بعض الأدب المهجري وتشكيلاته ومكوناته ومصادر التّناص فيه، والوقوف على بناه الفنية والفكرية والجمالية، ومقارنته مع الأدب العربي في المشرق العربي، للوقوف على المشترك والمختلف، وعلى أوجه التجديد فيه، وكل ذلك يدفع الباحثين في الأدب المهجري إلى تجاوز القرن الماضي وما قبله، وشعر الروابط في أمريكا الشمالية والجنوبية، وتجاوز شعر هؤلاء الشعراء الذين أغنوا الشعر العربي وجدّدوه وقدّموا تجربة مهمة في تاريخ الأدب العربي بشكل عام والشعر بشكل خاص، التجاوز بهدف البحث عن التجربة الجديدة لأدباء المهاجر الجديدة والمهاجرين الجدد في النصف الثاني من القرن العشرين، والربع الأول من القرن الحادي والعشرين، في أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا وأستراليا، والتركيز هنا ضمن أعمال هذا المشروع النهضوي يكون بصورة خاصة على أستراليا التي لم تأخذ حقها أصلاً في البحث والتمحيص عن الشعراء والشعر العربي- الأسترالي الذي لا نعرف عنه كثيراً، وتأتي أهمية هذا المشروع من كونه سيكشف الجمال المخبّأ في الشعر العربي المغمور في هذه القارة وغيرها ما أمكن ذلك.

نتوجه بالشكر الجزيل لصاحب هذا المشروع النهضوي الشاعر الدكتور

جميل الدويهي ومن يعمل معه في هذه المبادرة، ونحن الباحثين الأكاديميين في الجامعات ومراكز البحوث والهيئات ذات الصلة داخل الوطن يترتب علينا المبادرة على تسليط الضوء على هذا المشروع من جهة، والقيام بالدراسات الأكاديمية على هذا الشعر المهجري، شعر الاغتراب الجديد المستجد حيثما وجد في قارات العالم، وعلينا مواكبة هذا الجديد الذي لم نتوجه إليه بصورة جدّية للكشف عنه وتقديمه لشعبنا العربي والشعوب الأخرى.

لتتضافر جهود الجميع لإنجاح هذا المشروع المهم ووضعه تحت المجهر والكشف عن الغث والثمين الذي هو فيه. ونحن نعلن فرحنا بهذا المشروع وهذه المبادرة، ويسعدنا أن نشارك فيها.

أولاً: الآلهة والشخصيات والأساطير في المقالة:

١ـ الآلهة و الشخصيات الأسطورية:

ـ (أبولو): وردَ ذكرٌ له في مقالِ (الموسيقى) لجبران خليل جبران، وهو أحدُ الآلهة الكبار في الميثولوجيا اليونانية، و البطل الثامن في الألومب، وهو سيد الموسيقا، وربُّ الحقيقة وله مهمّاتٌ أخرى.([١])

في هذا المقال الأدبي يسعى الأديب إلى اثباتِ قدسيةِ الموسيقا بعرض العديد من الصور والتشبيهات، فالموسيقا عنده لغةُ النفوسِ، و"هي جسمٌ من الحشاشةِ، له روح من النَّفسِ، وعقل من القلبِ"([٢]) و الموسيقا" كالمصباح، تطرد ظلمةَ النّفسِ، وتنيرُ القلبَ فتظهرُ أعماقه"([٣])

وهو يقول أيضاً في الأصواتِ التي تصدر عن الطبيعةِ والكائناتِ الحيّةِ والتي تخاطبُ الإنسان:

" أصواتٌ تناجيهِ بلغةِ خفيّةٍ، وضعتها الحكمة قبلَ كيانِه، فتحدثت نفسُه والطبيعة مرّات كثيرة، وهو واقفٌ معقودَ اللّسانِ حائراً، وربما نابَ عن لفظه الدّمعُ، والدمعُ أفصحُ مترجم"([٤])

إنّ الموسيقى تثير في نفسِ الأديبِ العديد من التساؤلات، فمن أين

جاءتْ ؟ و ما مصدرُها ؟ و أين تذهب ؟ وفوق ذلك كيف يتكوّنُ منها اللّحنُ ؟ و كيف يؤثّرُ هذا اللّحنُ في نفس الإنسانِ ؟ فجبران في تأمله أصوات الطبيعة مندهش يعلم أن منشأ الصوتِ فيزيائيٌ ، و لكن كيف يتحوّل إلى موسيقا ولحن، فهو حائرٌ لا يعلم ولذلك يقول:

" الألحانُ في قضائي أشباحُ الذّاتِ الحقيقيةُ أو أخيلةُ المشاعرِ الحيّة.

والنّفسُ كالمرآةِ المنتصبةِ تجاه حوادثِ الوجودِ وفواعلهِ تنعكسُ عليها تلك الأشباحُ و صورُ تلك الأخيلة"([٥]).

يقابلُ هذا الصوتَ الفيزيائيَّ عالمٌ ميتافيزيقيٌّ، وهو عالم جبران يدأبُ في البحث عن ما يثبته، وهو ملجأُه وكل ذلك يدعوه لذكر شخصية (أبولو) ليعزز نزوعه الخياليَّ الذي ينشأ من التفكيرِ بماهية الأشياء:

"وقالوا: إن رنّاتِ أوتارِ أبولون صدى صوتِ الطبيعةِ. رنّات شجيّةٌ ينقلُها عن تغريد الطيورِ وخريرِ المياه وتنهداتِ النسيمِ وحفيفِ أغصانِ الأشجارِ"([٦]).

ولا تخفى علاقة هذا النص بأفكار أفلاطون عن الوجود، فإلهام الآلهةِ مصدرُ كلِّ شيء، ومن ضمنها الفن وفي هذا اثبات للجانب الميتافيزيقيّ، ورجحانٌ له في مقابلِ الطبيعةِ الماديّة، والفنُّ هو تعبير عن ترقّي الإنسان إلى مستوى الآلهة.([٧])

وعلى هذا نلاحظُ كيف استخدم الأديب هذه الأسطورةَ، فقد قدّم الصور التي توافق دلالةَ هذا الإلهِ مستعيناً بحدسهِ الشعريّ الذي يفهم لغةَ الطبيعة الخاصة ويترجمها صورا مفعمة بالعاطفة.

ـ(أرفيوس): ساقَ الأديبُ قصّةَ هذه الشخصيّةِ الأسطوريّةِ في المقالِ السّابق نفسِه، ليثبت قدرة الفنّ الإلهيّة، فقد استطاعَ (أرفيوس) بعد وفاة زوجه التي لدغتها أفعى أن يحنّنَ قلبَ الآلهةِ بعزفِه وغنائِه ففتحتْ له أبوابَ الأبديّة كي يلتقي بها.([٨])

ويطلقُ الأديبُ على هذه الأساطيرِ صفةَ المبالغاتِ الشعريّةِ وهي " مصدرُها

رقّةُ العواطفِ ومحبّةُ الجمالِ وهذا في عرفِ الشّعراءِ الشّعرُ؟"([٩])
فالأسطورةُ عنده أسلوبٌ للتعبيرِ عن المشاعرِ الإنسانيّة، والخوارقُ الموجودةُ فيها يسوّغُها تفسيرُ المقاصدِ منها.
ـ(بروميثيوس): هو أحدُ أبناء الطّيطان([١٠]) واسمه (أيابيتوس) عرف بمساعدتِه للبشر إذ سرقَ النّار من زيوس كبيرِ الآلهةِ اليونانيّةِ وعلّم سرَّها للإنسان الفاني.([١١])
يحكي لنا الأديبُ (ميخائيل نعيمة) قصّة هذه الشخصيّةِ في مقال بعنوان (فاكهة الشتاء) إذ يقول فيه:
"جلستُ بالقربِ من وجّاقي في شهور الشّتاءِ الطويلةِ. ترحّمت آلافَ المرّات على (بروميثيوس) الذي سرقَ سرّ النّارِ من الآلهةِ وأعلنَه للبشرِ. فكان جزاؤهُ أن شُدَّ بسلاسلَ إلى صخرةٍ في جبالِ القوقاس حيث راحتْ كواسرُ الجوّ تُعملُ فيه مناقيرَها وخالبَها نهشاً وتمزيقاً. فما ندّتْ عنه صرخةُ ألم ولا علامةُ ندامة."([١٢])
بدأ الأديبُ هذه المقالةَ بحكايةِ سرقةِ (برميثيوس) للنارِ وتعليمِه سرَّها للبشر وتجاوزها إلى دلالة النار المقدّسة التي لا بد لدفئِها أن يدخلَ قلبَ الإنسان كي ينعم بها و يكتشف أسرار الوجود.
وبعد ذلك شرع يصوّر حاله مع البرد الذي ينتقل إلى كلّ شيء فتُشَلُ بسببه حركةُ الإنسانِ، ويتحوّل بعدها إلى إشعال المدفأة التي تسترجع الحركةَ في منزله.
ومما يضفي جماليةً خاصّة على هذه المقالة التساؤلُ الميتافيزيقيُّ الذي يثيره الأديب، والذي عنى به أيضاً قدسية النار التي يجعلها معادلاً موضوعيّاً "للمحبّة" حيث يقول:
" أولعلّك، إذ تمسكُ الحطبةَ الباردةَ لتطرحها في النّار تعجبُ أنّها حالما تلامسُ شقيقتها تلتهب هي كذلك. فتسأل نفسك أين كان اللّهيب كامناً فيها؟ و من أين جاء؟ وإلى أين يمضي؟ ولماذا لا يطلق النار الكامنة في

الأشياء غير النار ؟"([١٣])
وبعد ذلك ينتقلُ من اشتعالِ النّارِ و الدفءِ إلى طلب دفءٍ من نوعٍ آخرَ ونارٍ مختلفةٍ:
" نارٌ وقودها قلوب عامرة بالمحبة و عقول تشعّ إيماناً برسالة الإنسان وأرواحٌ تلتهب شوقاً إلى العدل والحرية و السلام"([١٤]) كل ذلك ليعودَ الأديبُ إلى (بروميثيوس) وإلى النّارِ المقدّسةِ التي تلتهب بالحكمة فتجعل الإنسان أقرب إلى الإله، ولهذا السبب غضب (زيوس) حينما علّم (بروميثيوس) الإنسانَ ذلك السّرَّ فقد علّمه كيفَ يستخدم عقلّه وكيف تصبح تلك النارُ سبيلَه كي يقترب من درجة الإله.([١٥])
ولا يغيبُ عن ذهن القارئ أنّ الطريقَ الذي يسلكه من يطلبُ الحكمة، أو الحرية، أو أي قيمة من القيم المجردة الكبرى، لا بدّ له أن يتذكّر أنّ يد القدرِ (الآلهة) يد قوية لا ترحم وهي فوقَ إرادة الإنسان الفاني، لذلك كان العقابُ قاسياً وشديداً، ولذلك أيضا تمسك (بروميثيوس) بهدفه و لم يعبأ بالنتيجة، وفيما بعد قد تحرّرَ (بروميثيوس) على يد بطل جديد، ونفهمُ من ذلك أنّ الأساطيرَ كانت تطمحُ إلى تقديم أبطال جدد في العصور المتلاحقة، ويُلاحظ عند دراسةِ سمات هؤلاء الأبطال أنّ البطلَ في النّهايةِ يقعُ في مأساةٍجديدةٍ تمهّد لظهور بطلٍ جديدٍ و هكذا دواليك، أو يتحولُ البطلُ في النهاية إلى شخصيةٍ لا تأثير لها، كما نلمح في شخصيّةِ (هرقل) محرر (بروميثيوس) الذي استراحَ في نهاية أعماله في بيوتات النعمة([١٦]).
ومن الجدير بالذكر أن الشخصياتِ الأسطوريّةَ تخضعُ للتطور على أيدي الشّعراء والأدباء، ولا سيما إذا نظرنا إلى الفروق الزمنيّة بين النّصوص التي نقلها واشتركَ فيها عددٌ من الشّعراء الإغريق، فقصة (بروميثيوس) مثلاً أخذتها الكاتبة (أديث هاملتون) عن شاعرين يفصل بينهما أربعمئة وخمسون سنةً، هما (أسخيلوس) الإغريقيُّ و (أوفيد) الرومانيّ([١٧])، ويفترق الشاعران في النظر إلى الأسطورة، فقد طغت نظرة القداسة على

الأساطير و مضامينها الفلسفية عند (أسخيلوس)، فيما نجد عكسَ ذلك عند الشاعر (أوفيد) كما ترى الكاتبة.([١٨])
أما الأديبُ (ميخائيل نعيمة) فقد التزمَ بقدسيّة الشخصيّةِ الأسطوريّةِ، وسبب ذلك نظرتُه المثاليّةُ الأفلاطونيةُ، وهو مبدأ اشترك فيه أدباء الرابطة في أغلب نتاجهم الأدبي كما سيتبيّن لاحقاً.
ـ(مارس): إلهُ الحربِ عند الرومان وعند الإغريق، اسمه (أريس)، وهو ابن (زيوس) و(هيرا)، صوّره الشّعراءُ الإغريقُ بصور بشعة بينما أحبّه الرومان "يسمّيه هومر السّفاحَ و الدمويَّ واللعنة الدائمة على البشر"([١٩]).
ويذكر الأديبُ (ميخائيل نعيمة) هذا الإلهَ في معرض حديثِهِ عن الحربِ العالميّةِ الأولى، حينما دُعي إلى الخدمة العسكريّة لصالحِ الولاياتِ الأمريكيّة المتحدة حيث كانت إقامتُه بين نيويورك وبنسلفانيا، فيفتتحُ هذا المقالَ الأدبيّ بقوله:
"عندما يخطرُ في بال مارس ـإله الحرب ـأن يعبثَ و يلهو ليبددَ عنه ساعةَ سأم، ينفخ في الخضمّ البشريِّ نفخةً تبدو مداعبةً لطيفةً في أوّل الأمر. ولكنّها لا تلبث أن تنقلبَ إعصاراً يثير ذلك الخصمَّ حتى الجنون. فتضطربُ أمعاؤه أيّما اضطرابٍ وتروح أمواجُه تختبِط و كأنّ بعضها يحاولُ أن يبتلعَ البعض الآخر. ويهتبلها مارس فرصةً مؤاتية، فيلقي بشباكه في الأمواجِ الصاخبة. وليس من يعلم عددَ الأسماكِ و أنواعَها التي تعلق في الشِّباك، وأيّها تتاح له النجاة، وأيها يُقضى عليه بالهلاك".([٢٠])
يصوّر الأديبُ هذا الإله كصياد يلقي شباكه في البحر ليصطاد الأسماك، في (بحر البشريّة) الذي يكون في حالة الحرب كالأمواج المتلاطمة، وهذا الصياد ماكر حَذِقٌ يغتنم فرصتَه كي يصطاد، فيعلق في شباكه الكثير من هذه الأسماكِ ويهربُ بعضُها طالباً الفرار.
يُلاحَظ في هذا التصوير الأسطوريِّ القدرةَ البيانيّة التي تستجلي صفات هذا الإله كما أُثِرَت عن الشعراء الإغريق، فهذا الإلهُ عندهم كريهٌ بغيض، يفرّ

منه حتى الأبطال وهو (الإله الغشوم) و (الجبان).([٢١])
ومسوِّغ ذلك أنّ الحضارةَ التي قدَمها الإغريقُ للبشريةِ حضارةٌ زراعيةٌ ومعرفية، همّها الأوّل دراسةُ الظواهرِ الكونيةِ وتفسيرِها، فيما نجد حضارةَ الرّومانِ كانت تقوم على الحرب، والغزوات، وهذا ما دعا شعراءها إلى تمجيدِ الإله (مارس)، وتصويره أجملَ الصّور في ملحمة (الإنياذا) فهم يهشّونَ له و يبتهجون حينما يرَون الموتَ في ساحات القتالِ، و قد عدّ الرومان أنفسَهم (أبناء مارس) وكانوا يهتفونَ له (مارس فيجيلا) أي (مارس المتيقظ).([٢٢])
أمّا الأديبُ فقد قدّم صورةً مختلفةً تحملُ ذاتَ الجّوهرِ الذي صوّر به الإغريق ذلك الإله، إنّه ينتظرُ البشرَ عندما تضطربُ دواخلهم بالبغضاء والحسد والحقد ليلقي شباكَه، وحينما تعلقُ الأسماكُ في هذه الشّباكِ تصبح أسيرةً تنظرُ الخروجَ والهربَ، ولكن هيهات، ولهذا يكملُ الأديبُ حديثَه عنه عندما قطعَ عليه كتابة (الأرقش)، وهي الرّوايةُ التي قدّمها الأديبُ ليبيّنَ حالَته الوجدانيّةَ والتأمليّةَ في بلد المهجر، فيقول:
"إلّا أنّ سيدَنا (مارس) ـ لا صلى الله عليه و لا سلم ـ لم يكنْ يحفل بما تلدُه الأقلام. و يهمُّه ما تلده الأرحام. لأنّ مواليدَ الأرحامِ كانت ـ وما برحت ـ وستبقى الصّيدَ المفضّلَ في شباكه. والوقودَ الأشهى لنيرانه. ومن حسنِ حظّه أنّ الأرحامَ لا تنفك تحبلُ وتلد. وأنّ الناسَ ـ حتّى اليومِ ـ لم يحزموا أمرَهم على تحدّيه، وتشهيرِه، والبصقِ في وجهه، يا لهم مِن جبناء! يا لهم من أغبياء! يا لهم من معتوهين!"([٢٣])
لاحقاً استطاعَ الأديبُ ميخائيل نعيمة أن ينعتق من هذه الشّباك، ليستأنفَ مسيرتَه الأدبيّةَ من جديد، وينضمَّ مع رفاقه لإنشاء الرّابطةِ القلميّة، و يفتعلَ حرباً جديدة من نوع آخر، حرب سلاحها الكلمة الحرة "حرب الكلمةِ المجنّحةِ تغدو خنفساءَ في يدِ الذين تخيفُهم أن تكونَ لخيالهم أجنحة"([٢٤]).

إنّ الحرب لدى الأديبِ شيء غيرُ مقدسٍ مهما كانت غايتُها، ومن خلال هذا التوظيف الأسطوري لشخصية الإله (مارس) تتضحُ كيفيةُ تعاملِ النّصّ الأدبيّ مع العناصر الخارجيّةِ التي تتقدّم الشعور.

من السّهلِ كثيراً أن يرفض الكائن البشريُّ مثلَ هذه العناصر الغريبة عن كيانه، لكنّ الجماليّةَ التعبيريّةَ تكمنُ كما مرّ سابقاً في البحث عن المعادل الموضوعي، وقد استجلبَ الأديب ذكر ذلك الإلهِ بما يحتويه من صفات خاصة، ووظّفه في نصّهِ الأدبي في علاقة حضوريّة مطابقةٍ لصفاتِ هذا الإله والشّعور الخاص به([٢٥])، وقد أغفلَ عن الصفاتِ الأخرى التي لا توافق توجهه الحضاري، فيما نجد أديباً آخرَ يجعل من ساحاتِ الوغى جنّةً ونعيماً (...) ([٢٦]) فالأسطورة في مجملها نصٌّ شموليٌّ يخضع لـ(أنا) الإنسان المتبدلةِ تبعاً لتبدّل العناصرِ الخارجيّة، أما الشخصيّة الأسطوريّةُ فكائنةٌ لا تتغير.

٢ـ الرموز الأسطوريّة (الكائنات):

ـ طائر الفينيكس: يذكر الباحث حنا عبود هذا الطائر في معجمه قائلاً:

" في الميثولوجيا اليونانيّة يعتبرُ الفينيقُ طائراً أسطورياً مرتبطاً بربّ الشّمش (رعْ) وبربّ الشّمس الإغريقيّ فويبوس (أبوللو). في المعتقد اليوناني يعيش الطائرُ في الجزيرةِ العربيّةِ بالقربِ من بئر ماء بارد المياه(...)

لا يوجد في الوقت الواحدِ سوى طائرٌ واحد. وعندما يقتربُ الموتُ يشعرُ به فيتوجبُ عليه أن يبني عشّاً من الأوراقِ المعطرةِ أو من شجر البخورِ ويضرمَ فيه النّارُ ويحترقَ باللّهب. عندما يحترقُ يخرجُ فينيقٌ جديدٌ من المحرقة. وعندئذٍ يحملُ الجديدُ رمادَ القديمِ في بيضةٍ من المرّ، ويطيرُ بها إلى (هيليوبوليس) (معنى الكلمة مدينة الشمس) وهناك يضعُ البيضةَ على مذبحِ إلهِ الشمس. وفي مصرَ يرسمونَهُ على شكل مالك الحزين، ولكن في الأدب الكلاسيكي اليوناني يُرسم على شكلِ طاووسٍ أو على شكل نسر. يرمزُ الفينيق إلى الأبديّة والخلودِ والبعثِ المتجدّدِ و الحياةِ بعد الموت"([٢٧]).

يتضح بداية و بشكل مبسّط أنّ هذا الكائنَ الأسطوريَّ يرمزُ إلى التّجددِ، وهو إحدى الصّورِ التي تمثّلُ دورةَ الطبيعةَ المتجدّدة، والملاحظُ أيضاً أنّ المنطلقَ التمثيليَّ لهذه الأسطورةِ هو النّار، بينما نجدُ في أساطير أخرى النباتَ هو الذي يجسّدُ هذه الدورة، والنّباتُ شكلٌ من أشكالِ هذا التمثيلِ، غير أنّ هذا الكائن كما مرّ يرتبط بعبادة إله الشّمس، ولهذا كانت النارُ هي مجال تصويره، في تلميح إلى تجدد الطاقة، ولكنّ هذه الأسطورة تبيّن ماهيةَ تجدّدٍ لشيءٍ من ذاته، من غير أن تلتفت إلى التطور الذي يحصل جرّاء هذا التجدد.

و في كتاب (صوت العالم) للأديبِ ميخائيل نعيمة مقالٌ بعنوان (طائر الفينيق) يشرحُ فيه هذه الأسطورة، ويفرّقُ بين الوهمِ و الخيالِ، فيرى أن مصدر هذه الأسطورة هو الخيال فيقول:

"ألا فليزجّني من شاءَ بين القدماءِ والبسطاء. لأنّني أؤمنُ بالفينكس. وأنا أؤمنُ به لأنّني أؤمن بالخيال الذي ابتدعَه أو ليس الخيالُ حقيقةً ؟ إذن كلُّ ما يحبلُ به الخيالُ ويلدُه ويغذّيه، أكانَ أجملَ الجميلِ أم أقبحَ القبيح، يشترك في حقيقةِ الخيال. ونحن لو نظرنا في الخيالِ الذي يعملُ بغيرِ انقطاعٍ لوجدنا أنّ ما دونَ النزرِ من أعمالِه يتخذ شكلاً محسوساً. فلو رضينا بهذا النّزر وحده حقيقة، ونبذنا ما تبقّى كما لو كان وهماً أو غير حقيقة، إذن لكان الخيال ذاته خرافة، والإنسان نفسه أسطورة."([٢٨])

ومن هذا القول يتبيّن فهمُ الأديبِ الدقيقِ لأسلوبِ الأسطورةِ في التعبيرِ عن الظواهرِ الكونيّةِ و المشاعرِ الإنسانيّةِ، إذ جعلَ الخيالَ وسيلةً للخروجِ من الحيّز الماديّ الضيق والبحث عن القوّة التي تؤلّف تلك المادة، ومن خلال الخيال يكتسب الإنسان القدرة على الخلق، لأن أصلَ العلومَ الماديّةِ هو الفرضيةُ التي تقومُ على الخيالِ، و لذلك يشرعُ في نقلِ بعض اِلروايات التي تحدّثتْ عن هذه الأسطورةِ([٢٩]). ويقارنُ هذا الطائرَ بطائرٍ (البنو) المصريّ الذي يخلق ذاته بذاته أيضاً، وفي المجمل تعد هذه المقالة محاولةَ إثباتٍ

لمعتقد الخلود الذي يشكّل إحدى مرتكزات أدباء الرابطة العقائديّة.
والأديبُ يتتبّعُ رموزَ الأسطورةِ و يستنبطُ المسائلَ الفلسفيّةَ التي تحتوي عليها فيقول:
" ثمّ إن النّاس يباهون بما يدعونه (نمواً) و (تقدماً). أمّا الفينكس فكأنّي به يقول أن ليس في الحياة نموٌّ و تقدمٌ. إذ إنّ كلَّ ما ينمو يحملُ في داخلِه جراثيمَ انحلاله. و كلَّ ما ينحلُ لا يدوم. و كلَّ ما لا يدومُ لا وجودَ أو لا حقيقةَ له في ذاته. بل هو يستمدُ حقيقةَ وجودِهِ من الحقيقةِ الواحدةِ التي هي اليوم مثلُها أمس. وغداً مثلُها اليوم فلا يطرأ عليها أقلُّ تغييرٍ أو تبديل. وهي لا تنمو إذ لا شكلَ لها ولا قياس، و لا بدايةَ ولا نهاية. وهي لا تتقدمُ إذ ليس في الوجود ما هو خارج عنها لتتقدّم من ذاتها إليه. والفينكس يقول إنّ السبيل الأوحدِ إلى النموّ هو بالنقصانِ أو بالتقلّص ـ بالتجرد من الأشكال الخارجيّة للوصول إلى الحقيقةِ الكامنةِ في الأشكالِ ـ إلى النار التي هي رمز الروحِ الكائنِ في كلّ شيء. و إنّ السبيل الأوحد إلى التقدم هو بالرجوع إلى الوراء ـ كلٌّ إلى هليوبوليسه."([٣٠])
وسبب تأكيد هذه المنطلقات الفلسفيّة في القول السابق هو بيان دقّةِ النّظامِ الذي تسيرُ عليه الطبيعةُ فلا سبيلَ إلى تغييره، بل الغايةُ هي فهمُ صيرورتِه في ثنائية النمو والانحلالِ، ولهذا يعقّب الأديبُ قائلا: " (...)، فكأنّي بالفينيكس الذي يعمر أجيالاً طويلةً يقولُ إنّ أعمارَ الكائناتِ موقوفةٌ على جمالِ حياتها الباطنيّة، وانسجامِها مع ذاتها و مع ما حولِها من كائناتٍ سواها. فهي تطولُ بطولِ ذلك الانسجامِ وتقصرُ بقصره"([٣١]).
ومن هنا يمكن القول: إنّ الأديب يسعى إلى فهم الحياةِ الحقيقيةِ في طبيعةِ مسيرتِها لا بظاهرِها الوهميّ، لأنها خاضعة للتغير المستمر، والفينيكس أيضا هو عرضةٌ لهذا الانحلال، ولكنّ الأسطورةَ تستخدمُ الأعجوبةَ بوصفها نوعاً من الالتفات، إي تعمد إلى شد الانتباه إلى الموضع الذي يحتاج إلى التفصيل والتقصّي، ولهذا جعلت هذا الفينكس يعيشُ زمناً طويلاً جداً حتى

يدركه ذلك الانحلال.
و يلاحظ في هذه الأسطورةِ أنّ الطائرَ عندما يتجدّدُ يخرجُ من رماده، أو يخرج من دودة كما في النّصّ الذي ساقه الأديب، والرمادُ والدودَةُ يحملان الدلالةَ ذاتها، إذ يشيران إلى الانحلال والولادة. وفي الدراسة النفسية عند (كارل غوستاف يونغ) يصنّفُ هذه الأسطورةَ تحتَ بندِ سيكولوجيا الولادة الجديدة، وهو شبيه بالطقوس الدرامية في القدّاس إذ تُمثّل ديمومة الحياة وثبات نظامها أمام تغير الأشكال. ([٣٢])
ويذكر الأديب في نهاية المقالِ أنّ هذا الطائرَ وحيدٌ لا رفيقَ له من جنسه، وهو ذكر و أنثى في آنٍ معاً، و هذه من الصفات التي تثبت عرضية الجنس الواحد التي يؤمن بها الأديب، وعلى العموم يمكنُ أن يرمزَ هذا الطائرُ إلى نموذج الأمِّ العظيمةِ أي الطبيعةِ التي تصنعُ الذكر والأنثى، وهي في حد ذاتها ليست بالذكر ولا بالأنثى. وتصوير هذا الطائر بالشكلِ السّابقِ يعدّ تمثيلاً لعقيدةِ التقمّصِ التي يؤمن بها أدباء الرّابطة.
ـ أبو الهول: هو إله مصري قديم مجسّد بتمثالٍ حجري عملاق على شكل أسد برأس إنسان. وثمّة الكثير من الدراسات الأثريّة التي تناولت البحثَ عن علاقة هذا الكائن الأسطوري بعبادة الإله (رع)، وكانت بعض الأبحاث تشير إليه بوصفه حارساً للآلهة، وأطلق عليه اليونان اسم (سيفنكس) وهي منحوتة من الكلمة المصرية (شسب عنخ) أي التمثال الحي.([٣٣])
استوحى أدباء الرابطة رمز هذا الإله فنجده عند جبران في(رمل و زبد)، وعند الأديب ميخائيل نعيمة في مقال بعنوان (الهرم الكبير والسد العالي) وقد تحدّث الأديبُ عن رمزيّة هذا الكائن الإله إلى جانب حديثه عن رمزية الهرم في الحضارة المصريّةِ القديمة، وفي ملخصه أنّ الهرم يجسد البنية الإنسانيّة السائرة نحو الكمالِ وفي هذا الصدد يقول:
"هناك المداميكُ المغمورة بالترابِ. أولئك هم الناس ما برحوا أجنةً في ظلمات الرّحم المولّدة ـ رحمِ الحياة.

وهناك المدماك الأوّلُ فوق التّراب. إنّهم الناسُ الذين قذفتهم الرّحم الموّلدةُ من الظلمةِ إلى النورِ. ولكنّهم ما خبروا بعدُ شيئاً من عجائب النّور(...)
وتمضي المداميكُ تتعدد، وتضيق، وترتفع. وكلما ارتفع مدماك خفّت عليه أثقالُ المداميكِ التي تحته. والارتفاعُ يعني اتساعاً في الأفق، وبالتالي اتساعاً في الخبرةِ و المعرفة. ثمّ يأتي الحجرُ الأخيرُ الذي يتوّجُ البناءَ كلَّه. ذلك الحجرُ هو الإنسانُ الذي اكتملتْ خبرتَه فاكتملتْ معرفته، فانتهى في الفضاء. في اللامحدود واللامتناهي أي خارجَ الزمانِ والمكان، وفوقَ الخير والشر(...)".([٣٤])
إنّ الهرم في الديانة المصريّةِ ينضوي تحت عبادةِ الإلهِ شمس، ولهذا يعدُّ الشّكلُ الهرميُّ تمثيلاً لرحلةِ الإنسانيّةِ السائرةِ في درب الانعتاقِ من قاعدة ذلك الهرمِ إلى المطلق في الفضاء الرحب اللامحدود، وقد عمد المصريون إلى تقسيمِ هذا الهرمِ ثلاثة مستويات: الجسدُ والنّفسُ والرّوح، وفصّلوا في خصائصِ كلٍّ منها، وفي المجمل تعد الفلسفة الهرمية شكلاً من أشكال التعبير المقدس لقصة خلق الكون والإنسان.([٣٥])
وبعد عرض الأديب لفلسفة الهرم يتوقف عند أبي الهول، وهو عنده تصويرٌ لكيان الإنسان الذي يتألف من جسد محكوم بالغريزة، وعقل يطمح إلى كبح جماحها، إنّه يجسد صراعَ الإنسان مع الحيون، ولهذا كان الرأس البشري يكلّلُه، ومن صور أبي الهول التي يطلعنا عليها الأديب ما نقع عليه في قولِه:
"هنالك أكثرُ من مثال واحدٍ لأبي الهول. منها ما هو برأس رجل. ومنها ما هو برأس امرأة ذات ثديين بارزين. ذلك هو عنوانُ الحياةِ المرضعة، الكريمة، المحبةِ حتى التفاني. ومنها ما هو، بالإضافة إلى الثديين، مسلّحٌ بجناحين قويين هما جناحا الخيالِ الذي لا يعبأُ بالحدودِ و السدود، ولا يلذّ له شيء مثلما يلذّ التحليق في الأبعاد".([٣٦])
أمّا الحدثُ التاريخيُّ الذي دعا الأديب لكتابة هذا المقال، هو بناء السّدّ

العالي في مصر، وقد جعله الأديب شاهداً على ارتقاء فكر الإنسان، إذ استطاع أن يصنع المعجزاتِ التي ما كان لإنسان أن يتصوّر وقوعَها، أما الصانعُ فهو الإنسانُ الذي لا حدود لقدراتِه، لأنّها متجدّدة متطورة لا تخضع لعوامل الزمن على عكس المادة التي يتكون منها، ولهذا يختمُ حديثَه بذكرِ طائر الفينكس الذي مرّ الحديث عنه سابقاً، ويقول في ذلك:

"سينحلّ كلُّ ما يصنعُه الإنسانُ بيديه. أما الإنسانُ المبدعُ، الخلاق، التواق، فسيبقى ينحلُّ ويتجدَّدُ كما ينحلُّ ويتجدَّدُ طائرُ الفينكس، إلى أن يقهر التحوّلَ والانحلال، وبقهرهما يقهرُ الزمان."([٣٧])

لقد بنى الأديب مقالَه على فلسفة الهرمِ ليثبت قدرة الخيال على تخطي عامل الزمن، ولذلك جعل الهرمَ عرضةً للانحلالِ والزوال، وقد عرض الأسطورة بشكل مبسّطٍ بما يتناسبُ مع ميزاتِ المقالةِ الأدبية، وقدّم في النهاية النبوءةَ الأدبيةَ التي نجدها في أغلب مؤلفاته، وهي حريّة الإنسانِ من ناسوتِه بعد قهرِ كلِّ العقباتِ التي تحوْلُ من الوصولِ إلى ذلك الهدف، ونلاحظ في المقالة أن الشّرح هو الغالبُ وليس البناءُ الفنيّ، مما يجعل النص الأدبي قريباً إلى الفلسفة، ولكنّ مجرّدَ وضعِ الأسطورةِ في مثل هذا السياقِ يُدخلُ النّصَّ إلى الأدبيّة، لأنها في بنيتها الأساسيّة هي فن تمثيليٌّ، فيما نجد عكس ذلك في ديوان الأديب الشعريّ (همس الجفون) وفي قصصه حيث نقع على قوالبَ فنيةٍ لهذه الفلسفاتِ التي تكون مشروحةً مفصلةً في المقالة.

---

* طالب دراسات عليا ، قسم اللغة العربية، جامعة البعث، حمص، سورية.

* أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البعث، حمص، سورية.

المصادر والمراجع:

(١): هاملتون، (أديث): (الميثولوجيا)، تر: (حنا عبود)، ، منشورات

اتحاد الكتاب العرب، سوريّة، دمشق، ط (١)، ١٩٩٠م ص ٣٨، وأيضاً: عبود، (حنا): (معجم الأساطير العالميّة)، ص ٦١، ٦٠ .
(١): جبران، (جبران خليل): (الموسيقى) المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، دار الخياط، سوريّة، دمشق، ط(١)، ٢٠١٤م ص١٢
(٢): المصدر السابق: ص١٢.
(٣): المصدر السابق: ص١٣.
(٤): المصدر السابق: ص١٢.
(٥): المصدر السابق: ص١٣.
(٦): مطر، (د. أميرة حلمي): (محاورات فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال)، دار غريب، مصر، القاهرة، بلا رقم طبعة، دون تاريخ، ص ١٠ وما بعدها.
(١): هاملتون، (أديث): (الميثولوجيا)، تر: (حنا عبود)، ص ١٥٧، ١٥٦.
(١): جبران، (جبران خليل): (المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية)، ص ١٤.
(٢): فريزر، (جيمس): (البيبليوتيكا المكتبة اليونانيّة)، تر: (حنا عبود)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقيّة، ط: (١)، ٢٠١٧م، ص ٩.
الطيطان هم الجبابرة من أبناء (الجلد) أوّل المخلوقات في العالم في الميثولوجيا اليونانيّة.
(٣): هاملتون، (أديث): (الميثولوجيا)، تر: (حنا عبود)، ص ١٠٩ وما بعدها.
(١): نعيمة، (ميخائيل): (مقالات متفرقة) المجموعة الكاملة، مج: (٤)، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط: (٢) ١٩٧٩م ص١٥٨ وما بعدها.
(٢): المصدر السابق: ص ١٦١.
(٣): المصدر السابق: ص ١٦٢.
(٤): عبيد، (اسحاق): (بروميثيوس في الأغلال، للشاعر أسخيلوس)،

مطبعة أطلس، مصر، القاهرة، بلا رقم طبعة، ١٩٩١م، ص ٩ وما بعدها.
(١): هاملتون، (أديث): (الميثولوجيا)، تر: (حنا عبود)، ص ٢٦٨.
(٢): المرجع السابق: ص ١٠٩.
(٢): المرجع السابق: ص ٢١.
(٣): المرجع السابق: ص ٤٤.
(١): نعيمة، (ميخائيل): (سبعون، المرحلة الثانية)، المجموعة الكاملة، مج: (١)، ص ٣٥٤.
(٢): هاملتون، (أديث): (الميثولوجيا)، تر: (حنا عبود)، ص٤٤، ٤

كلمة الختام: مؤسس مشروع أفكار اغترابية د. جميل الدويهي
دور أفكار اغترابية والنهضة الاغترابية الثانية - تعدّد الأنواع

مؤتمر لنهضة اغترابيّة ثانية، ولمَ لا؟
هذا السؤال طرحته في بداية مقابلة مع الأديبة كلود ناصيف حرب، مؤسّسة بستان الإبداع، الشريكة في المؤتمر، فمن غير المألوف ولا من باب الشجاعة أن يقف الإنسان مكتوف اليدين وهو يعمل، وينتج، ويتلقّى الصدمات يوميّاً، باعتبار أنّه لا يفعل شيئاً.
كلّ يوم تقريباً، أتذكرّ مقطعاً من مسرحيّة "جسر القمر" للأخوين رحباني، عندما يكون "مخّول" صاعداً على الدرج ومعه كيس كبير فيه طنّ من الأغراض، فيسأله "سبع" : شو هيدا اللي عا ضهرك ؟ فيجيب مخّول: هيدا ؟ ما شي.
مخّول يشبهني، ولكن لو وضعت كتبي، وإنجازاتي، ومجلّتي، ومهرجاناتي، وجلسات "أفكار اغترابية" الحوارية، ودوري، وأنواعي الأدبيّة، ومركزي الأدبي والإعلامي والأكاديمي، ورعايتي للكتب والمبدعين، وجهودي لمدّ جسور التلاقي بين أستراليا والعالم... فإنني أرى أنها شيء مهم، وأخذ سنوات من عمري، ومن صحتي، وليس من داع لتحييد الأنظار عن الإبداع تحت مسميات أخرى لا حقيقة لها.
لو لم يقدم "أفكار اغترابية" سوى رعاية الكتب لأدباء آخرين من أستراليا كل أصقاع الأرض، لكان هذا يكفي لأن يدل على تواضعه ومحبته. ونقطة على السطر.
لقد أفلح "أفكار اغترابية"، مشروعي الذي أطلقته في عام ٢٠١٤ أن يقدم

في أستراليا وحدها أضعاف أضعاف أضعاف ما قدمه اللائمون، ولكنه لم يتمكن من خلق حالة نقدية تواكب إنجازاته، بسبب الجدران التي تحيط به من كل جانب، وقد عوّض عن هذا الفشل أساتذة كبار حول العالم، عجز الحصار في الوصول إلى ضمائرهم الحية، فارتفعنا بهم ومعهم. وقد صدر حتى الآن ٢٠ كتاباً تتناول بالدراسة مشروعي وأعمالي شخصياً، وهذا اعتبره انتصاراً غير عاديّ، بل هو كانتصار هنيبعل على جبال الألب في شهر كانون الأول. وهناك كتابان الآن، حسب علمي، قيد الإعداد، واحد عن كتابي "في معبد الروح"، وآخر عن رواياتي الأربع.

هذا النجاح غير العادي، كتب عنه العديد من الأساتذة الذين قدموا أوراقاً إلى هذا المؤتمر الرفيع، بشراكة مع منتدى لقاء في لبنان، وبستان الإبداع. فليتني أجد لغة أعمق من البحار، وأرقّ من صَبا الشرق لأشكرهم... وهم رسل، كل بحسب المساحة التي عمل فيها. فما أعظمكم وما أكبر عطاءكم! أما الذين صمتوا، أو اعتبروا المؤتمر غير موجود، فإن الموجود هو موجود أيضاً، ولولا ذلك لما قيل إنه غير موجود.

لماذا المحبّة لأفكار اغترابية؟

كلمة محبّة هي الحبّة التي بذرها الفلاح في الأرض، فزاد عليها "ميم" المعاناة، وارتفعت سنابل وفيرة في الفضاء. ومن أين تأتي المحبة؟ هل هي عدوى؟ أم تحدث بفعل جاذبية الفرد، وجمال هيئته؟ لا. إنّها تحدث بناء على معطيات ووقائع، وقد نجح "أفكار اغترابية" في تقديم هذه المعطيات والوقائع، وكانت المقارنة تشع كما الشمس، فأهل الأدب والثقافة في كل العالم يعرفون "أفكار اغترابية"، وتعدد أنواعه، وجهوده التي لا تتوقف عند حدّ من أجل الحضارة والإنسان. وتعدد الأنواع هو ما يميّزنا، فلو قطعنا آلاف الكيلومترات لنقول شعراً فقط، لسألنا أنفسنا: ماذا نزيد على أحمد شوقي، وإيليا أبي ماضي، ونزار قباني، وسعيد عقل، والسيّاب؟ إن شعراً لا يقدّم أجمل من هؤلاء هو شعر، لكنّه عاديّ. أما الأدب الذي يحلّق بأجنحة

التنوع، من كل لون وطعم، هو الأدب الذي تعنيه كلمة "النهضة الاغترابية"، وقد أُطلقتْ أصلاً علينا، ولم تكن معروفة في أوساط الأدب إلا عندما أرسلها إلينا تحديداً، الدكتور كلوفيس كرم، والأستاذ محمد العمري، في أمسية قدّمنا فيها ٤ كتب (٢٠١٦) (كنّا نعتقد أن هذا الرقم خيالي في سنة واحدة، فإذا بنا نقدم ١٨ كتاباً في عام ٢٠٢١.) كان الناس في تلك الأمسية - المهرجان مندهشين من العمل الدؤوب والجهد الذي بُذل لإنتاج ٤ كتب، أي كتاب كل ثلاثة أشهر، ولم يكن في ذهننا قط أننا سنصل إلى معدل ٣ كتب كل شهرين. وفي عام ٢٠٢٢ لدينا ١٢ كتاباً للطباعة، وقد يكون العدد أكبر... هذه هي طاقة النهضة الاغترابية الثانية، التي لم ندّعِ يوماً أننا نستأثر بها، لكنها هدية قُدمت لنا من رجلَي علم وثقافة، ونحن اضطررنا مؤخراً لتغيير هذه التسمية إلى "النهضة الاغترابية الثانية - تعدّد الأنواع" لأنها تعبّر حقيقة عنا، وتميّزنا عن كثير من المؤسّسات. ولعلها المرة الأولى التي أكشِف فيها عن أن هذا المؤتمر بالذات كان ينبغي أن يحدث خارج أسترليا في عام ٢٠١٧ أو ٢٠١٨، تحت اسم "مؤتمر النهضة الاغترابية الثانية"، ويكون موضوعه دور "أفكار اغترابية" في هذه النهضة، لكن الظروف منعت إقامة المؤتمر، فأقمناه نحن، ونجحنا أيّما نجاح.

لقد قسمنا الكتب التي نشرناها إلى قسمين: قسم قبل "أفكار اغترابية"، أي عندما كنت لا أنتمي إلى أي مجموعة ثقافية، ومرحلة "أفكار اغترابية" بعد عام ٢٠١٤، عام التأسيس. وتجاوزَ عدد الكتب المنشورة ٩٢ كتاباً، منها حوالي ٤٣ كتاباً من أعمالي شعراً، وقصّة قصيرة، ورواية، وتأريخاً، ودراسات، وباللغتين العربية والإنكليزية.

ولم يكن "أفكار اغترابية" أنانياً، ولا متعجرفاً، ولا مغروراً، والدليل القاطع هو أنه نشر العديد من الكتب برعايته وعنايته، كان أولها للأديبة كلود ناصيف حرب "كلمات من أعماق الحبّ"، وقد رعينا لها ٩ كتب حتى الآن، الأديبة مريم رعيدي الدويهي (٨ كتب حتى الآن)، الفنان أليكس حدشيتي

(كتاب)، الشاعر أحمد الحسيني (كتابان)، الشاعر طوني رزق (كتاب)، الدكتورة عائدة قزحيا (كتاب)، الدكتور عماد يونس فغالي (كتاب مشترك معي)، الدكتور جوزيف ياغي الجميل (كتابان مشتركان معي)، الأديب سليمان يوسف ابراهيم (كتابان مشتركان معي)، الناقد نبيل عودة (كتاب مشترك معي)، وكتاب لأديبة لبنانية خارج أستراليا (كتاب الدكتورة ميرنا ريمون شويري كان قيد الإعداد)، إضافة إلى كتب عن جلسات حوارية ومناقشات (حوالي ٧ كتب)...

ليس شرطاً أن يعترف كل الناس بهذه الكتب، بل الشرط أن يعرفوا عنها. وقد يعتبرنا أحد خارج المعادلة أو الدائرة النقدية، ونحن قدمنا ظاهرة غير مسبوقة في التعدّد، وسيستمر الخلق والإبداع طالما في العروق دم وفي القلوب نبض، وهذا ما يحدث الآن حتى تحقيق الغاية، والوصول إلى أدب مهجريّ رفيع تتحدث عنه الأجيال. نقول "رفيع"، لأننا نرفض السطحية، والتهشيم، والتجريح، والكلام النابي والسوقي. ففي دستورنا أن اللغة مرآة صاحبها، والأدب صورة عن نفسيته.

هل حقق الأدب الاغترابي نهضته الثانية؟

بالطبع لا، فهناك طريق طويل، وما فعلناه يؤسس لمرحلة جديدة، فنحن نجاهد بعد حوالي ١٠٠ سنة من توقف الرابطة القلمية، وكنا نسأل دائماً: لماذا لم تتشكل رابطة أخرى عظيمة الشأن في المهاجر خلال المئة سنة ؟ ولو كانت النهضة الاغترابية الثانية تحققت معنا، لما كنا هنا في هذا المؤتمر نبحث عن وسيلة، ونسأل أهل الاختصاص والعلم أسئلة عن الحاضر والمستقبل، لكن العديد من الأوراق المقدمة إلى المؤتمر أشارت إلى أن "أفكار اغترابية" قدّم الكثير من أجل تلك النهضة، على الرغم من أن المنصات الخمس للمؤتمر لم ترد فيها لفظة "أفكار اغترابية"، ولا كان المطلوب البحث في ما حقّقه. ونحن نعتبر أن المحبة هي التي تكلمت عن نفسها، وأن المحبين أرادوا أن يبرهنوا عن تقديرهم للمشروع ودوره، فهو

مشروع مختلف، شئنا أم أبينا، وإنجازاته ساطعة، وكل يوم يفاجئ بابتكار جديد، وربما هذا ما قربه من قلوب الناس. وإذا كان هناك من لا يرون هذه الحقائق، فهذا أمر طبيعي، إذ ليس هناك من مُثل ولا مثالية، ولا شيء في الوجود محل إجماع، فما يراه البعض كثرة، قد يراه البعض الآخر قلّة أو انعداماً. وللدلالة على أن كلمة "أفكار اغترابية" لم تُذكر في المنصات، ها نحن نعرضها كما يلي:

١- للأدباء والمبدعين في المغتربات (تجربتي مع الأدب المهجريّ)
٢- للأدباء والمبدعين في لبنان والعالم العربيّ (رؤية لنهضة اغترابيّة)
٣- للأساتذة الأكاديميّين (الأدب المهجريّ - صورة الحاضر المتوهّج)
٤- للإعلاميّين (دور الأدب المهجريّ في إغناء الثقافة العربيّة)
٥- للمؤسّسات الثقافيّة في أستراليا والعالم (المسيرة بين المرتجى والواقع).

هذا كل شيء، ويدحض أي قول بأن المؤتمر كان له وجه دعائي فقط، علماً أن كل المؤتمرات لها وجه دعائيّ من ناحية ما. أما إثبات الوجود، فنعم وألف نعم، إذ لا نرضى بأن يغيّبنا أحد، أو أن يشطبنا أحد من المعادلة، أو أن يضع أحدهم إصبعه في عيوننا ليطفئها، فهذا ممنوع. كما أن مساواة "الحشر" لا تعنينا، فنحن نضع الأعمال في الميزان ونقيّمها، فهناك كتب تصلح لتأسيس مدن ومجتمعات فاضلة، مثل كتاب النبي لجبران، وكتاب مرداد لنعيمه، وإذا كان مذهبنا يصرّ على تقدير هذا النوع من الكتب، فهذا رأينا النقديّ، وليس انتقاصاً من أهمية أحد، فالنقد يقوم على القياس، مثل الرياضيات والفيزياء والهندسة...

وقد لفتنا أساتذة أكاديميون في أوراقهم التي وضعوا فيها اقتراحات مهمة، سنأخذ منها ما أمكن، ونعتبرها توصيات. وكنا أشرنا إلى أهداف المؤتمر، وهي:

١- استطلاع المشاركين حول إمكانيّة تأسيس نهضة اغترابية ثانية، بعد الرابطة القلمية (١٩١٦-١٩٣١).

٢- إشراك أكبر عدد ممكن من الدارسين والأكاديميين والأدباء والإعلاميين في منصات لتأريخ رؤيتهم حول أدب المهاجر والمنجزات التي قدموها، هم أيضاً، من أجل الحضارة والإنسان.
٣- عرض تجارب أدباء في المهاجر المختلفة، ورحلتهم مع الإبداع، في جوانبها الإيجابية والسلبية. ومن خلال ذلك، التزامهم بقضايا الوطن وهموم ناسه، وهم بعيدون آلاف الأميال عن بلادهم.
٤- دور مشروع "أفكار اغترابية"، أو أي مشروع آخر، في نهضة اغترابية مأمولة، والصعوبات التي تكتنف أي مسيرة من هذا النوع ، خصوصاً في بلاد الانتشار.
٥-الوصول إلى ورقة حواريّة مشتركة، يمكن البناء عليها، ومعرفة عوامل القوّة الضعف، أو أخطاء تحتاج إلى تصحيح، قبل تحقيق أي نهضة اغترابية ثانية، تقوم على الفرادة والتنوّع والخروج من نمطية النوع، كتلك التي حققها المهاجرون في القرنين التاسع عشر والعشرين، في الأميركتين.
يلاحظ أن بعض هذه الأهداف رؤيوية، وتأسيسية، وبعضها الآخر تأريخية أرشيفية، ولأن المنصات مختلفة كان لكل ورقة طعمها ونكهتها وغايتها، لكنها كلها انصبت في إطار العمل الجاد، سواء ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً، من أجل التأسيس والمتابعة، فلا أحد قدّم ورقته ثم انعزل عن العالم وقرر أن يكسر قلمه، وهذا ما يشعرنا بأن الأمل معقود علينا جميعاً للمضي قدماً في نهضة من أجل الحضارة والإنسان، تواجه السقوط المدوي في السياسة والحروب والطائفية والنزاعات الصغيرة التي يدفع ثمنها الأبرياء. فللأديان دورها، ونحن لنا دورنا في توحيد الأديان معاً ديناً واحداً هو دين الله. وكل واحد منا هو كاهن المعبد الذي يضيء الشموع ويصلي من أجل خير البشرية.
ولم نعد بحاجة إلى ورقة مشتركة، فكلنا شركاء، وأوراقنا متكاملة، تشكل جميعاً كتاب الإنسان، ليكون مرجعاً للأجيال، ومادة علمية في المكتبات.

وفي رأيي المتواضع أن هذا الكتاب هو من أهم إنجازات المؤتمر وليس أهمها، فكل كلمة كتبتموها تساوي كتاباً عندي.
وكم أرجو أن تنتهي أزمة الوباء، لنجمع توصيات المؤتمر، والأخذ بها للمضيّ إلى الأمام في ضوئها.
من سيدني إلى ملبورن إلى كانبرا فإلى لبنان، وصولاً إلى إنسانيّة خالدة، نبني جميعاً، ولا مكان للعثرات في طريقنا، لأننا لا ننظر إلى تحت، بل إلى حيث الشمس، وأجنحتنا تطير ولا تصطدم بالأرض. وكم يغبطنا أن أساتذة وأكاديميين وأدباء يعربون عن سعادتهم بأنهم "معنا"، والحقيقة أننا نحن "معهم"، ومشروعنا ليس فيه انتساب، إنما هو فكرة عالمية انطلقت من سيدني، وعبرت البحار وأصبحت على كل لسان.
ألف شكر لكم جميعاً، أساتذة كباراً، ومؤسسات، ومتابعين. كما أشكر مؤسسات الإعلام والأصدقاء الذين نشروا ولو كلمة عن المؤتمر، وقد نوّهت بالأسماء عدة مرات على صفحتي، راجياً لكم جميعاً التوفيق والنجاح وإلى اللقاء.